القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
www.alquds.co.uk
الاسبوعي
Weekly
السنة السابعة والعشرون العدد 8402 الأحد 13 آذار (مارس) 2016 – 4 جمادى الثانية 1437هـ
Volume 27 - Issue 8402 Sunday 13 March 2016

أحمد الهنداوي:
عن الأمم المتحدة والشباب

ثروت عكاشة:
فنان الضباط الأحرار

السلط الأردنية:
تاريخ وأوابد وعمارة

سوريا: «النصرة» تستشعر خطر التظاهرات 04
حريات: أطفال ليبيا ضحايا النزاعات 16
شارابوفا: من التتويج إلى السقوط 36

خلافات شيعة العراق: جوهرية أم «ماكو فرق»؟

كان انضمام التيار الصدري إلى الحراك الشعبي المطالب بمحاسبة مافيات الفساد تطوراً عميق الأثر في تكريس الخلافات داخل الصف الشيعي في العراق، خاصة بعد أن أعقبه تشهير التيار بفظائع "الحشد الشعبي" ضدّ مواطنين عراقيين من أبناء السنّة، خضعوا أيضاً لممارسات التطهير المذهبي والتهجير. وهذا التطور استكمل موقف المرجعية الشيعية العليا في الانحياز للمتظاهرين، ورفع الغطاء عن مجموعة نوري المالكي، مما أسفر عن خلط الأوراق وإعادة ترسيم التوازنات داخل كتلة "التحالف الوطني الشيعي". ولأن هذا المشهد وثيق الارتباط بالنفوذ الإيراني المتعاظم داخل الصفّ الشيعي العراقي، وبصراعات إيران الإقليمية عموماً، فإنّ سيرورة الخلافات أبعد ما تكون عن الحسم، أو حتى الاستقرار.

(ملف حدث الأسبوع، ص 6-13)

Price List
■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

اليمن: مدينة تعز تحقق تحولا نوعيا في مسار المعركة وتدفع نحو التفاؤل بإمكانية حسم عسكري وشيك

مقاتلون موالون للحكومة يحتفلون باسترداد منطقة بئر باشا من الحوثيين

تعز- «القدس العربي»: خالد الحمادي

حققت القوات الموالية للحكومة الشرعية في مدينة تعز، جنوبي اليمن، خلال الأيام الثلاثة الماضية تحولا عسكريا نوعيا وغير مسبوق، نجح في كسر الحصار الحوثي الخانق عن المدينة منذ أكثر من 10 أشهر، وربما يدفع لتحويل مسار الأزمة اليمنية نحو الحسم العسكري.

وأعلنت قيادات المقاومة الشعبية والجيش الوطني الموالية للرئيس عبدربه منصور هادي عن كسر الحصار جزئيا في مدينة تعز عبر تحرير إحدى الطرق المؤدية إلى المدينة وهي طريق الضباب، غربي تعز، وذلك بعد استعادة السيطرة الكاملة من قبل القوات الموالية للحكومة الشرعية على جميع المناطق والجبهات الغربية لمدينة تعز التي كانت تسيطر عليها ميليشيا الحوثي وقوات الرئيس السابق علي صالح منذ اجتياحها لمدينة تعز في مثل هذه الأيام من العام الماضي.

وأوضحت أن قواتها حررت خلال الأيام الثلاثة الماضية مناطق الحصب، بئر باشا، ومحيط جامعة تعز، ومعبر الدحي، ومقر معسكر اللواء 35 مدرع، وهو ما يعرف بالمطار القديم، ومنطقة السجن المركزي، والتي توجت جميعها بإعادة السيطرة الكاملة على منطقة الضباب التي يمر فيها الطريق الرئيسي إلى أغلب المناطق الريفية الجنوبية والغربية لمحافظة تعز، والتي تصل أيضا إلى محافظات لحج وعدن، عبر طرق ملتوية وغير مباشرة.

واعتبروا أن كسر الحصار ولو جزئيا سيسهم بشكل فاعل في رفع معنويات المقاتلين في الجبهات في مدينة تعز وفي بقية المحافظات وبالذات الشمالية، بالإضافة إلى رفع المعاناة عن سكان مدينة تعز الذي يقاسون الأمرين، إثر النقص الحاد في المواد الغذائية والتموينية والدوائية والوقود وحرمانهم من حرية الحركة من وإلى المدينة من القرى والمحافظات الأخرى.

وقال قائد الجبهة الغربية في المقاومة الشعبية بتعز الذي قاد مواجهات الأيام الماضية الشيخ عبده حمود الصغير «ان الأهمية الاستراتيجية لكسر الحصار وفتح طريق الضباب سيسهم بشكل جيد في إدخال المساعدات الإنسانية أولا ثم في إدخال المساعدات العسكرية إلى مدينة تعز لحسم بقية المعركة في القطاع الشرقي والقطاع الشمالي التي ما زالت الميليشيا الحوثية والموالية للمخلوع صالح متمركزة فيها».

وأضاف «ان فتح طريق الضباب وتطهيرها من الميليشيا الحوثية تمثل شريانا مهما لربط مدينة تعز بميناءين، وهما ميناء عدن والمخا، وهذا الأخير تابع لمحافظة تعز والذي سنسعى إلى تحريره عما قريب واستعادة السيطرة على الطريق المؤدية اليه، والذي نعتبره شريانا حيويا لمدينة تعز، وسيكون استعادة السيطرة عليه من أولوياتنا خلال الفترة المقبلة».

وذكر الصغير أن مدينة تعز ستعيد ألقها وانتصارها باستكمال فتح بقية المنافذ وإحكام السيطرة عليها من قبل قوات المقاومة والجيش الوطني وفي مقدمتها المنافذ الشرقية والشمالية. وتوقع أن تبدأ عملية استعادة السيطرة على طريق وميناء المخاء قريبا، دون تحديد المدى الزمني، لاسباب عسكرية.

وكانت مصادر عسكرية ميدانية قالت لـ«القدس العربي» «ان قوات المقاومة الشعبية والجيش الوطني تمكنت ظهر الجمعة من السيطرة الكاملة على معسكر اللواء 35 الكائن في المطار القديم بتعز، والتقدم نحو جبهة الضباب لتطويق ميليشيا الحوثي وصالح في الطريق إلى هناك والالتحام بقوات المقاومة والجيش الوطني المتمركزة في الجانب الآخر لمدينة تعز والتي نجحت جميعها في كسر الحصار الحوثي المفروض على مدينة تعز منذ أكثر من 10 أشهر والذي تسبب في النقص الحاد للمواد الغذائية والدوائية والتموينية بمدينة تعز».

وأكدت هذه المصادر أن القائد العسكري الميداني لميليشيا الحوثي ابو علي الحاكم فر من مدينة تعز إثر التقدم العسكري المتسارع لقوات الجيش الوطني ورجال المقاومة الشعبية وسيطرتهم الكاملة على معسكر اللواء 35 مدرع الذي كان يتمركز فيه، والذي عينته الميليشيا الحوثية مؤخرا قائدا لهذا المعسكر لقيادة معركة تعز من داخله والذي كان يعتبر المكان الحصين لهم لقربه من خط الامدادات العسكرية من قبل ميناء المخا ومحافظة الحديدة وكذا محافظة إب.

وأوضحت ان المحافظ المعيّن مؤخرا من قبل الحوثيين تعز عبده الجندي والقائد العسكري الحوثي أبو علي الحاكم لاذا بالفرار من اللواء 35 مدرع الذي كانا يتمركزان فيه وأضحى بالكامل منذ ظهر الجمعة تحت سيطرة قوات الجيش الوطني والمقاومة والشعبية.

ولم تكن هذه المكاسب العسكرية التي حققتها قوات المقاومة الشعبية والجيش الوطني لكسر الحصار في تعز وليدة اللحظة ولكنها جاءت بعد فترة طويلة من الاستعدادات والتدريبات الميدانية ورسم الخطط وكان مقرر لها أن تستمر نحو أسبوعين ولكن الهمة القوية والمعنويات العالية لدى المقاتلين ساهمت في التعجيل بتحقيق ذلك في غضون 3 أيام فقط، وفقا لما أكده القائد الميداني للجبهة العسكرية الغربية.

وأكدت مصادر عسكرية لـ«القدس العربي» أنه اذا استطاعت قوات المقاومة الشعبية والجيش الوطني الاحتفاظ بهذه المكاسب العسكرية وبالذات بطريق الضباب كمنفذ آمن وشريان حياة لمدينة تعز ومواصلة التحرك العسكري ولو ببطء نحو السيطرة على بقية المواقع التي ما زال الحوثيون وقوات صالح يسيطرون في بقية الجبهات، فإن هذا سيعني أن العد التنازلي لحلول ساعة الحسم لتحرير محافظة تعز بالكامل من الميليشيا الحوثية وقوات صالح قد بدأ الجمعة الماضية.

وارجعت ذلك إلى أنه «بتأمين طريق الضباب سيكون من الممكن الحصول - ولو بمشقة - على الدعم العسكري من قبل قوات التحالف العربي التي لم تتمكن طوال الفترة الماضية من دعمهم بالأسلحة الثقيلة والنوعية اثر الحصار الحوثي الخانق على مدينة تعز، حيث ظلت ميليشيا الحوثي وصالح تحكم السيطرة على المدينة من الخارج عبر إغلاق كافة المداخل والطرق المؤدية إليها في حين تسيطر قوات المقاومة والجيش الوطني على مدينة تعز من الداخل مع بعض الأطراف والمناطق الريفية».

الأردن: محاضرة المعشر تجدد الجدل حول ملفات اللجوء والتسوية الكبرى

مروان المعشر

عمان ـ «القدس العربي»: بسام البدارين

لا تخرج شخصية سياسية من وزن الدكتور مروان المعشر عن مألوفها وأدبياتها عندما تنتج مجددا وفي ظرف إقليمي مغرق بالحساسية الجدل حول عنوان العودة الضرورية لمنهجية دولة المواطنة التي لا تعلي من الشأن الأمني على حساب القانوني والسياسي ولا ترفع في الوقت نفسه من مستوى الولاء على حساب الكفاءة. كلما تحدث مروان المعشر في الأردن بصفته أحد نشطاء المفكرين السياسيين اليوم وليس بصفته وزيرا سابقا للبلاط والخارجية.

وهذا ما برز قبل أيام عدة بعد محاضرة في مؤسسة من طراز جمعية الشؤون الدولية ألقاها مكررا فيها قاموسه المعروف في درب الإصلاح السياسي ناثرا مجددا تلك الأفكار النبيلة عن حلم أردني يستعصي عن الولادة بعنوان منهجية المواطنة.

المعشر التزم هنا مجددا بالخط العام لوثيقة الأجندة الوطنية التي ترأس لجنتها قبل ان يجثو عليها غبار التأخير والتيار المحافظ والحرس القديم.

ثمة مستجد جريء في خطابه يمكن اعتباره مسؤولا عن إحياء مشروع قديم في النقاش العام الحيوي المتعلق بمشكلة مزمنة لها علاقة بالمواطنة.

المستجد تمثل في العبارة التي أشار لها عندما قال ان 65 عاما مرت على تمتع الأردنيين من أصل فلسطيني بالجنسية الأردنية.

الأمر الذي أعتبره في عرف البشرية اليوم ثباتا خارج حسابات النقاش يمنع الاسترسال في المزاودة على المكون الذي يشكل نصف المجتمع الأردني تقريبا اليوم وفقا للتلميحات في بطن الكلام.

المعشر يعرف ما الذي يقوله ولا يبدل في أقواله منذ عام 1999 على الأقل لكن كثيرين في الساحة يميلون إلى الاتهام وعلبة الاتهامات الكلاسيكية عندما يستفز عقلهم مفكر من وزن المعشر بالحديث الصريح.

وهو هنا يعلق الجرس بعيدا عن منطوق ومضمون كلامه في بيئة يتحكم فيها مستجدان مهمان لا يمكن اسقاطهما من أي حساب.

الأول هو ان الرجل يتحدث هذه المرة خارج سلسلة الهرم الرسمي والوظيفة سواء المحلية او تلك الدولية الرفيعة التي حظي بها عندما غادر وزارة البلاط في بلاده ليصبح مسؤولا بارزا في البنك الدولي.

وبعدها مفكر يعتد به في واحد من أهم معاهد التفكير العميق في العالم.

على هامش نقاش جانبي سألت «القدس العربي» المعشر حول أي تماس حواري بينه وبين أركان الحكم والقرار؟ فتبين ان الرجل بعيد عن مواقع القرار الرسمية الأردنية والتواصل معها منذ ثلاث سنوات.

هنا تبرز أهمية المستجد الثاني والمتمثل في طبيعة الظرف الإقليمي السائد حاليا خصوصا عندما يتعلق الأمر بمفاهيم اللجوء في المنطقة التي استيقظت على ملف لجوء سوري وليس فلسطينيا فقط، أو عندما يتعلق بجدل المكونات داخل المجتمع الأردني حيث يتناقش القوم اليوم بتأهيل وإدماج المكون السوري ولم يعد يذكر إلا قليلا المكون الفلسطيني الذي يشير المعشر إلى انه أصبح اليوم ليس فقط جزءا من الجغرافيا والواقع في المملكة الأردنية الهاشمية ولكن يشكل حلقة أساسية في التاريخ الحديث للمملكة نفسها.

في مقاربات مثقف ومفكر سياسي كبير مثل عدنان ابو عودة يمنح ما يجري في المشهد السوري وبصورة أقل في شقيقه العراقي، الجميع اليوم فرصة لعقد مقاربات ومقارنات ليست في صالح القضية الفلسطينية.

العالم اليوم بهذا المعنى يتحدث عن أزمة لجوء سوري تحتاج لسنوات طويلة للانشغال بها وهو ما أشار له رئيس الديوان الملكي الدكتور فايز الطراونة عندما استقبل بعض المثقفين والفنانين ليطالبهم بالعمل على إدماج المكون السوري في بلاده وتوقع إقامة طويلة لعناصره.

والعالم اليوم يفهم ان الأزمة السورية وما يجري في المنطقة عموما تستفيد منه إسرائيل لأن الذاكرة مليئة بمشاهد مأساوية تفوق في عنفها ما سجل ضد إسرائيل في العصر الحديث.

في كل الأحوال تنطلق مقاربة الدكتور المعشر من حاجة بلاده الملحة لأن تتهيأ أولا ثم تنطلق لاستيعاب ما يسميه رئيس الوزراء الدكتور عبد الله النسور أمام «القدس العربي» بالمتغيرات الهائلة والسريعة التي تشهدها المنطقة.

الأهم شعور بعض دوائر التحليل العميق ان حديث المعشر المفاجىء عن ثبات واستقرار هوية وجنسية الأردنيين من أصل فلسطيني بالمعنى الدستوري والقانوني والواقعي، على تماس مع النظرة الشاملة لمنطقة الشرق الأوسط في حالها الحديث، خصوصا إذا أخذ في الاعتبار ان شخصيات مثل المعشر تبقى دوما مؤثرة في حلقات التفكير في المؤسسات الأمريكية أو على الأقل تبقى مطلعة على مستجدات التفكير الأمريكية.

لذلك وبالنسبة لبعض المثقفين سياسيا لم تكن المداخلة في جمعية الشؤون الدولية من الطراز الذي يصلح تسميته بالصدفة أو يمكن ان تقرأ على أساس النكايات السياسية والتصعيد اللفظي، فتلك وظائف بعيدة إلى حد كبير عن شخصية المعشر الذي ثبت انه من السياسيين القلائل الذين يتحدثون باللغة نفسها وفي كل المواقع وعلى مدار السنوات.

عليه يصبح الربط بين المداخلة الجديدة ومشاريع أو سيناريوهات أو تصورات محتملة لها علاقة بالقضية الفلسطينية تحديدا وبدور أردني محتمل ضمن مناخ التسوية الكبرى في المنطقة أقرب إلى نظرية أخذت فرصة الظهور وتحتاج للتعمق في التفاصيل حتى تعتمد أو تتلاشى.

ذلك في كل الأحوال يثير تساؤلات إضافية خصوصا في ظل الوقائع التي يعايشها كثيرون اليوم. فالسلطة الفلسطينية تتراجع واليمين الإسرائيلي مرتاح وينمو ويزدهر ويقايض الإدارة الأمريكية بالملف النووي الإيراني، كما يعتقد السياسي الخبير طاهر المصري ومؤخرا وضع اليمين الإسرائيلي المستفيد من شلال الدم في العراق وسوريا واليمن في النتيجة، الأساس للسقف الذي يفترضه حيث لا دولة فلسطينية في أي حال من الأحوال، وحيث العودة لفكرة الكانتونات الإدارية الفلسطينية المحكومة ذاتيا ما يؤدي لإفتراض يتحدث عن جهة ينبغي ان تضمن هذه الكانتونات وتديرها وهي الأردن في كل الأحوال عندما يتعلق الأمر بالضفة الغربية.

باختصار

إحالة 174 معارضًا للسلطات المصرية إلى القضاء العسكري

أحالت النيابة العسكرية بمصر، أمس، 174 معارضًا للسلطات المصرية بمحافظة المنيا (جنوب)، إلى القضاء العسكري بمحافظة أسيوط (جنوب)، في اتهامهم بـ«إثارة الشغب، والتعدي على منشآت الدولة».
وبحسب تصريحات خالد الكومي، محامي المتهمين، «فقد أحالت النيابة العسكرية بأسيوط، 174 معارضًا إلى المحكمة العسكرية، لينضموا إلى 70 آخرين يحاكمون حاليًا أمام المحكمة العسكرية».

4 سعوديين ينتظرون تنفيذ حكم الإعدام لإدانتهم في قضايا إرهاب

ذكرت صحيفة سعودية أن 13 قاضيا سعوديا أيدوا أحكام الإعدام الصادرة بحق أربعة سعوديين مدانين في قضايا إرهاب ما يزيد من احتمال تنفيذ جولة جديدة من الإعدامات بعد شهرين من إعدام 47 شخصا بينهم رجل دين شيعي بارز في المملكة.
وقالت جماعات دولية معنية بالحقوق إن أسر ثلاثة شبان شيعة تخشى أن يكون أبناؤها –الذين اعتقلوا لمشاركتهم في احتجاجات مناهضة للحكومة بينما كانت سنهم أقل من 18 عاما– ضمن من ينتظرون الإعدام.

مقتل 67 في غارات للمقاتلات التركية شمالي العراق

كشفت مصادر أمنية، أمس أن سلاح الجو التركي تمكن من القضاء على 67 إرهابيًا، في غارات جوية شنّها في التاسع من مارس/آذار الحالي، ضد معسكرات تابعة لمنظمة «بي كا كا» الإرهابية شمالي العراق.
وقالت المصادر (رفضت ذكر اسمها)، إن «14 مقاتلة تركية من طراز (إف 16)، و(إف 4)، قصفت الأربعاء الماضي، معسكرات جديدة للمنظمة الإرهابية، في مناطق قنديل، ومتين، وحفتنين، وأفا شين، وباسيان».

استشهاد طفل فلسطيني وشقيقته في غزة جراء غارة إسرائيلية

قال مسؤولون في قطاع الصحة إن حطام صاروخ أطلقته طائرة إسرائيلية قتل طفلا فلسطينيا يبلغ من العمر عشر سنوات وشقيقته في قطاع غزة أمس وذلك بعد ساعات من إطلاق نشطاء صواريخ على إسرائيل.
وقال بيان للجيش الإسرائيلي إن طائرة استهدفت أربعة معسكرات تدريب لحركة المقاومة الإسلامية (حماس) بعد سقوط أربعة صواريخ في مناطق مفتوحة بجنوب إسرائيل الجمعة.
وصول رئيس وفد المعارضة السورية وكبير المفاوضين إلى جنيف

وصل رئيس الوفد المفاوض الممثل للمعارضة السورية أسعد الزعبي

وكبير المفاوضين محمد علوش السبت إلى جنيف، استعدادا للمشاركة في جولة جديدة من المفاوضات مقررة الاثنين.
ووصل زعبي وعلوش معا بعد ظهر السبت إلى احد الفنادق الكبرى في وسط جنيف من دون الإدلاء بأي تصريح، وذلك بعد ساعات من تحذير وزير الخارجية السوري وليد المعلم بأن الوفد الحكومي لن ينتظر اكثر من 24 ساعة وصول المعارضة إلى جنيف.

توجيه التهمة الى فرنسيتين بالتآمر لمهاجمة قاعة للحفلات الموسيقية

وجهت إلى فتاتين فرنسيتين السبت تهمة التآمر لمهاجمة قاعة للحفلات الموسيقية، وفق ما أعلنت مصادر قضائية فرنسية، وذلك بعد نحو اربعة اشهر من الهجمات الأكثر دموية في فرنسا.
وقالت الشرطة الفرنسية ان الفتاتين اللتين تبلغان 15 و17 عاما تبادلتا رسائل على «فيسبوك» زعمتا فيها انهما تريدان شن هجوم شبيه بهجمات تشرين الثاني/نوفمبر التي استهدفت مسرح باتاكلان وحانات ومطاعم وملعب لكرة القدم.

بعد اتساع رقعة التظاهرات المدنية في شمال سوريا:

جبهة النصرة تستشعر الخطر وتعتدي على المتظاهرين

بداية اشتباك عناصر النصرة مع المتظاهرين في معرة النعمان ـ خاص بـ«القدس العربي»

«القدس العربي»: منهل باريش

اشتبك نشطاء مدنيون مع عناصر من تنظيم جبهة النصرة في مدينة معرة النعمان إثر دخول عناصر التنظيم بين المتظاهرين والبدء بالهتاف لصالح الجبهة، ليتطور الوضع إلى اشتباك بالأيدي بعد أن حاول عناصر النصرة سحب أعلام الثورة وانزالها من أيدي حامليها، حسب شهود عيان وشرائط مصورة بثها نشطاء إعلاميون في المدينة.

وصرح ناشط مدني من مدينة معرة النعمان – فضل عدم ذكر اسمه – في حديث لـ«لقدس العربي» أن «متظاهرين اثنين على الأقل تعرضا للطعن بالسكين، أحدهما أصيب في كف يده وآخر جُرح في ساعده». وحصلت «القدس العربي» على نسخة من وثيقة موقعة من الشيخ أبو ياسين، قائد فوج معرة النعمان في حركة أحرار الشام الإسلامية كجهة أولى، ومن أبو أنس حارم قائد ما يعرف بالقاطع الجنوبي في جبهة النصرة، توكد إدعاء أحد المصابين ورغبته في تشكيل لجنة قضائية مشتركة من مندوبين عن دار القضاء والهيئة الشرعية بالمعرة.

إلى ذلك، زادت أعداد نقاط التظاهر في المناطق المحررة بشكل لافت، يوم الجمعة الماضي، وشملت غالبية مدن وبلدات وقرى شمال سوريا. لكن تظاهرة مدينة إدلب غابت بعد أن اجتمع رئيس مجلس شورى جيش الفتح، والقيادي في جبهة النصرة أبو عبد الرحمن زربة، بنشطاء مدينة ادلب وابلغهم منع رفع أي علم سوى راية جيش الفتح. وأبلغ ناشط من المدينة «القدس العربي» أن رئيس مجلس الشورى حملهم مسؤولية «اقتتال محتمل بين الفصائل إن خرجت المظاهرة»، ما دفع النشطاء الى الغاء المظاهرة في المدينة المحررة والتي يسيطر جيش الفتح على إدارتها المدنية.

ويستعد نشطاء مدنيون للاحتفال بالذكرى الخامسة لانطلاقة الثورة السورية، من خلال أنشطة وبرامج تجدد التمسك بمبادئ الثورة في الحرية والكرامة.

وشهدت مدن أريحا والأتارب وسراقب أكبر المظاهرات إلى جانب مدينة حلب. وغطت أعلام الثورة السورية ساحات التظاهر في تلك المناطق. وصرح عضو لجنة الحراك في مدينة سراقب، أسامة الحسين، لـ» القدس العربي» أن اللجنة تعمل على «اطلاق برنامج كامل يستمر عدة أيام. وستقام خلاله عدة أنشطة منها عروض سينمائية وغنائية للأطفال وأمسية شعرية ومباراة كرة قدم بين فريقي سراقب وكفرنبل».

وأكد الحسين «أن المظاهرات هي بهدف احياء ذكرى الثورة وليست موجهة ضد أي طرف سوى النظام وميليشياته»، مضيفا أن مقاتلين من عدة فصائل شاركوا بصفاتهم الشخصية وليس بأسماء فصائلهم، ومنهم قادة في أحرار الشام.

ونشر القيادي العسكري في حركة أحرار الشام حسام سلامة صورة له ولأبي عزام الشامي القيادي في حركة أحرار الشام، خلال مشاركتهما في مظاهرة مدينة اعزاز الحدودية مع تركيا في الريف الشمالي لحلب.

وعن مظاهرةِ الأتارب، قال الناشط الإعلامي والميداني أحمد عبيد، ابن البلدة، أن عددا من القادة العسكريين «حضروا المظاهرة، وقام المتظاهرون بحملهم على الأكتاف، ورفع المتظاهرون لافتات ضد الاحتلال الروسي، وأخرى تستنكر الحديث عن التقسيم وتتوعد وجود المليشيات الأجنبية».

و قصف الطيران الحربي أطراف بلدة الأتارب وقام بخرق جدار الصوت خلال المظاهرة، بهدف بث الرعب في نفوس المتظاهرين، ما دفع المنظمين الى إنهائها حرصاً على سلامة المشاركين.

ويبدو من ردود فعل جبهة النصرة على المظاهرات المدنية أنها تستشعر خطرا من عودة الحراك المدني، وأنه موجه ضدها، خصوصا بعد مظاهرة مدينة معرة النعمان التي حضرها قادة في الجيش السوري الحر، هتف له المتظاهرون. وهذا كان مؤشرا على أن الحاضنة الشعبية والمدنية مازالت تفضل فصائل الجيش الحر على تلك التي لا تنتمي إلى الثورة السورية وتريد إقامة دولة إسلامية أو تتبع تنظيم «القاعدة».

ويرى مراقبون أن جبهة النصرة بدأت تخسر من حاضنتها الشعبية بعد أن بدأت بالتدخل في شؤون الحياة العامة للمواطنين. وتأتي تلك الصدامات مع المتظاهرين المدنيين لتنبئ بمصير شقيقتها «الدولة الإسلامية» بعد أن بدأت بالاعتداء على فصائل الثورة واعتقال الناشطين، حيث تستمر جبهة النصرة باعتقال الناشط حسام هزبر من مدينة معرة النعمان بعد أن أخرجت أربعة من زملائه كانت اعتقلتهم في مظاهرة مدينة إدلب قبل نحو أسبوع.

سلام في موقف لا يُحسد عليه
وعون يتجه إلى «هزّ المسمار» في الاستحقاق الرئاسي

بيروت ـ «القدس العربي»: سعد الياس

على الرغم من التأرجح في ملف النفايات بين الحلحلة والتعقيد، فإن رئيس الحكومة تمام سلام تراجع على ما يبدو عن تلويحه الجديد بخيار الاستقالة متجاوزاً الإرباك الداخلي الناتج عن التأخر في معالجة أزمة النفايات بعد البوادر الايجابية التي بدأت تلوح في الأفق لجهة الموافقة على عدد من المطامر، لكنه لم يستطع حتى الآن تجاوز الإرباك الخارجي وتحديداً الخليجي في ظل استمرار الضغوط والإجراءات العقابية التي يتعرّض لها البلد من قبل المملكة العربية السعودية ودول خليجية على خلفية تمدّد نفوذ حزب الله في الدولة اللبنانية، الأمر الذي يطرح إمكانية قيام الرئيس سلام بخطوة معينة كالاعتكاف أو ربما الاستقالة، إذا لم يستجب حزب الله لدعوته بوقف التهجمات على المملكة العربية السعودية منطلقاً من شعور بالمرارة كون كل الأطراف السياسية على اختلاف توجهاتها بين 8 و14 آذار تعبّر عن تأييدها بقاء الحكومة ورغبتها بعدم التفريط بها، لكنها لا تترجم عملياً دعمها للحكومة بتقديم أي مساعدة لحل أزمة النفايات أو لوقف لغة التصعيد على المنابر بدل اللجوء إلى التهدئة حماية لمصالح لبنان واللبنانيين العاملين في دول الخليج.

وكان الرئيس سلام، الذي بدا منذ أيام في سباق مع الحراك المدني محاولاً قطع الطريق على تصعيد تحركاته الشعبية ضد عجز الحكومة عن حل موضوع النفايات، لوّح مرة جديدة بالرحيل في حال عدم مساعدته على إيجاد حل لأزمة النفايات المتكدّسة في الشوارع منذ 17 تموز/يوليو الفائت واستمرار رفض المطامر من قبل بعض القوى السياسية بعد فشل خيار ترحيل النفايات إلى الخارج. وفيما علّق الرئيس سلام جلسات مجلس الوزراء لو يدعُ إلى جلسة الخميس الفائت كتعبير عن عدم رضاه على سير الملف، فإن ما حُكي عن بوادر إيجابية لاحت بعد اجتماع اللجنة الوزارية المكلفة بمعالجة ثلثي ملف النفايات حيث بات خيار المطامر هو الحل الوحيد لكن المشكلة تبقى في القدرة على اقناع الناس بتخفيف الرفض لإقامة مطامر في مناطقهم إما لاعتبارات سياسية وطائفية أو لفقدانهم الثقة بالسلطة التي ستتولى الإشراف على تجهيز المطامر ومتابعة الفرز والجمع والنقل ثم المعالجة.

ورأى محللون في تهديد سلام بالاستقالة موقفاً شخصياً في وجه القوى السياسية التي تعرقل حل

Volume 27 - Issue 8402 Sunday 13 March 2016

هل ينجح الإعلام الخليجي في مواجهة إعلام إيران وحزب الله بأدواته وبالمنع والحذف؟

الرياض ـ «القدس العربي»: سليمان نمر

خلال أقل من شهر عقد وزراء إعلام دول مجلس التعاون الخليجي اجتماعين في الرياض، الأول منهما كان «استثنائيا» وخصص لبحث كيفية مواجهة الحملة الإعلامية التي تتهم المملكة العربية السعودية وقوات التحالف العربي في اليمن بقصف المدنيين والمستشفيات والمراكز الصحية، وهي اتهامات وصلت إلى الأمم المتحدة ومجلس الأمن.

الاجتماع الثاني لوزراء إعلام دول الخليج والذي عقد الثلاثاء الماضي، كان الاجتماع العادي وهو الرابع والعشرون، ولكنه كان يبحث موضوعا استثنائيا، وهو كيفية التصدي لإعلام حزب الله وللإعلام الموالي لإيران في المنطقة.

في الموضوع الأول بالطبع كانت البرامج المقترحة لمواجهة الحملة الإعلامية الدولية التي تتهم السعودية وقوات التحالف العربي، تعتمد على الاتفاق مع شركات وعلاقات عامة دولية لتنفيذ برامج إعلامية تدحض الاتهامات الدولية.

وتدويل لغة وسائل الإعلام الرسمية ـ أي جعلها تبث بلغات أجنبية، بما فيها الفارسية ـ «حتى يسمع الصوت الخليجي ـ من مبدأ ان يكون للخليج «إعلامه» الذي ينقل خطابه للعالم».

وهذا يحتاج إلى أدوات لديها خبرات وقدرات أوسع مما لدى الإعلام الخليجي وحتى العربي. وهذا يحتاج إلى توحيد لغة الخطاب السياسي الخليجي.

فهل هناك مثل هذا الخطاب؟

في الأشهر الأخيرة أخذنا نلمس قيام تحالف عسكري وسياسي خليجي سيؤدي إلى تحويل مجلس التعاون إلى «حلف» يكون له الدور الأهم في أحداث المنطقة وتقرير مصيرها. ويبدو واضحا ان المملكة العربية السعودية هي التي تقود عملية تحويل مجلس التعاون إلى تحالف إلى ان يصبح حلفا، رغم انهم في الخليج لا يحبذون استخدام اصطلاح «حلف».

حتى ولو بدا موقف السلطنة العمانية لا يتماهى كثيرا مع مسألة تحويل صيغة «التعاون المشترك» لدول مجلس التعاون إلى تحالف ثم حلف، إلا ان مسقط ـ وبسبب التطورات السياسية والأمنية في المنطقة ـ تجد نفسها منخرطة مع شقيقاتها الخليجيات في برامجهم وسياساتهم.

مؤيدون لحزب الله يلوحون بالاعلام تأييدا لخطاب حسن نصر الله

هذا الحلف الخليجي هو الذي يخوض الحرب في اليمن بقيادة سعودية، حتى ولو ساهمت به وبشكل رمزي بعض الدول العربية ليطلق عليه اسم «التحالف العربي».

وهذا الحلف الخليجي هو الذي يخوض حرب اليمن سياسيا، طبعا، مستندا إلى الثقل السياسي العربي والإسلامي والدولي للمملكة العربية السعودية.

ان الموقف السياسي الخليجي موحد تجاه الحرب في اليمن. وهذا يعني ان هناك خطابا سياسيا خليجيا موحدا ـ وان كانت سلطنة عمان لا تتحفظ عليه ولكنها لا تجاريه.

والإعلام الخليجي يبدو موحدا في تعاطيه مع الحرب في اليمن وان كان الحماس يتفاوت، والملاحظ ان الإعلام الإماراتي هو الأكثر حماسا في حملة التعبئة المعنوية الداخلية المشاركة في الحرب.

ولكن الملاحظ ان الإعلام الخليجي أكثر نجاحا في مخاطبة الرأي العام الداخلي الخليجي.

اما على الصعيد العربي، فان الخطاب الإعلامي الخليجي غير قادر على تحقيق نجاحات تجعل الرأي العام العربي يؤيد الحرب التي تقودها السعودية في اليمن، رغم انه في الأشهر الأولى للحرب كانت هناك غالبية في الرأي العام العربي تؤيد هذه الحرب على أساس أنها ضد تمدد النفوذ الإيراني إلى اليمن. ولكن الإعلام الموالي لإيران ولحزب الله ـ والذي اتخذ من لبنان قاعدة له ـ استطاع ان يحقق اختراقات إعلامية على حساب الإعلام السعودي والخليجي، في العديد من ساحات الرأي العام العربي، ليس في لبنان فقط وفي مصر والأردن والمغرب العربي، بل وأيضا في الإعلام العربي ووسائل الإعلام الأجنبية الناطقة بالعربية في الخارج.

وهذا يعود لأمرين الأول منهما:

ان الأدوات الإعلامية الخليجية، وان كانت تتصدر المشهد الإعلامي العربي عبر قنواتها الفضائية الهامة والقوية مثل «العربية» السعودية و«الجزيرة» القطرية و«سكاي نيوز» الإماراتية، لم تنجح باقناع الرأي العام العربي بالخطاب السياسي الخليجي بشأن الحرب في اليمن.

لان الرأي العام العربي يرى ان ما يقوم به الإعلام الخليجي وقنواته التلفزيونية الفضائية هو عملية «شحن» وليس «اقناعا»، ويبدو ان المطلوب هو«تجييش» المواطن العربي، وليس اقناعه بان ما يجري في اليمن هو درء للخطر الإيراني عن المنطقة.

هذا الإعلام يملك كفاءات إعلامية عربية، ولكن يبدو ان قياداته خليجية تعتقد ان المعركة الإعلامية المواكبة للعسكرية والسياسية هي معركة «تجييش» وتعبئة عامة.

والأمر الثاني الذي يقف وراء سبب عدم تحقيق الإعلام الخليجي النجاحات المطلوب ان تواكب المعركة في اليمن، هو ان المسؤولين عن هذا الإعلام يرون ان أدواتهم لوحدها قادرة على قيادة وخوض المعركة إعلاميا، لذلك أسرفوا في تمويلها والإغداق المالي عليها.

وأوقفوا ما كانوا يقدمونه من مساعدات «مالية» وهي قليلة، لبعض الإعلام العربي الحليف لهم على أساس ان لديهم أدواتهم الإعلامية وليسوا بحاجة إلى الآخرين وأدواتهم، معتقدين ان الآخرين كانوا يبتزونهم أو سيبتزونهم ليقفوا معهم.

وطبعا هذا مفهوم يتعارض مع ما يجري على أرض المعركة. فالمملكة حريصة ان تبين ان الحرب في اليمن يخوضها تحالف عربي وليس السعودية ودول الخليج.

في حين نرى ان الطرف الآخر (إيران وحزب الله) الذي اتخذ من لبنان مركزا لإدارة عملياته الإعلامية في العالم العربي، عمل على إنشاء قنوات فضائية وصحف ومواقع إخبارية الكترونية تابعة له مباشرة وغير مباشرة وهذه تخاطب الرأي العام العربي بلغات (ليس المقصود المعنى اللغوي) مختلفة، فللرأي العام الشيعي في لبنان والعراق تخاطبه بلغة تعبوية فيها تجييش وحشد، في حين ان الأدوات الإعلامية التي تساعدها ماليا وتمولها فان الخطاب الإعلامي يعتمد على «الاقناع» وعلى إظهار الطرف الآخر بانه معاد للمشروع الوطني والقومي.

وللحقيقة ـ حتى وان أغضبت مسؤولي الإعلام الخليجي ـ فان الإعلام الإيراني يحقق نجاحاته بذكاء، على حساب الإعلام الخليجي على عكس ما يجري على أرض المواجهة العسكرية والسياسية مع إيران.

والاجتماع الثاني الذي عقده وزراء الإعلام، خلال أقل من شهر كان هدفه الرئيسي هو كيفية التصدي لحزب الله وإعلامه بعد اعتبار حزب الله منظمة إرهابية.

وفي هذا الصدد وافق الوزراء على مجموعة قرارات كان نظيرهم السعودي الدكتور عادل الطريفي قد طرحها عليهم بهذا الشأن وهي كما صرح الوزير الطريفي «على اتخاذ كافة الإجراءات القانونية لمنع التعامل مع أي قنوات محسوبة على ميليشيات حزب الله، وقادتها وفصائلها والتنظيمات التابعة لها والمنبثقة عنها وذلك باعتبارها ميليشيات إرهابية، تسعى إلى إثارة الفتن، كما أن تلك الإجراءات القانونية الواردة بالقرار سوف تسري على كافة شركات الإنتاج والمنتجين وقطاع المحتوى الإعلامي وكل ما يندرج تحت مظلة الإعلام، وذلك استناداً إلى ما تنص عليه القوانين السارية بدول المجلس وأحكام القانون الدولي ذات الصلة بمكافحة الإرهاب».

واشار الوزير السعودي إلى اتفاق خليجي على إعداد آلية لمكافحة أبواق تنظيمات داعش وحزب الله والقاعدة وغيرها، من خلال مكافحتها برامجياً وإنتاجياً، وأيضاً على مستوى الظهور الإعلامي، فضلاً عن مواقع التواصل الاجتماعي.

وأوضح الوزير الطريفي، إن «جملة من المبادرات في هذا السياق باتت في إطار التنفيذ»، مشيراً إلى «اتصالات مع وسائل الإعلام المحلية والخارجية، للتشاور وطرح كل التفاصيل المتعلقة بالجرائم والانتهاكات، سواء كانت من ميليشيات الحوثي أو حزب الله أو ميليشيات إرهابية أخرى».

ودعا إلى «الوقوف بحزم ضد الأبواق الإعلامية لحزب الله والوسائل الإعلامية المرتبطة به، لفضح ميليشياته ومخططاته». واعتبر أن «الخطاب الإعلامي الحاقد للحزب الفارسي، واستمراره في تأجيج نار الطائفية وتوسيع دائرة الفرقة والانقسام في المنطقة، والافتراءات والادّعاءات التي يرددها ضد دول المجلس، تتطلب العمل على توحيد الجهود للوقوف صفاً واحداً لتعرية هذا الحزب ومن يقف وراءه». ولاشك ان الإجراءات الإعلامية الخليجية لن تنجح إذا اقتصرت فقط على مقاطعة ومنع الإعلام الإيراني وإعلام حزب الله من البث، بل ان الأمر يحتاج إلى كيفية الوصول إلى أجهزة الإعلام والرأي العام العربي ليس بأدوات إعلامية خليجية فقط.

أزمة النفايات أكثر منه موقفاً ينطوي على ضغوط يتعرض لها من تيار المستقبل أو حزب الله بغية فرط عقد الائتلاف الحكومي، حيث لوحظ أن الطرفين ورغم خلافهما الشديد على الخيارات الكبرى يحاذران المجازفة بالاستقرار العام نتيجة المجازفة بمصير الحكومة الذي قد يوصل إلى فراغ كل المؤسسات الدستورية ويهدّد بإنهيار البلد العاجز في غياب رئيس الجمهورية عن تأليف حكومة جديدة وعن تسيير شؤون المواطنين.

وعلى هذا الاساس، أكد حزب الله تشبثه بالأمن والسلم الوطني وطمأن إلى بقائه تحت سقف اتفاق الطائف، فيما ردّ تيار المستقبل بتمسكه بالحوار مع الحزب ورفض نعته منظمة إرهابية إسوة بدول مجلس التعاون الخليجي.

لكن على خط آخر، ثمة تصعيد ينتظره البلد من طرف رئيس تكتل التغيير والاصلاح العماد ميشال عون الذي يتحضّر لهزّ المسمار من جديد وإطلاق معركته يوم غد في 14 آذار في عشاء التيار الوطني السنوي، حيث من المنتظر أن يطلق مواقف تشكل انعطافة في مسار المعركة الرئاسية بعد شعوره أن أي تغيير لم يطرأ على الملف الرئاسي بعد لقاء معراب الذي تبنّى فيه رئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع ترشيحه الأمر الذي جعل عون يتمتّع بأغلبية مسيحية واسعة وبميثاقية كبيرة من الصعب تجاوزها. وحسب المعلومات فإن العماد عون سيرفض تكرار التجربة التي عاشها المسيحيون بعد اتفاق الطائف حيث كان الآخرون يختارون الرئيس المسيحي.

وهكذا يمكن القول إن الرئيس تمام سلام يجد نفسه في موقف لا يُحسَد عليه، وإلى حين إيجاد حل لكل الملفات الطّارئة تبقى كل الاحتمالات مطروحة مع اقتراب صبر رئيس الحكومة من النفاد. ولعلّ ما يختصر المعضلة الحكومية هو ما أعلنه وزير الزراعة أكرم شهيب بعد اجتماع لجنة النفايات من أنه «إذا لم نجد حلاً لن ترونا هنا بعد اليوم».

رئيس الحكومة تمام سلام

حدث الأسبوع

الصراع الشيعي ـ الشيعي في العراق: محاولة فهم المشهد

صادق الطائي

مع الاجتياح الأمريكي للعراق وما نتج عنه من إطاحة نظام صدام حسين عام 2003 تركزت أنظار المحللين والمراقبين على الدور الشيعي في اللعبة السياسية بشكل خاص، لعدة أسباب لا مجال لتناولها في هذا المقال. وقد صور الإعلام الغربي وتحديدا الأمريكي المجتمع العراقي على انه مكون من ثلاث كتل صماء (الشيعة والسنة والكرد) مع بعض الأقليات الدينية والإثنية الأخرى على هامش المشهد، وتم التعاطي مع هذه المعادلة الافتراضية على انها الحقيقة الوحيدة الكامنة في إدارة سياسات العراق، والمنطقة بعد ذلك. وربما كمنت في هذه النظرة أكبر مآسي العراق الخارج من حقبة الحكم الشمولي، لأنها نظرة تعاطت مع تفكيك (الدولة ـ الأمة) بكل شروطها العابرة للإثنيات والأديان والطوائف وساعدت على بروز واستفحال الهويات ما قبل الدولتية كالطائفة والعرق والدين، التي طرحت نفسها بديلا عن الهوية الوطنية. وأصبح التعاطي مع الهويات الفرعية يبحث عن امتداداته خارج جغرافية الوطن عبر التماهي مع وجودات مشابهة له إثنيا وطائفيا، وهذا ما أجج صراعا ما ان يخبو حتى يتأجج من جديد معتمدا الاستقواء بالخارج كأحد أهم الاستراتيجيات.

ان وهم الكتلة الصماء للطوائف والإثنيات غطت أو حاولت ان تغطي على التنوع والاختلاف والصراع داخل كل كتلة من كتل المكونات الثلاث، وهذا المقال معني بالنظر في الصراع الشيعي ـ الشيعي فقط، وكمدخل تاريخي، لابد من القول ان الصراع الشيعي الداخلي كان عادة ما يكون بين تيارات أو اتجاهات فقهية تستقطب مريديها أو مقلديها. فقد مرت مؤسسة المرجعية الدينية الشيعية بصراعات في تاريخها المعاصر، مثال ذلك، الصراع بين الأصوليين والاخباريين في منتصف القرن التاسع عشر، ثم الصراع إبان ما عرف بالثورة الدستورية في مطلع القرن العشرين، الذي توزع فيه علماء الشيعة بين مساندي الدستور الذين عرفوا بالمشروطة ومناوئيه الذين عرفوا بالمستبدة. وفي كل صراع مرت به المرجعية كانت الأطراف المتنازعة تسعى لإستثمار رأس المال الرمزي المتمثل في تقليد المريدين عبر ممارسة المراسيم والطقوس الدينية إظهارا لهوية الأطراف المتنازعة، ومحاولة كل طرف تقديم نفسه كحارس للطائفة ومحافظ على جوهرها، والعمل على تكفير الآخر وإخراجه من الملة معتمدا على ترسانته الفقهية.

ومرت الحوزة العلمية في النجف بحالة من الفتور بسبب تراجع دورها في التأثير على مريديها منذ منتصف القرن الماضي بسبب سطوة الحكومات المتتالية وشيوع مفاهيم علمنة المجتمع ومحاولات تحديث الحياة التي أكلت من جرف مريدي الحوزات الدينية، لكن رجال الدين لم يقفوا مكتوفي الأيدي بل سعوا إلى تحديث الدرس الحوزوي ومحاولة إضفاء صبغة عصرية على المناهج وسياقات التعليم الديني، كذلك بلور عدد من شباب العلماء رؤيتهم السياسية عبر الانخراط في أحزاب سياسية ـ إسلامية (حزب الدعوة الإسلامية بشكل رئيسي) دخلت بدورها في صدام مع حكومة البعث في سبعينيات القرن العشرين وأدت إلى حملة قمع دموية شنها النظام.

وبعد وفاة آية الله العظمى ابو القاسم الخوئي عام 1992 برز صراع في ساحة المرجعية في العراق بعد ان تصدى للمرجعية آية الله محمد الصدر، الذي خاض ثلاث معارك تداخلت وتسلسلت تبعا لمعطيات كثيرة، الأولى كانت ضد الولاية العامة للولي الفقيه آية الله الخامنئي، حيث طرح نفسه بديلا ومنافسا له، والثانية ضد المرجعيات التقليدية في حوزة النجف المنافسة على النفوذ، والثالثة ضد النظام العراقي التي أدت إلى اغتياله عام 1999 لتنزوي الحركة الصدرية مؤقتا لاربع سنوات، وما تلبث ان تنطلق بشعبوية مثيرة للجدل عام 2003.

ان الأحزاب والحركات والتيارات الشيعية التي عادت من منافيها بعد 2003 كانت تحمل إرثا كبيرا من الصراعات والإنشقاقات، كما تحمل تاريخا من المؤامرات والدسائس كان مخفيا تحت قناع العمل السياسي المشترك. فقد قتل السيد مجيد الخوئي نجل المرجع الأعلى ابو القاسم الخوئي في مدينة النجف بعد يوم واحد من سقوط النظام (قتل يوم 10 نيسان/ابريل 2003) على يد مجموعة هائجة مثلت حشدا اتهم بالتبعية للزعيم الشاب السيد مقتدى الصدر الذي سيصبح قائدا لتيار شعبوي هو التيار الصدري. وكان النزاع في بداية الأمر ممثلا في تكتلين، مثل الأول ما عرف بـ (أحزاب الخارج) وهي القادمة من المنافي كحزب الدعوة بأنشقاقاته المتعددة والمجلس الأعلى وبعض الأحزاب الصغيرة كمنظمة العمل الإسلامي وحركة الوفاق الإسلامي وتيار الشيرازي، بينما مثل كتلة الصراع الأخرى (أحزاب وحركات الداخل) وأبرز ممثل لها كان التيار الصدري الذي تكون من حشود جماهيرية مثلت مهمشي وفقراء الشيعة ممن التف حول حركة السيد محمد الصدر في تسعينيات القرن الماضي وحركات صغيرة أخرى لم تكن ذات وزن كبير في الصراعات مثل تيار الخالصي في مدينة الكاظمية وبعض التيارات والحركات المهدوية التي ما ان تظهر في حدث ومكان ما حتى تختفي ويزول تأثيرها.

قوة مكافحة الشغب في مواجهة متظاهري ساحة التحرير

Volume 27 - Issue 8402 Sunday 13 March 2016

ثم ما لبثت هاتان الكتلتان أن انشقتا وائتلفتا في كتل جديدة نتيجة التدافع والصراع السياسي، فقد انشق زعيم حزب الدعوة د. ابراهيم الجعفري عن حزبه بعد تنحيته عن رئاسة الحكومة في 2005 مشكلا تيار الاصلاح الوطني، كما ان بعض المنظمات الصغيرة المكونة للمجلس الأعلى خرجت من عباءته مشكلة أحزابا وحركات جديدة مثل فيلق بدر الجناح العسكري للمجلس الذي تحول إلى منظمة بدر. كما ان التيار الصدري شهد عددا من الإنشقاقات بدوره، فقد كان الانشقاق الأول بالتفاف مجموعة مهمة من رموز التيار حول الشيخ محمد اليعقوبي الذي كان يعتبر أهم تلاميذ السيد محمد الصدر، مكونين حزب الفضيلة الذي انتزع النفوذ من التيار الصدري في مدينة البصرة. كما ان الضربات التي تلقتها ميليشيا التيار الصدري (جيش المهدي) على يد الحكومات العراقية المتتالية أدت إلى تراكم المشاكل بين قيادات التيار، فبعد ضربات حكومة د. اياد علاوي عام 2004 خرج التيار وجيش المهدي أقوى وأكثر نفوذا، إلا ان ضربات حكومة المالكي في دورتها الأولى في اذار/مارس 2008 أدت إلى ترنح جيش المهدي وإخراجه من دائرة الصراع مع زج العديد من قياداته في المعتقلات، ما حدا بالسيد مقتدى الصدر إلى تجميد (جيش المهدي) ومحاولة تحويله إلى منظمة مدنية تهتم بالإعمار، وهذا ما قاد إلى دخول التيار الصدري بقوة وتميز في العملية السياسية وفوز كتلته الانتخابية بحصة كبيرة في البرلمان والتي لعبت بعد دورا محوريا في ترشح المالكي للولاية الثانية.

وكان الصراع الشيعي ـ الشيعي أكثر وضوحا في انتخابات 2010 البرلمانية، حيث دخلتها حركات الإسلام السياسي الشيعي بكتلتين متنافستين، هي ائتلاف دولة القانون برئاسة رئيس الوزراء نوري المالكي والائتلاف العراقي الموحد برئاسة د.إبراهيم الجعفري. أسفرت النتائج عن فوز جزئي للقائمة العراقية ذات التوجه الليبرالي التي يقودها رئيس الوزراء الأسبق د. إياد علاوي، حيث حصلت على 91 مقعداً ما جعلها أكبر القوائم في مجلس النواب. اما ائتلاف دولة القانون، بقيادة رئيس الوزراء نوري المالكي فقد حلت بالمركز الثاني بـ 89 مقعداً والائتلاف العراقي الموحد بقيادة د. ابراهيم الجعفري بـ 39 مقعدا، ما دفع بالقائمتين الشيعيتين للاندماج في كتلة برلمانية هي التحالف الوطني ليصبح عدد مقاعدها 128 ويصبح من حقها تشكيل الحكومة، ما أثار لغطا وسخطا دفع ببعض السياسيين إلى اعتبار ما حصل تلاعبا في تفسير الدستور الذي ينص على ان القائمة الفائزة في الانتخابات هي التي تكلف بتشكيل الحكومة، بينما دافع أنصار التحالف الوطني بالقول ان تشكيل الحكومة يتم بناء على حجم الكتل داخل البرلمان وليس اعتمادا على القوائم الانتخابية.

عندما تم الإفراج عن عدد من قيادات التيار الصدري المعتقلين عام 2010 قاموا بالانشقاق عن التيار وتشكيل حركات وميليشيات مسلحة، ربما كان أهمها (حركة المقاومة الإسلامية ـ عصائب أهل الحق) بقيادة الشيخ قيس الخزعلي ويساعده أحد قادة التيار الصدري المنشقين وهو السيد محمد الطباطبائي، وكذلك انشق الشيخ اكرم الكعبي مشكلا حركة النجباء، وهذه الحركات هي التي أطلق عليها الأمريكيون اسم المجاميع الخاصة التي دخلت في صراع مع قوات التحالف حتى انسحابها من العراق في كانون الأول/ديسمبر 2011. كذلك تشكلت أو ظهرت لساحة الصراع حركة حزب الله ـ العراق، التي قادها السيد واثق البطاط، وهو شخصية يلفها الغموض، وذلك بسبب تنقله بين العديد من الحركات الإسلامية الشيعية الجهادية. وقد لعبت هذه المجاميع دورا بارزا في القتال في الحرب الأهلية السورية، حيث دخلت ألوية متعددة منها للقتال بجانب النظام السوري، ربما كان أشهرها لواء ابي الفضل العباس بدعوى الدفاع عن الأماكن المقدسة الشيعية في سوريا، لكن الحقيقة تشير إلى كونها جزءا من الاستقطاب الطائفي الذي أشعل المنطقة. وقد اكتسبت هذه الحركات نفوذا وخبرة ودعما من إيران وسوريا ولبنان نتيجة قتالها في سوريا وهذا ما أهلها لان تلعب دورا محوريا في قتال عصابات تنظيم الدولة بعد حزيران/يونيو2014. لقد مثلت هذه الفصائل المادة الأساسية لتشكيل ما عرف بالحشد الشعبي الذي تولى قتال تنظيم الدولة وايقاف زحفه تجاه بغداد والدفاع عن الأماكن الشيعية المقدسة في مدينة سامراء.

فتحت صفحة تشكل الحشد الشعبي وما حققه من انجازات على الأرض في محيط بغداد ومحافظات ديالى وصلاح الدين وبعض مدن الأنبار، صفحة جديدة من الصراع على النفوذ ومسك الأرض في المدن المحررة. وبالرغم من وجود قيادة عليا للحشد الشعبي ترتبط رسميا برئيس الوزراء، إلا ان مرجعيات الفصائل المقاتلة الشرعية والعسكرية هي التي كانت تحرك المقاتلين وتوجههم بحسب ما ترتأيه أو ما تمليه عليها الجهات الداعمة لها. وقد شكل التيار الصدري ميليشيا مقاتلة هي سرايا السلام شاركت في العمليات القتالية ودخلت في سجالات مع منافسيها من المجاميع الأخرى حتى أطلق السيد مقتدى الصدر أكثر من مرة توصيف (الميليشيات الوقحة) واصفا مجاميع عصائب أهل الحق وحزب الله ـ العراق وحركة النجباء، كما ان بعض التوترات تحولت إلى صراعات مسلحة محدودة كانت قد حصلت في المحافظات الجنوبية نتيجة الصراع على النفوذ والمصالح في هذه المدن الغنية بالثروة النفطية.

في الانتخابات البرلمانية التي جرت في نيسان/ابريل 2014 كانت النتائج فوز ائتلاف دولة القانون بـ 92 مقعداً الذي حل أولا، أما التيار الصدري (كتلة الأحرار) فقد فاز بـ 33 مقعداً، بينما فاز ائتلاف المواطن (المجلس الأعلى الإسلامي العراقي) بـ 30 مقعداً. وبذلك تشكلت كتلة التحالف الوطني الشيعي من 155 مقعدا. لكن واقع الحال هو ان هذه الكتلة مكونة من كتل متنازعة وغير متفقة، وذلك ما انعكس في أزمة ما عرف برفض الولاية الثالثة للمالكي بالرغم من أحقية كتلته بتشكيل الحكومة، إلا ان انسحاب مرجعية النجف الدينية من دعم كتلة تجاه أخرى أدى إلى تكليف د. حيدر العبادي بتشكيل الحكومة في حركة أشبه بانقلاب أبيض نتيجة انشقاق في كتلة دولة القانون ومحورها حزب الدعوة، ما ولد صراعا خفيا بين كتلة دولة القانون أو ما تبقى منها والملتفة حول نائب رئيس الجمهورية نوري المالكي في البرلمان وحكومة العبادي.

ولم يمر على حكومة العبادي سوى سنة واحدة من منتصف 2014 حتى منتصف 2015 ومع ما حققته من انتصارات على الارض، إلا ان تركتها التي ورثتها من الحكومات السابقة كانت ثقيلة، ومافيات الفساد من الطبقة السياسية تنهش كل مفاصل الدولة، ما أدى إلى اندلاع المظاهرات في تموز/يوليو 2015 قادها وحركها التيار المدني مطالبة بالاصلاح ومحاسبة الفاسدين والفاشلين، واستجابة لمطالب المتظاهرين وتماهيا مع توجيهات المرجعية الدينية في النجف، تم إطلاق مبادرات إصلاح من الحكومة ومثلها من البرلمان لم يطبق إلا القليل جدا من بنودها، ما ادى إلى استمرار التظاهر في العديد من محافظات العراق منذ حوالي ثمانية أشهر. لكن التغيير الخطير في المعادلة كان في دخول التيار الصدري في تحالف مع التيار المدني غير طبيعة المظاهرات التي كانت محدودة التأثير إلى مظاهرات مليونية تهدد باقتحام المنطقة الخضراء التي تحوي مقرات الحكومة والبرلمان، وهذا جعل أزمة الصراع الشيعي ـ الشيعي تصل إلى مديات خطيرة قد تودي بالبلد إلى آتون احتراب جديد، وبات الوضع العراقي اليوم متأرجحا بين خطر اندلاع الاحتراب أو الوصول إلى حل سلمي يخرج الوضع من عنق الزجاجة المحشور فيه منذ ثلاثة عشر عاما.

البيت الشيعي العراقي ومصنع الألغام

صبحي حديدي

ذات يوم، حين كانت معزوفة «تحرير» العراق هي الأسطوانة المفضّلة لدى جنرالات الجيش الأمريكي، أسوة بمرتزقة «مجلس الحكم» العراقي؛ كانت قاذفات الـ«ف-16» ومروحيات الـ«آباشي» تحصد أرواح العراقيين المدنيين بالعشرات، في صفوف النساء والأطفال والشيوخ أولاً. ويومئذ، كان الجنرال ريشارد مايرز، رئيس هيئة أركان الجيش الأمريكي، يستخدم توصيفات مثل «المتمردين» و«العصاة» في تصنيف عناصر «جيش المهدي» التابع للزعيم الشيعي الشاب مقتدى الصدر؛ وأما بول بريمر، الحاكم المدني الأمريكي في العراق، فقد كان يردد أنّ كابوس حياته سوف يكون مواجهة بين الشيعة وقوّات الاحتلال.

هذه الخلفية ليست عتبة صالحة للولوج إلى حجرات البيت الشيعي العراقي، الذي تعصف به الأنواء اليوم، فحسب؛ بل هي مفتاح، أيضاً، لفهم خلافات ذلك البيت بالقياس إلى أقطاب صراعاته الأخرى: العسكري مع «داعش» بادئ ذي بدء، ثمّ السياسي مع شرائح عريضة من الشارع السنّي تالياً، وصولاً إلى إرث الاحتلال الأمريكي في مجمله. فكيف إذا كانت عناصر هذه المعادلة خاضعة، من جانب آخر ليس أقلّ أهمية، لمعطيات وضع إقليمي متفجر، بالغ التعقيد، تنقلب فيه «سلّة المصالح القومية» الإيرانية إلى مصنع ألغام، وليس في وسع البيت الشيعي العراقي إلا أن يكون على التخوم الأولى المحاذية لذلك المصنع!

وفي العودة إلى إرث الاحتلال الأمريكي ـ قبل أن تنشأ منظمات مثل «قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين»، أو «دولة العراق الإسلامية» أو «الدولة الإسلامية في العراق والشام»؛ وقبل أن يصعد قادة جهاديون غلاة من أمثال أبو مصعب الزرقاوي وأبو محمد العدناني وأبو بكر البغدادي... ـ عهدت واشنطن بمهمة مجابهة معضلات ما بعد الاحتلال إلى أتباع من أمثال محمد محسن الزبيدي (الذي سارع إلى تنصيب نفسه في موقع «رئيس حكومة بغداد»!) أو جودت العبيدي (في منصب «رئيس بلدية العاصمة») أو مشعان الجبوري («حاكم الموصل»). وكان طبيعياً أن يكون «امتياز» هؤلاء هو إغماض الأعين وصمّ الآذان تماماً عن السلب والنهب والتخريب (كما تردّد مراراً، وبحقّ: هذه القوّة الغازية، أمريكا، القادمة من تاريخ حضاري لا يزيد عن مائتي سنة، أنّى لها أن تحترم بلداً مستباحاً حضارته تُعدّ بآلاف السنين؟)؛ أو عقد اجتماعات لكلّ مَن هبّ ودبّ من أطراف معارضة مفلسة عاجزة، منعزلة وانتهازية، مرفوضة من الشارع العراقي العريض.

فما الذي تغيّر حقاً، وجوهرياً، في لجوء طهران إلى تعهيد شؤون العراق («ما بعد الاحتلال» أو «ما بعد التحرير»، كما يُقال لنا، زيفاً ودجلاً)؛ إلى رجال من أمثال حيدر العبادي، أو نوري المالكي قبله، أو إبراهيم الأشيقر الجعفري قبلهما؟ وأيّ عراقيين هؤلاء، قادة «الحشد الشعبي»، أمثال أبو مهدي المهندس وهادي العامري وقيس الخزعلي؛ الذين يبدأون قتال «داعش» عن طريق ارتكاب الفظائع بحقّ أبناء جلدتهم من المدنيين العراقيين السنّة، أو عن طريق التهجير القسري أو التطهير المذهبي للمناطق؛ كما أقرّ التيار الصدري ذاته، وليس أيّ فريق آخر سنّي التكوين؟

ليس عجيباً والحال هذه، بل هو المآل المنطقي الطبيعي، أنّ جماهير شيعة العراق، التي هتفت، مطلع الاحتلال، بحياة مقتدى الصدر وعلي السيستاني والحوزة العلمية، بدل أحمد الجلبي أو إياد علاوي أو موفق الربيعي أو عدنان الباجه جي أو حتى عبد العزيز الحكيم؛ تهتف اليوم ضدّ «البوّاقين»، لصوص الشعب الفاسدين المفسدين، الطائفيين اللاوطنيين، عملاء مصنع الألغام دون سواه...

ذلك لأن قاطرات التاريخ لا تسير في خطّ وحيد مستقيم، نحو اتجاهين لا ثالث لهما: إمّا الحوزة الحسينية، أو قاذفة الـ«ف-16»!.

لمن يكون الحسم في الصراع بين مؤيدي ومعارضي إصلاحات العبادي؟

بغداد ـ «القدس العربي»: مصطفى العبيدي

تثير الدعوات الإصلاحية التي أطلقها رئيس الحكومة العراقية حيدر العبادي، ردود أفعال متباينة سواء لدى الشارع العراقي أو الأحزاب والقوى السياسية، فيما يعتبر الجميع أن الإصلاحات ستشكل مرحلة فاصلة في تاريخ العراق بعد 2003 بين تعديل مسار العملية السياسية بما يوقف انهيار العراق المتواصل نحو الهاوية، وتعديلات شكلية لا تتجاوز تغيير وجوه بعض المسؤولين في الحكومة لإمتصاص غضب الشارع والمرجعية الدينية، وللتغطية على الفشل والفساد السائد في البلاد.

ومنذ اندلاع التظاهرات في العاصمة العراقية ومعظم المدن الأخرى في منتصف 2015 وبدعم من قبل المرجعية الشيعية العليا في النجف، لمحاولة إصلاح الأوضاع المنهارة ومحاسبة حيتان الفساد والفشل في إدارة البلد، بدا واضحا ان صراعا مصيريا بدأ بين تيارين متضادين يحاول كل منهما فرض مواقفه وسياسته، الأول تمثله مجموعة الأحزاب الحاكمة التي تسيطر على السلطة منذ 2003 وتستغلها بأبشع الصور لمصالحها الذاتية سواء بالهيمنة على مؤسسات الدولة أو تهميش الأطراف الأخرى أو إطلاق أيدي مافيات الفساد التي نهبت البلد وأفلسته باعتراف الجميع. أما التيار الثاني فتمثله جموع المتظاهرين الشعبية العارمة التي اندفعت نحو الشارع للمطالبة بالإصلاحات بعد وصول تدهور الأوضاع إلى حدود لا يمكن السكوت عنها لأنها أخذت تمس جميع مفاصل حياة المجتمع. وقد زاد من عزم التظاهرات واستمرارها، الدعم العلني الذي قدمته المرجعية الدينية وانتقادها المباشر لأداء الحكومة والقوى السياسية الفاعلة وفشلها في قيادة البلاد وحماية سيادتها وثرواتها.

ومع بدء الحراك الحكومي تحت يافطة إجراء الإصلاحات في الحكومة وهياكلها الإدارية والعسكرية، برزت التناقضات في مواقف القوى والأحزاب المؤيدة والمعارضة لتلك الإصلاحات. ورغم إعلان جميع القوى تأييد الإصلاحات فقد ظهر ان لكل منها وجهة نظره في التعامل معها بما يحفظ مصالحها.

وكانت القوى الأبرز المؤيدة لإصلاحات العبادي ضمن التحالف الوطني الذي ينتمي إليه العبادي هما التيار الصدري وبعده المجلس الأعلى بدرجة أقل، اللذان أعلنا ضرورة ان تكون الإصلاحات حقيقية وخاصة ما يخص تشكيل حكومة جديدة تقودها كفاءات متخصصة لتتمكن من مواجهة الأزمة الحادة والتحديات الأمنية والاقتصادية، مع تأكيد السيد مقتدى الصدر بقوة على أن تكون الوزارة الجديدة بعيدة عن تأثير الأحزاب السياسية وليس كما تريد أغلب قوى التحالف الوطني أن يكون التغيير شكليا ويحافظ على امتيازاتها في بقاء وزراءها ومصالحها. وظهر الخلاف بين قوى التحالف في عدم تمكن قياداته من التوصل إلى الاتفاق على تشكيلة الحكومة الجديدة وآليات عملها وبرنامجها، وذلك بالرغم من عدة اجتماعات عقدت بينها، وهو الأمر الذي دفع السيد مقتدى الصدر إلى اللجوء إلى قدرته على تحريك الشارع، فنظم تظاهرات حاشدة قادها بنفسه وطرح مشروعه الإصلاحي الذي هدد فيه الحكومة بضرورة إجراء تغييرات حقيقية خلال 45 يوما، أو يتخذ التيار الصدري إجراءات منها الانسحاب من التحالف الوطني واجتياح أتباعه للمنطقة الخضراء، كما أطلق الصدر تسمية «التخالف» بدل «التحالف» الوطني على الائتلاف الذي يجمع القوى الشيعية ويقود البلاد فعليا.

وهو الأمر الذي صعّد الضغوط التي تقوم بها القوى الشيعية المناوئة للتغيير الحقيقي، ووصلت إلى التهديد بسحب الثقة من العبادي أو تغيير الرئاسات الثلاث، كجزء من التغيير المرتقب للحكومة.

ولم يكن التحالف الوطني الوحيد الذي لا يريد إصلاحات جذرية في عمل الحكومة، بل كان هناك طرف خفي يعمل على إفشال جهود العبادي، وهو مافيات الفساد المتغلغلة في كل كيان الدولة والمستندة إلى دعم وتحالف قوي مع الكثير من القوى السياسية الفاعلة، لذا بقيت المافيات في منأى عن الحساب حتى الآن، والتي ليس من مصلحتها إجراء تغييرات حقيقية قد تفضي إلى كشفها ومحاكمتها إضافة إلى تعطل مصالحها.

وبدورها، مارست الميليشيات المنضوية في الحشد الشعبي ضغوطا على العبادي من خلال التلويح بقوتها العسكرية واختلاق مشاكل وتحديات للحكومة رغم دقة ظروف التحديات الأمنية التي يواجهها البلد. وبرزت حدة الخلافات بين زعماء الفصائل المسلحة بعد التظاهرات الاحتجاجية التي قادها مقتدى الصدر في بغداد خلال الجمعتين الماضيتين ما دفعهم إلى تبني مواقف متباينة من التغيير الحكومي وتحركات الصدر، بين مؤيد ومعارض. حيث عمدت بعض الفصائل المدعومة من إيران والتي يتحكم بها رئيس الحكومة السابق نوري المالكي بشكل غير مباشر، بمحاولات لي ذراع كتل التحالف المطالبة بالإصلاح والتي تتمثل بالصدريين وجزء من حزب الدعوة يقوده العبادي فضلا عن بعض الأصوات المستقلة المؤثرة داخل البرلمان، وهددت بعضها بالانسحاب من ساحات المعارك مع تنظيم «الدولة» لإيصال رسالة مفادها أن القوى الشيعية المسلحة ستترك العراق لتنظيم الدولة في حال استمرت المطالبة بالإصلاحات من قبل بعض ساسة الشيعة.

ومن الجانب الآخر، فإن هناك العديد من القوى من خارج التحالف الوطني، التي تعاملت بحذر وقلق مع إصلاحات العبادي، وخاصة القوى السنية والكردية والعلمانية في مجلس النواب، التي تخشى ان تكون الإصلاحات على حساب حصتها ودورها في الحكومة وأن تؤدي إلى استفراد التحالف الوطني في الحكومة بحجة الاستعانة بالتكنوقراط بعيدا عن الأحزاب. لذا طالبت تلك القوى، العبادي بترك الانضمام إلى حزبه الدعوة والتحالف الوطني، للتخلص من الضغوط التي يمارسونها عليه لعرقلة جهوده، وللتمكن من تشكيل حكومة تغيير حقيقية مدعومة من الشعب والمرجعية الدينية لإنقاذ البلاد.

وعكست تصريحات بعض السياسيين المشاركين في العملية السياسية، استمرار الخلافات بين الكتل السياسية وعدم الاتفاق على تفاصيل تشكيل الحكومة. حيث أشار النائب الحالي والرئيس السابق لمجلس النواب محمود المشهداني، من كتلة «متحدون» إلى ضرورة ان يصار إلى تسوية تاريخية لمغادرة المحاصصة، وضرورة «حل هذه الأزمة بفريق خبراء مهنيين متجانسين، لكي يعبر العراق هذه الأزمة، ولا نحتاج لخبراء سياسيين تابعين للقوى السياسية الحالية».

وأكد: «تنقصنا الرؤى الاقتصادية والحلول للأزمة» منوها إلى أن «المطلوب حاليا هو عدم التمسك بالامتيازات، وتشكيل فريق تكنوقراط مستقل لوضع تصور لما يريده العراقيون، لكي يتم الاتفاق عليه وإقراره، وإلا فإن هذه الأزمة ستطيح كل المكتسبات التي تحققت، إن كانت هناك مكتسبات» حسب تعبيره.

وضمن السياق، اعترف رئيس كتلة اتحاد القوى الوطنية النيابية، أحمد المساري، للصحافيين قائلا: «إننا لم نتفق على آلية موحدة لتشكيل الحكومة الجديدة» مطالبا العبادي بتقديم آلية واضحة ومكتوبة، مشددا على أن «التغيير المطلوب هو في المنهج وليس في تغيير الوجوه فقط». وقال المساري: «طرحنا على العبادي أربعة أسئلة طلبنا الإجابة عليها في اللقاء القادم، عن عدد الوزارات المطلوب تغيير وزرائها، وما هي آليات التغيير، وهل ستكون حكومة أغلبية أم شراكة وما هو برنامج الحكومة الجديدة»؟ وحذر من أن «تحالف القوى الوطنية قد لا يشارك في حكومة العبادي إذا لم يكن برنامجها مقنعا لنا».

أما التحالف الكردستاني، فإنه أعلن عقب الاجتماع مع رئيس الوزراء حيدر العبادي، أنه ناقش آليات التغيير الشامل في الحكومة، مبينا أن العبادي كان يدعو إلى تغيير جميع الوزراء من دون استثناء. وأوضح التحالف الكردي انه طرح على العبادي وجهة نظره، بضرورة الإبقاء على مبدأ التوازن بين جميع المكونات، وهذه إحدى المعايير التي يعتمدها التحالف، ونوعية الوزارات التي ستكون لحصة الأكراد، لأن نسبة الكرد في الحكومة تمثل 20% حسب التحالف الكردي.

وفي خضم هذا الصراع، تلوح في الأفق آمال بحصول تغيير في المعادلة السياسية السائدة في العراق والمبنية على المحاصصة وتوافق المصالح للقوى السياسية على حساب مصلحة الشعب العراقي.

فقد أعلنت مجموعة من النواب، عن تشكيل كتلة نيابية وطنية تضم نوابا من مختلف الكتل وبغض النظر عن الدين والقومية والطائفة، لتكون قوة مؤثرة قادرة على دعم وتشجيع حيدر العبادي على إتخاذ خطوات إصلاحات حقيقية وتشكيل وزارة تكنوقراط بعيدا عن تأثير الأحزاب والقوى المهيمنة على مجلس النواب والحكومة الحالية. وهذه الدعوة تلتقي مع مساعي السيد الصدر لتشجيع العبادي لمقاومة ضغوط كتلته التحالف الوطني وحزبه الدعوة المعرقلة لتغييرات حقيقية.

وأعلن رئيس كتلة الأحرار (الصدرية) النيابية، ضياء الأسدي، خلال مؤتمر صحافي في مجلس النواب، بحضور عدد كبير من النواب، إن هذا التجمع قرر دعم الإصلاح السياسي والوقوف مع الجماهير في مطاليبها لتحقيق العدل والمساواة لخلق عراق آمن مستقل، وأن النواب سيتصدون لمشروع تقسيم العراق أو زعزعة أمنه أو انهيار اقتصاده، وسيعملون لتصحيح العملية السياسية.

وشدد على أن المنضمين لهذا التجمع «سيقفون وقفة واحدة تعبر حدود الدين والطائفة والقومية والايديولوجيات، ليكونوا عراقيين يمثلون العراق وهم على قدر المسؤولية ان شاء الله».

وإذا ما كتب النجاح لهذا التكتل الجديد الذي سيدعمه الشعب العراقي والمرجعية، فإنه سيكون نقطة انطلاق نحو تلبية مطالب المتظاهرين وتصحيح الأوضاع المتدهورة بعيدا عن سياسة المحاصصة والتوافقات بين الأحزاب التي جرت على البلد الخراب والدمار بكل أنواعه وأشكاله، رغم وجود مخاوف من أن يكون تأثير التحالف الوطني على رئيس الوزراء هو الحاسم في تحديد مسار الأحداث الآتية في البلاد.

Volume 27 - Issue 8402 Sunday 13 March 2016

خلاف الصدريين والفرقاء الشيعة أقر به الخزعلي ومقتدى منذ احتلال العراق

وائل عصام

تمتد خلافات الصدريين والفصائل الشيعية الأخرى في العراق لعقود طويلة، تمحورت حول الزعامة السياسية للقوى الشيعية في البلاد.

في بعض المراحل لعب الانتماء العربي لقادة ومرجعية التيار الصدري دورا كعامل تمايز في النزاع مع فصيلي الدعوة والمجلس الأعلى. ورغم ان أبرز زعماء الصدريين ومؤسس حزب الدعوة محمد باقر الصدر أعلن تاييده لثورة الخميني الإيرانية مبكرا ودفع حياته ثمنا لذلك، إلا ان اتباعه انقسموا بعد ذلك لتيارين، تيار مقرب من مؤسسات إيران الأمنية ممثلا بحزب الدعوة والمجلس الأعلى الذي تفرع عنه بقيادة الحكيم، وتيار أقل ارتباطا تنظيميا على الأقل بالمؤسسات الإيرانية ممثلا بالتيار الصدري المتمركز في العراق بزعامة محمد صادق الصدر ووالد مقتدى الصدر. وفي ظل سيطرة مراجع غير عربية على الحوزات العلمية الشيعية، كالإيراني السيستاني والنجفي والفياض الأفغاني والباكستاني، برز محمد الصدر بالتسعينيات كمرجع شيعي عربي في العراق له ملايين المقلدين في أوساط الطبقات الشعبية الفقيرة كمدينة الصدر في بغداد. وفي أواخر التسعينيات أتخذ قرارا جريئا بإقامة صلاة الجمعة في مدن العراق الشيعية في ظل حكم الرئيس السابق صدام حسين، ما أذكى حالة العداء مع المراجع والقوى الشيعية الموالية لإيران والتي كانت ترى انه لا يجوز إقامة صلاة الجمعة إلا في ظل حكم إمام شيعي، وأشعل حرب اتهامات شيعية شيعية نالت من الصدريين لدرجة وصفهم بحلفاء نظام صدام حسين الذي كان بدوره يريد إيجاد وتقوية مرجعية شيعية عربية ظنا منه انها قد تعادي نظيرتها المقربة من إيران، في وقت توفي فيه المرجع الشيعي الخوئي وأراد علماء النجف الشيعة (غير العرب في معظمهم) أرادوا إبعاد وإضعاف مكانة محمد صادق الصدر.

في ظل هذا الصراع اغتيل محمد صادق الصدر في أواخر التسعينيات، وكالعادة اتهم النظام العراقي باغتياله. رغم ان نظام صدام لم يكن يخشى من إعلان إعدام أي من معارضيه علنا كما فعل بجده محمد باقر الصدر وشقيقته، ولكن اتهامات أخرى وجهت لخصوم الصدر الموالين لإيران، الذين وجدوا فيه منافسا على زعامة الشيعة السياسية في العراق وخارجا عن بيت الطاعة الإيراني. وفي جميع الأحوال لا يمكن حسم الطرف الضالع باغتيال الصدر ان كان النظام العراقي أو خصومه الشيعة.

لكن الاتهام بضلوع إيران باغتيال محمد الصدر كان متداولا على لسان عدد من قيادات الصدريين، الذين يكنون عداء لبعض رموز القوى الشيعية خارج العراق، وبالذات للحكيم وللخوئي، وبعد سقوط بغداد بيوم واحد فقط، وصل عبد المجيد الخوئي أحد أحفاد المرجع الشيعي الذي كان يسيطر على حوزة النجف منافسا محمد صادق الصدر، ولم ينتظر أتباع مقدى الصدر سوى ساعات حتى هاجموه وقتلوه مع الكليدار في النجف، في عملية تبدو ثأرية لدور الخوئي بالتحريض على قتل محمد الصادق الصدر.

بعدها بيوم واحد وصلت إلى الكوفة للقاء مقتدى الصدر، وظهر يومها على شاشة فضائية عربية لأول مرة، وألقى خطابا تحريضيا ضد القوات الأمريكية، خارجا عن الأسلوب الذي اعتمدته باقي القوى الشيعية التي آثرت التعاون مع الأمريكيين واستخدمتهم كرافعة لهم في العراق الجديد، كونهم من حقق أهدافهم باسقاط عدوهم صدام حسين.

بعدها بعام، كانت حمى الخلافات الشيعية الشيعية تتصاعد، وصولا لمعركة النجف، التي كادت ان تفجر نزاعا مسلحا بين الصدريين وتيار الحكيم، شهدت حينها النجف مظاهرات واضطرابات حادة بين الصدريين الذين كانوا يسيطرون على مرقد الإمام علي وباقي الفصائل الشيعية وخصوصا تيار الحكيم، قبل ان تنجز تسوية أمنت حلا وسطا بين الفرقاء الشيعة، تدخل فيها حتى العلمانيون منهم كأحمد الجلبي الذي أسس حينها ما يعرف بالبيت الشيعي. بعد سلسلة لقاءات حضرها بمرقد الإمام علي مع ممثلي القوى الشيعية، لتنتهي المعركة الأولى للنجف بتسوية اضطرت حتى الأمريكيين للقبول بها بعد ان توغلت قواتهم في مقبرة النجف واشتبكت مع مقاتلي جيش المهدي حديث التكوين حينها.

التقيت حينها بقيس الخزعلي، القائد الحالي لعصائب أهل الحق في العراق، كان المساعد الأقرب لمقتدى الصدر، والناطق الإعلامي باسمه، قبل ان ينشق عنه ويؤسس عصائب الحق الموالية لإيران، في دائرة خلاف داخلية شيعية جديدة، وهذه المرة صدرية صدرية. تحدث الخزعلي عن الأوصاف التي كان يطلقها تيار الحكيم على الصدريين واتهامهم بالبعثية، في حديث لم يتم عرضه تلفزيونيا حتى الآن، ولعل أبرز ما قاله قيس الخزعلي حينذاك أوضح لي بلا شك الموقف العدائي الذي يحمله التيار الصدري ضد باقي القوى الشيعية المقربة من إيران، وبالذات المجلس الأعلى الذين ميز تياره عنهم بما وصفه حينها بالشيعية العروبية. طبعا قيس الخزعلي وثق تحالفاته لاحقا مع إيران وأصبح من أفضل حلفائها وصاحب أحدى أقوى الميليشيات الشيعية في الحشد الشعبي، تماما كما فعل مقتدى الصدر الذي احتوته إيران وضمته لوصايتها، خاصة ان مرجعه الديني بات في قم الإيرانية وليس النجف وهو آية الله كاظم الحائري.

ولكن العلاقة الوطيدة للتيار الصدري مع إيران لم تعن في أي حال من الأحوال خفوت الحساسيات الشيعية الشيعية، ليس فقط على مستوى الخلافات السياسية، ان كان مع حكومة العبادي أو حتى ضمن الحشد الشعبي بين فصيل الصدر وباقي فصائل الحشد كقوات بدر والعصائب، بل نتحدث هنا على المستوى الشعبي. فحتى اليوم تشيع المناوشات والتجمات بين أنصار الفصيلين، وقبل أيام كانت أحدى الصفحات التابعة لمؤيدي الحكيم تستشهد بفيديو قديم للمرجع الشيعي محمد سعيد الحكيم وهو يصف مقتدى الصدر بـ«الطفل الجاهل المخربط، ما اله فصل ولا أصل»!.

وحتى اليوم فان الحوادث والخلافات السياسية بين الصدريين والفرقاء الشيعة في الحكومة العراقية ترجع لما أسلفنا من خلفيات وتاريخ مليء بنزاعات لم يفلح سوى الإيرانيين بلجمه، بصفتها الراعي والأب الذي يفصل في مشاجرات أبنائه في الفصائل الشيعية في العراق، ومن الواضح ان خطوات الصدر ولهجة التصعيد الحادة ضد رئيس الحكومة العراقية العبادي المنتمي لحزب الدعوة، ما كانت لتتم لولا الضوء الأخضر الممنوح له من إيران.

تظاهرة مناصري الصدر في ساحة التحرير

جدل واسع حول مشاركة الحشد الشعبي يسبق الإعلان عن عملية استعادة الموصل

رائد الحامد

تشكّل الحشد الشعبي من متطوعين شيعة أستجابة لفتوى أصدرها المرجع الشيعي علي السيستاني بعد يومين من سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية على مدينة الموصل في 9 حزيران/يونيو 2014 ونتج عنها تشكيل هيئة الحشد الشعبي كاطار رسمي للمتطوعين والمجموعات الشيعية المسلحة التي انضوت تحت مسمى الحشد الشعبي، مثل منظمة بدر وسرايا الخراساني وعصائب أهل الحق وحركة النجباء وغيرها من المجموعات المرتبطة بايران، إضافة إلى سرايا السلام الجناح العسكري للتيار الصدري الذي يحاول تبني سياسات ذات صبغة شيعية عراقية بعيدة إلى حد ما عن سياسات المجموعات الشيعية المسلحة الأخرى.

ترفض أغلب القوى السُنّية مشاركة الحشد الشعبي في عمليات الموصل، وعقد مجلس محافظة نينوى، اجتماعا استثنائيا في 29 شباط/ فبراير، قرر خلاله «رفضه مشاركة الحشد الشعبي في عمليات تحرير نينوى» بحسب نص قرار المجلس الذي اطلعت «القدس العربي» على نسخة منه. وطالب المجلس الحكومة المركزية وقيادة التحالف الدولي بقبول «تطوع أبناء عشائر نينوى من كافة المكونات وتجهيزهم وتسليحهم».

وكانت «القدس العربي» تحدثت مع عضو مجلس محافظة نينوى، خلف الحديدي، الذي أكد على «عدم الحاجة لمشاركة الحشد الشعبي والاكتفاء بسبعة آلاف مقاتل من الشرطة المحلية، إضافة إلى مشاركة قوات البيشمركه الكردية ووحدات من الجيش العراقي التي تتلقى أوامرها من وزارة الدفاع، وهي قوات منضبطة ومسؤولة وملتزمة بتعليمات رأس المؤسسة العسكرية الرسمية».

تنفي قيادات محلية ان تكون ثمة أبعاد طائفية تقف خلف «رغبتها» في استبعاد الحشد الشعبي من المشاركة في العمليات القتالية، وترى ان ذلك يعود لـ «رفض أبناء المحافظة التي رسخت في أذهانهم صورا سيئة لممارسات بعض فصائل الحشد الشعبي التي أدانتها قيادات دينية شيعية، من بينها السيد مقتدى الصدر» حسب ما قاله عضو مجلس محافظة نينوى، خلف الحديدي، الذي يرى إمكانية تشكيل قوة بديلة عن الحشد الشعبي تضم «أبناء المحافظة من العرب والأكراد والمسيحيين والشبك والايزيديين والشيعة والسنة».

من جانب آخر، أكد الناطق باسم هيئة الحشد الشعبي، كريم النوري، في تصريحات صحافية، نهاية شباط/ فبراير، ردا على قرار مجلس محافظة نينوى، ان قرارا كهذا «بيد القائد العام للقوات المسلحة، حيدر العبادي». ووجه انتقادا للمجلس متهما إياه «بعدم القدرة على حماية المدينة» لكن قيادات أخرى في الحشد الشعبي، أكدت على «عدم أحقية الحكومة في تقرير مشاركة الحشد في تحرير مدينة الموصل».

ووصف النوري، في تصريحات لاحدى الإذاعات المحلية، قرار مجلس محافظة نينوى، بانه «قرار لا قيمة له» لكن نائب رئيس مجلس المحافظة، نور الدين قبلان، قال في تصريحات اطلعت عليها «القدس العربي»، «ان على رئيس الوزراء حيدر العبادي الأخذ بقرار مجلس محافظة نينوى الرافض لمشاركة الحشد الشعبي لانه قرار يمثل رأي أهالي المحافظة». ويرى محللون، ان قرار مجلس المحافظة يندرج في إطار تجنب إثارة البعد الطائفي الذي تعززه مشاركة الحشد الشعبي وإمكانية استثمار تنظيم الدولة الإسلامية لهذا البعد في زج أبناء الموصل للقتال إلى جانبه في المعركة المقبلة. إلى جانب تحديات البعد الطائفي في مشاركة الحشد الشعبي، ينظر العرب السُنّة بريبة إلى الارتباط المباشر بين إيران والحشد الشعبي الذي لا تخفي قياداته هذا الارتباط وتلقيها الدعم والإسناد من إيران. وفي الوقت ذاته فقد أعلنت فصائل عدة «بيعتها» للمرشد الأعلى للثورة الإسلامية، علي خامنئي، مثل سرايا طليعة الخراساني، التي ترتبط مباشرة بمكتب المرشد الأعلى، إضافة إلى حزب الله العراقي وعصائب أهل الحق، ومنظمة بدر بجناحها العسكري التي هي إيرانية المنشأ والتدريب والتمويل.

وكان رئيس الوزراء، حيدر العبادي، أكد على مشاركة الحشد الشعبي في «عملية تحرير الموصل» خلال استضافته في البرلمان العراقي في 20 شباط/ فبراير.

اما رئيس قائمة متحدون، أسامة النجيفي، فقد أعلن لوسائل إعلام محلية موقف القائمة الذي يركز على «إعطاء الدور الأكبر لتحرير الموصل إلى أبناء الموصل وحشدها الوطني لامتلاكهم الرؤية والدافع لتحرير مدينتهم» ويرى عدم ضرورة مشاركة الحشد الشعبي «والاكتفاء بالحشد الوطني وقوات الجيش العراقي».

ويقف التحالف الكردستاني موقفا منسجما مع موقف القوى السياسية في نينوى بعدم مشاركة الحشد الشعبي على خلفية خشية التحالف من تواجد مستقبلي للحشد في المناطق «المتنازع» على عائديتها بين العرب والأكراد بعد تمسك الحشد الشعبي بمناطق استعادها من تنظيم الدولة في محافظتي ديالى وكركوك، وهي مناطق متَنازع عليها، وفق الدستور العراقي.

على الرغم من عدم الإعلان الرسمي عن بدء العملية العسكرية لاستعادة الموصل، لكن عمليات الاستعداد والتمهيد للمعركة قد بدأت فعلا منذ أسابيع بمشاركة فصائل الحشد الشعبي.

ومن بين العمليات التمهيدية ما شهدته منطقة غرب سامراء المعروفة باسم «جزيرة سامراء» من عمليات هجومية شنتها تلك الفصائل لإستعادة تلك المناطق التي تعني قطع طريق امداد الموصل– أنبار عن الطريق المار عبر جزيرة سامراء.

يدرك تنظيم الدولة أهمية معركة الموصل، ويحاول قدر استطاعته منع تقدم فصائل الحشد عبر الطريق البري الذي يمر شمال مدينة بيجي عبر سلسلة جبال مكحول، وضمن حسابات التنظيم فانه يبدي استعدادا لمواجهة فصائل الحشد الشعبي التي تصر على المشاركة في معارك الموصل وتخوض مواجهات عنيفة مع مقاتلي تنظيم الدولة شمال بيجي لفتح الطريق أمام مقاتليه وصولا إلى الموصل بدعم جوي من طيران التحالف الذي يشن عشرات الغارات على مواقع التنظيم شمال بيجي وفي مناطق جبال مكحول.

وتبذل الولايات المتحدة جهوداً كبيرةً لإعادة بناء القوات الأمنية العراقية التي تَسببَ انهيارها في سقوط مدينة الموصل، ومدن أخرى، بيد تنظيم الدولة الإسلامية منتصف العام 2014. كما تسعى باتجاه آخر لتدريب المقاتلين السُنّة في إطار برنامج أمريكي لتدريب المتطوعين من أبناء العشائر السُنيّة.

لكن الولايات المتحدة ستظل بحاجة إلى فصائل الحشد الشعبي لتغطية مناطق أخرى بما يتيح للوحدات النظامية سعة في المشاركة بعمليات الموصل. وتتجنب القيادات الأمريكية الدخول في خلافات مباشرة مع الحشد من واقع قدرته على خلق المزيد من المشاكل فيما لو قررت قياداته الانسحاب من مناطق سيطرته في مواقع حساسة غرب العاصمة، مثل محيط الفلوجة وقضاء الكرمة وناحية عامرية الفلوجة والعديد من مناطق وقرى قضاء أبو غريب.

وتتميز قوات الحشد الشعبي بكثرة عددها وقلة كفاءتها وإنتهاجها سلوكا طائفيا انتقاميا أثناء المعارك بعد سيطرتها على المدن السنية. وتحاول الولايات المتحدة استبعاد مشاركة الحشد في معارك استعادة الموصل المرتقبة بعد نجاح عملية استعادة مدينة الرمادي نهاية العام الماضي دون مشاركة الحشد الشعبي، وانعكاس ذلك على وضع حقوق الإنسان التي لم تسجل انتهاكات فاضحة شبيهة بتلك التي أعقبت عملية استعادة مدينة تكريت، والتي أدانتها منظمات دولية، وقيادات دينية وسياسية من بينها، زعيم التيار الصدري، والمرجع الشيعي الأعلى علي السيستاني الذي دعا ممثله في خطبة الجمعة إلى احترام أرواح المدنيين وممتلكاتهم.

ولا يمكن للقوات الكردية أو الشيعية فرض الأمن في المناطق السُنيّة دون مشاركة فاعلة وعريضة من المجتمع السُنّي.

وتسعى الولايات المتحدة إلى بناء قوة من العرب السُنّة من خلال أبناء العشائر الخاضعين للبرنامج الأمريكي لتدريب المقاتلين السُنّة قادرة على المساهمة في الجهد القتالي لاستعادة المدن والسيطرة عليها كمرحلة أولى، ومنع سقوطها ثانيةً بيد تنظيم الدولة الإسلامية، كمرحلة ثانية.

كما ان بناء قوة من العرب السُنّة من شأنها الحد من تنامي النفوذ الإيراني في العراق؛ وبناء قواعد اسناد محلية من قوات حليفة للولايات المتحدة لتقليل التدخلات الخارجية المباشرة؛ وتحجيم دور قوات الحشد الشعبي العامل الأساس في تنامي النفوذ الإيراني بالعراق في وسط وغرب العراق.

متظاهرو ساحة التحرير يحملون العلم العراقي

Volume 27 - Issue 8402 Sunday 13 March 2016

خريطة صراعات الحشد الشعبي والتيار الصدري

عبيدة الدليمي

تصاعدت حدة الخلافات بين قيادات الحشد الشعبي والحكومة المركزية ممثلة برئيس الوزراء حيدر العبادي على خلفية سعي الأخير للحد من هيمنة الحشد على قرارات المؤسسة العسكرية على الرغم من تصريحات في مناسبات عدة أكد فيها على ان الحشد الشعبي جزء من المؤسسة الأمنية العراقية، ويشكل العمود الفقري لها، ويرتبط مباشرة بالقائد العام للقوات المسلحة عن طريق هيئة الحشد الشعبي.

مراقبون مطلعون أشاروا إلى ان قرار رئيس الوزراء بإقالة أبو مهدي المهندس، نائب رئيس هيئة الحشد، وتعيين الفريق الركن محسن الكعبي بدلا منه، قد يكون السبب الأبرز الذي أدى إلى خلافات الفصائل مع الحكومة من جهة، وخلافات بين الفصائل ذاتها من جهة أخرى.

وتتركز معظم الخلافات وأوسعها، بين فصائل متوافقة مع رئيس الوزراء ومؤيدة لقراراته، مثل سرايا السلام، الجناح العسكري للتيار الصدري، وفصائل مسلحة مرتبطة بالمجلس الأعلى الإسلامي، من جهة، ومن جهة أخرى، فصائل أخرى تدين بالولاء لإيران وهي على توافق تام مع رئيس الوزراء السابق نوري المالكي، وداعمة له في توجهات يراد منها الهيمنة على القرار السياسي والأمني والعسكري، وفي مقدمتها حركة عصائب أهل الحق التي يقودها رجل الدين الشيعي المنشق عن التيار الصدري، قيس الخزعلي، وحزب الله العراقي وسرايا الخراساني وغيرها.

تتخذ القوى الشيعية مواضع جديدة تتخندق فيها ضمن معسكر تدعمه إيران يلتزم بوحدة التحالف الوطني التي يرى مراقبون ان الإصلاحات التي من المزمع إجراءها من قبل رئيس الوزراء تشكل تهديدا لوحدته وصدارته للمشهد السلطوي في العراق. وفي مقابل هذا، يبرز معسكر آخر يقوده زعيم التيار الصدري يحاول ان يعطي صبغة وطنية عراقية.

وعلى ما يبدو، فان خريطة الخلافات بين الكتل الشيعية انعكست على العلاقات بين الفصائل المسلحة التي باتت تمثل أجنحة عسكرية لتلك الكتل. وتعد سرايا السلام المرتبطة بالتيار الصدري، الفصيل الأكثر خلافا مع الفصائل الأخرى، وتصاعدت حدة هذه الخلافات بشكل متسارع بعد ان قاد زعيم التيار تظاهرات لجمعتين متتاليتين دعت إلى تشكيل حكومة تكنوقراط ومحاربة الفساد في مؤسسات الحكومة والدولة العراقية.

وحتى اللحظة تشير قراءة خريطة التحالفات والخلافات إلى موقف المجلس الأعلى الإسلامي الذي يتزعمه عمار الحكيم، كموقف هو الأقرب إلى موقف التيار الصدري في دعم سياسة رئيس الوزراء الداعية إلى الإصلاح السياسي، والقضاء على الفساد، وملاحقة الفاسدين، وفق رؤية مشتركة للتيار الصدري والمجلس الأعلى تتلخص في تنفيذ مشروع الإصلاح الحكومي عبر لجنة «موثوقة» بعيدة عن «التحزب والشخصنة» بحسب تصريحات لقيادي في المجلس الأعلى لوسائل إعلام محلية.

وتتزامن خلافات الفصائل مع الأزمة الاقتصادية التي يمر بها العراق بعد تدني أسعار النفط في السوق العالمية، واستمرار الانفاق العسكري متشعب الفروع على التشكيلات العسكرية النظامية وغير النظامية التي تمثلها فصائل الحشد الشعبي التي تتقاضى رواتبها من خزينة الدولة المركزية.

وتشكل المنافسة على تقاضي الرواتب سببا من أسباب الخلافات والصراعات بين المجموعات الشيعية المسلحة المعروفة باسم «الميليشيات» التي تتنافس لزج المزيد من مقاتليها في منظومة هيئة الحشد الشعبي لما توفره هذه الهيئة من امتيازات تتعلق بالرواتب وامتيازات خاصة بالقيادات، إضافة إلى التسليح اللازم.

وكان قرار رئيس الوزراء بتخفيض عدد منتسبي الحشد الشعبي بنسبة 30% بسبب «الأزمة المالية التي يشهدها العراق» سببا من أسباب الأزمة الداخلية التي تعيشها فصائل الحشد الشعبي، وهو القرار الذي سيؤدي إلى تسريح «ما لا يقل عن أربعين ألف منتسب والإبقاء على مائة الف منتسب فقط تابعين لهيئة الحشد الشعبي»، حسب تصريحات منقولة عن مسؤولين في الهيئة.

وترى حركة عصائب أهل الحق، ان قرار تسريح عشرات آلاف من الحشد الشعبي يأتي ضمن «مؤامرة وضغوط تمارسها الإدارة الأمريكية على رئيس الوزراء، حيدر العبادي، الذي استجاب لها لتقليص دور الحشد الشعبي»، بحسب تصريحات منسوبة إلى المتحدث الرسمي باسم عصائب أهل الحق، جواد الطليباوي.

في مقابل اعتراضات حركة عصائب أهل الحق، تؤيد سرايا السلام قرارات تخفيض أعداد منتسبي الحشد الشعبي الذي يعاني من ترهلات كبيرة بسبب ارتفاع أعداد المقاتلين الوهميين المعروفين باسم «الفضائيين» الموجودين فقط في سجلات الفصائل وتشكل نافذة لتحقيق مكاسب مادية لقادة الفصائل والقيادات البارزة، كما يدعو التيار الصدري إلى دمج مقاتليه في المؤسسة الأمنية والعسكرية.

وعلى الرغم من الأعداد الكبيرة لسرايا السلام ضمن الحشد الشعبي، لكن زعيم التيار الصدري يدعو بشكل دائم إلى إعادة العمل بقانون الخدمة الإلزامية لسحب الكرة خارج ملعب الحشد الشعبي وتحقيق توازن عادل لانتساب العراقيين إلى الوحدات النظامية بعيدا عن الأسس المعتمدة بعد حل الجيش والمؤسسات الأمنية بقرار أمريكي اعقب غزو العراق.

الدعوة إلى التجنيد الالزامي لا تلقى قبولا من فصائل الحشد الشعبي الأخرى، كما هو حال دعوة زعيم التيار الصدري الأخرى بدمج مقاتلي الحشد الشعبي في القوات الأمنية العراقية للحد من هيمنة قياداته على ملفات امنية هي من اختصاص مؤسسات الدولة الرسمية، كما يحدث في بعض مدن ديالى الخارجة عن سيطرة القوات الأمنية العراقية.

ومنذ أسابيع طغت على المشهد الشيعي حالة الخلاف الذي لم تعد القوى الشيعية قادرة على التستر عليه، أو تجاوزه وحله عبر وسطاء محليين أو إقليميين قبل ان تتصاعد حدته وينتقل اما إلى تبادل الاتهامات على وسائل الإعلام أو عبر عمليات اغتيال منظمة يتم تبادل الاتهامات بين فصيلين أو أكثر.

وكانت عصائب أهل الحق قد اتهمت سرايا السلام باغتيال القيادي البارز رضا الركابي في منزله ببغداد الجديدة، شرق العاصمة، في 11 شباط/ فبراير اندلعت بعدها مواجهات مسلحة بين الفصيلين. وشهدت المنطقة نفسها في 14 شباط/ فبراير تفجير عبوة ناسفة على موكب لقيادات في سرايا السلام أدت إلى مقتل قيادي واصابة اثنين اخرين، ونقل شهود عيان لوسائل اعلام مختلفة، انتشار المئات من مقاتلي سرايا السلام في المنطقة مع غياب تام لمقاتلي حركة عصائب اهل الحق من المنطقة التي هي المعقل الرئيس للحركة.

من جانب آخر، خرجت سرايا السلام بتظاهرة مسلحة بعد ظهر الجمعة 04 آذار/ مارس. وكان مسؤول في التيار الصدري قد أعلن عن «معلومات موثقة عن أكثر من مخطط لاستهداف زعيم التيار» وهو سبب انسحاب سرايا السلام من محافظة صلاح الدين إلى العاصمة بغداد، وهو الانسحاب الذي أدى إلى خلافات واسعة مع فصائل أخرى، مثل عصائب أهل الحق التي اتهمت سرايا السلام بـ «التخاذل والخيانة».

وأخيرا، لم تكن إيران الوحيدة التي دخلت على خط نزع فتيل الخلافات، فقد أدرك المرجع الشيعي الأعلى علي السيستاني خطورة الخلافات التي تعصف بالبيت الشيعي ونأى بنفسه عن التدخل في الشؤون السياسية، حسب ما قاله ممثله في خطبة الجمعة، وهو إعلان يمثل تطورا مهما في العلاقات بين الكتل الشيعية التي عادة ما تلجأ إلى المرجع الشيعي كلما بدت بوادر خلافات عاصفة يخشى ان تؤدي إلى انشقاقات بينية في البيت الشيعي تُفقدهم الأغلبية السياسية التي من خلالها يقودون السلطة في العراق.

ويبقى رهان كل من الولايات المتحدة والقوى العراقية خارج إطار البيت الشيعي على قدرة رئيس الوزراء في المضي قدما بتحقيق وعوده الإصلاحية والحد من هيمنة فصائل الحشد الشعبي على المؤسسة العسكرية التي يقودها، وبالتالي استثمار الدعم الأمريكي لتوجهاته من أجل وضع حد لتنامي النفوذ الإيراني عن طريق أدواته التوسعية التي تعززها القدرات المتزايدة لفصائل الحشد الشعبي.

مقتدى الصدر وإيران: الاغتيال أم العشق الممنوع؟

نجاح محمد علي

كان العام 2008 علامة فارقة في علاقة زعيم التيار الصدري مقتدى الصدر وإيران، وتحديدا يوم الثلاثاء 25 آذار/مارس 2008 مع عملية صولة الفرسان، أكبر عملية عسكرية أطلقتها الحكومة العراقية برئاسة رئيس الوزراء السابق نوري المالكي الذي أشرف عليها إشرافًا تاما في الوسط والجنوب خصوصاً البصرة، واستهدفت ما سمي حينها بفرق الموت ومنها بالطبع أو على رأسها «جيش المهدي» وعموم التيار الصدري وتفرعات نسبت إلى مدرسة الراحل الامام محمد صادق الصدر كجماعة أحمد اليماني، وهي جماعات متهمة من قبل الحكومة، بارتكاب فضائع وجرائم، شملت إغتيالات النساء والحلاقين، وقتل السنّة، والتهجير والاعتداء على الحريات بحجة تطبيق الشريعة الإسلامية.

وتم خلال العملية الاستيلاء على آلاف قطع السلاح المختلفة، وآلاف العبوات الناسفة والمتفجرات. وألقي القبض على أكثر 1200 من عناصر جيش المهدي أو المتعاطفين مع التيار الصدري، وتمكن المئات منهم، بينهم قادة بارزون في فرق الموت، من الفرار بالمئات إلى إيران. عن تلك الأيام قال اللواء الركن عبد الجليل خلف الشويلي قائد شرطة البصرة السابق، الذي نقل إلى بغداد بعد نهاية «صولة الفرسان» كانت البصرة حاضنة للإرهاب، وكان في صفوان وحدها عشرة آلاف مزرعة تخفي فيالق من الجيش، وكانت هناك مجاميع تختفي هناك ولا يمكن في حينها مواجهتها بسهولة.

ويؤكد إن ما كان يجري في البصرة «مسرحية أجنبية» بممثلين عراقيين، وأن إيران فتحت آنذاك «جبهة حرب» على أمريكا وبريطانيا هناك قبل وصول قوات هاتين الدولتين. وأشار إلى وجود جهات وراء قتل النساء لمجرد القتل لزعزعة الأمن في المدينة.

الحكاية

كانت البصرة في تلك الأيام أسيرة في يد الميليشيات والأحزاب التي شكلت بدورها فرق موت خاصة بها تقتل كل من يعارض مصالحها. كما كانت الحدود مع الدول الأخرى وخصوصاً إيران، سائبة، وكان النفط الخام ومشتقاته يسرق علانية، والثروة الحيوانية تهرب، وفي المقابل تصدّر هذه الدول الأسلحة وتفتح معسكرات لتدريب مجرمين على قتل العراقيين. وكان بعض تلك المعسكرات على مقربة من حدود العراق داخل إحدى الدول المجاورة فيما غدت الموانئ فريسة في يد الأحزاب والميليشيات وعائلات متنفذة، وكل ذلك كان يجرى على مرأى ومسمع جميع السياسيين والحكومة المحلية.

الفريق أول ركن موحان الفريجي (قائد عمليات البصرة آنذاك) قال إن الشرطة كانت تعاني من فساد صب لصالح الجماعات المسلحة، وكان التيار الصدري يثير الرعب في نفوس أفراد الشرطة والكثير منهم انتمى له وعمل تحت عباءته الواسعة، وذكر أيضا أن الجهات السياسية ويعني الأحزاب الإسلامية، غذت بعض النعرات التي خدمت إلى حد كبير الجماعات المسلحة لتبقى دائما خارج سلطة القانون.

وفي تلك الفترة أيضا وقبل عملية «صولة الفرسان» كان لابد على قائد عمليات البصرة من الاعتماد على الجيش المستقدم من خارج البصرة كما حصل في قمع تحرك أنصار اليماني، وبذلك كسرت كما يقول القادة الأمنيون معادلة الولاءات للأحزاب.

وقد سبق التحرك العسكري لصولة الفرسان، نشاط سياسي واسع لمنع وقوع ما كان يخشاه البصريون، وسموه عاصفة، تطيح بكل ما تبقى في البصرة من معالم حياة طبعاً إذا فشلت الخطة الأمنية، لأنهم كانوا يخشون سطوة مافيات الأحزاب الإسلامية وتحديداً التيار الصدري.

ولكن وبعد أن فشل التحرك السياسي الذي شهد اجتماعاته «مسجد الموسوي» الكبير في البصرة، ونفذت عمليات صولة الفرسان، نجحت إيرن باقناع مقتدى الصدر لكي يرفع الغطاء عن «المجرمين» في تياره، وقدمت له وللكثير من أتباعه المأوى والأمان.

البدايات

ينفي قادة التيار الصدري أن يكون قاسم سليماني قائد «فيلق القدس» في الحرس الثوري الإيراني هو من أسس «جيش المهدي» لمقاومة الاحتلال الأنكلو أمريكي في العراق، لكن إسماعيل الوائلي أحد أعمدة ما يمكّن تسميتها المدرسة الصدرية (نسبة إلى الإمام محمد صادق الصدر) أعلن أنه يملك وثائق عن دور سليماني في تأسيس جيش المهدي، وذكر أن رئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام في إيران أكبر هاشمي رفسنجاني مول السيد مقتدى الصدر ودعمه ودفع باتجاه أن يصمد في بعثرة أوراق الولايات المتحدة وبريطانيا، في العراق.

وتبدو رواية الوائلي قريبة من الواقع، في ضوء إمكانية الصدر المحدودة، حيث أنصاره من الفقراء، والمهمة المناطة بفيلق القدس في دعم «حركات التحرر» في العالم، وجميع الجماعات الإسلامية «الشيعية» خصوصاً في العراق بعد سقوط نظام صدام حسين.

وكشف النقاب أكثر من مرة عن تزويد فيلق القدس للجماعات العراقية بأسلحة ومعدات أربكت «قوات الاحتلال» وألحق الكثير من العمليات بدعم واشراف من قادة الحرس الثوري، وحتى قيادات ميدانية من حزب الله لبنان، أضرارا فادحة في القوات الأمريكية والبريطانية، ويسجل هنا أيضا لسليماني أنه استطاع أن ينقذ الصدر أكثر من مرة، من محاولات المالكي إعتقاله ومحاكمته بتهمة قتل السيد عبد المجيد الخوئي نجل المرجع الشيعي الراحل الامام أبو القاسم الخوئي.

وحتى مع وجود خلاف سابق كبير بين جهات نافذة في إيران والسيد مقتدى الصدر على خلفية «الصراع المرجعي» أو هكذا يضع البعض عنوانه، مرجعية والده الراحل في قبال مرجعية السيد علي خامنئي في إيران.

الاغتيال

تتهم أوساط في التيار الصدري المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق وزعيميه الراحلين آية الله محمد باقر وشقيقه عبد العزيز الحكيم، بالتورط بشكل أو بآخر ولو عن غير عمد، في توفير مناخات إغتيال الصدر والد مقتدى الذي كان يعتقد بأنه هو ولي أمر المسلمين الشيعة، وبالتالي كان ينافس خامنئي في إيران الذي يسميه أنصاره «ولي أمر المسلمين». ولن ينسى الصدريون تلك الأيام عندما تصدر الصدر قبل إغتياله في العام 1999 للمرجعية العليا، وكيف كان فيلق بدر الذراع العسكري للمجلس، يثقف مقاتليه في نشرة «محدودة التداول» قيل إن عبد العزيز كتبها، على أن «الصدر ساذج يمكن خداعه من قبل نظام صدام» وإلى غير ذلك في عملية تسقيط ممنهج، ساهمت فيه صحيفة «جمهوري إسلامي» الإيرانية التي يملك امتيازها المرشد الإيراني خامنئي.

سرايا السلام اثناء التدريبات في منطقة الزبير في البصرة

وكانت جماعة السيد الحكيم تروج لما تعتقد به من أن صدام أمر شخصيا بدعم محمد صادق الصدر وتسليمه إدارة المدارس الدينية، وإعطائه حق منح إجازة دخول الحوزة العلمية للطلبة، وحق منح إجازة الإقامة في العراق والحوزة للطلبة غير العراقيين، وأنه تم تخصيص ميزانية شهرية له، وحصر طبع الرسالة العلمية والتصدي للمرجعية العامة به دون سائر المراجع والعلماء، ونشر النظام إهداءه لرسالته العملية إلى صدام حسين في الصحافة الرسمية وردّ المكتب الصحافي لصدام على الإهداء، وتعيين المرافق الأقدم لصدام وهو روكان عبد الغفور التكريتي للتنسيق المركزي بين هذه المرجعية والقصر الجمهوري إضافة إلى منع العلماء من طبع ونشر كتبهم وبياناتهم وتداولها، والتوسع بطبع ونشر كتب وبيانات الصدر واستفتاءاته.

كذلك «ذكروا» أن النظام السابق سمح للصدر باستخدام القوة للإستيلاء على المدارس ومنها مدرسة الحكمة المتنازع عليها مع آل الحكيم، بحجة الولاية، وفرض مراجعته في منزله لاستلام إجازة الإقامة والقبول بمرجعيته وولايته وقالوا «لقد عطل السيد محمد الصدر تمديد الإقامات للمراجع والعلماء والطلبة عدة شهور وقد هددهم النظام بالطرد حتى أذعنوا للأمر الواقع وسلموا للسيد الصدر بالقيادة والمراجعة لمنزله وإدارته». وكتبوا أيضا أن النظام سمح للصدر أن يطرح علناً عنوان ولايته العامة على المسلمين، وسمح له بإقامة صلاة الجمعة وقام بتثبيتها وطمأنة الناس على رضاه عنها من خلال نشر أخبارها في الصحافة الرسمية سيما صحافة عديّ صدام حسين.

كل تلك الاتهامات مهدت كما يرى الصدريون أو من ينصفهم، لاغتيال الصدر الذي يقولون إنه خرج عن تقيته المكثفة وجاهر بالعداء للنظام فأصبح لزاما اغتياله.

وفي ذلك الواقع كان من المؤكد أن هناك جهات عراقية (معارضة) من داخل إيران تستبيح دم محمد صادق الصدر (الذي كان يؤمن بالتقية المكثفة) وتتهمه بالإنتساب إلى حزب البعث وانه صنيعة صدام. وكانوا يصفون صلاة الجمعة التي كان يقيمها بصلاة الفتنة، وكانت الأحزاب (المعارضة) العراقية المستفيد الأول من إغتياله لأن وجوده كان يفسد الطريق أمامها.

الصدر وسليماني

بعد 2003 ورغم محاولة المجلس الأعلى تهميش الصدريين رغم قواعدهم الشعبية العريضة، فقد فرض التيار الصدري نفسه كقوة صاعدة، ونجح قاسم سليماني في أن يخطب ود مقتدى الصدر الذي وصفه يوما بأنه «الرجل الأقوى في العراق» وأنه «صاحب مبدأ بالنسبة إلى قضيته وجمهوريته وحكومته ومذهبه» وقال إنه يختلف مع الإيرانيين «في بعض الأمور الجوهرية». لكنه يفضل أن يحافظ على علاقات جيدة مع الجميع «قدر الإمكان». وأشار إلى أنه يحاول فتح حوار مع الدول العربية «لكنه لا يجد أذناً صاغية» كما أنه حاول زيارة بعض دول الخليج فلم يُلب طلبه، وحاول زيارة دول الاتحاد الأوروبي.

لكنْ تشكيل الحشد الشعبي، وعودة الصدر عن قراره بتجميد «سرايا السلام» بعد حله جيش المهدي، لكي تقاتل بمفردها بعيداً عن إمرة واستشارة الايرانيين، ومحاولته المستمرة التقرب من دول خليجية معينة، بينما إيران تخوض معها حرباً باردة، في أكثر من مكان، أوصل الخلافات بين مقتدى الصدر وقاسم سليماني، إلى ذروتها، وذلك رغم أن نشاط سليماني في العراق تراجع لصالح الأمين العام للأمن القومي الإيراني علي شمخاني، ونجاح الأخير في إبعاد نوري المالكي خصم مقتدى اللدود، عن رئاسة الوزراء.

وتعود الخلافات بين الصدر وسليماني إلى ما قبل عملية تحرير تكريت العام الماضي وتتمحور حول ما يقوله الصدريون إن سليماني والقيادي في الحشد أبو مهدي المهندس، يهمشون ذكر انتصارات «سرايا السلام» على الأرض أو في مسألة مرتبات أفراد السرايا وحقوقهم التي تصرف من قبل الحكومة ويشرف على توزيعها المهندس، ضمن لجنة يترأسها لبقية الفصائل المشاركة.

وتُظهر المظاهرات الأخيرة التي دعا لها الصدر في بغداد، وتهديده باقتحام المنطقة الخضراء، أن الخلافات بينه وبين إيران وسليماني على وجه الخصوص حقيقية، بعد ورود أنباء أن سليماني أبلغ التحالف الوطني الذي يضم التيار الصدري أيضا بدعم طهران لرئيس الوزراء حيدر العبادي، ورفض الصدر طلبا من سليماني في إيقاف التظاهرات ودعم العبادي.

ولن تصل هذه الخلافات إلى طريق مسدود بعد أن تراجع الصدر بشكل لافت عن فكرة التظاهر أمام المنطقة الخضراء وحصر المظاهرات في ساحة التحرير لمنح العبادي فرصة لتغيير حكومي هو يشارك فيه بقوة، وذلك بعد تسريبات في الإعلام الإيراني بدت «متعمدة ومقصودة عن إحتمال أن يتحول مقتدى الصدر إلى «رفيق الحريري آخر» في إشارة إلى إغتياله!

Volume 27 - Issue 8402 Sunday 13 March 2016

بعد أكثر من سبعة أشهر من الحراك المدني في العراق

تداخل الديني والعلماني يشق صفوف المتظاهرين ضد الفساد

بغداد – «القدس العربي»: صفاء ذياب

منذ أكثر من سبعة أشهر، شهدت التظاهرات العراقية تحولات عديدة، بدءاً من انطلاقها في مدينة البصرة (550 كم جنوب بغداد) وتبني التيار العلماني عراقياً لها وصولاً إلى تحولات في التوجهات الفكرية والايديولوجية.

بدأت التظاهرات بحشود كبيرة من المواطنين البعيدين عن التحزب والانتماء، خصوصا الأحزاب الدينية التي كانت بعيدة، بل رافضة، للتظاهرات، حتى وصل الحد ببعض الأحزاب للتنكيل بالمتظاهرين ووصفهم بأنهم ضد الإسلام ويدعون للانحلال والفجور كما جاء في بعض تصريحات شيوخ حزب الدعوة والمجلس الإسلامي الأعلى.

وتيرة هذه التظاهرات لم تكن على مستوى واحد طوال الشهور الماضية، فبعد انطلاقها في مدينة البصرة، ومن ثمَّ مدينة الناصرية، وتلقف مدنيي بغداد لها، ابتعد الكثير من المتظاهرين عن ساحات التظاهر في مدينة البصرة، خصوصاً بعدما دخلت بعض الأحزاب الإسلامية للأخذ بثأرها من المحافظ ماجد النصراوي، المنتمي للمجلس الإسلامي الأعلى بقيادة عمار الحكيم. الأمر نفسه حدث في مدينة الناصرية التي وصل الأمر بمكتب حزب الدعوة فيها قبل أسبوعين لضرب المتظاهرين بالهراوات وبالأيدي ورفع السلاح بوجوههم، حسب ما أكد ذلك لنا شهود عيان عانوا من ضمن الذين ضربوا أو استددعتهم الشرطة للتحقيق معهم.

بغداد بقيت بعيدة عن هذه التأثيرات، وبقيت تظاهراتها متواصلة، يقل حضور المتظاهرين قليلاً ويزيد في بعض الأحيان، غير أن يوم الجمعة وساحة التحرير أصبحا ماركتين مسجلتين لمدينة بغداد. كان ذلك حتى قبل شهرين تقريباً، حتى لقاء عدد من (المدنيين) وعلى رأسهم جاسم الحلفي وأحمد عبد الحسين وغيرهما بالسيد مقتدى الصدر، زعيم التيار الصدري، ما أدى إلى ابتعاد الكثير من المتظاهرين عن ساحات التظاهر خوفاً من ربطهم بمن حضر الاجتماع وبالأجندات التي ربما ستنفذ بتخطيط إسلامي وتنفيذ مدني!

هذا اللقاء، على الرغم من أهميته، إلا أنه لم يكن مؤثراً على ارتداد الشارع العراقي وانقسامه إلى فريقين متناقضين في كل شيء، كما حدث مع إعلان مقتدى الصدر انضمامه للمتظاهرين في ساحة التحرير للمطالبة بمحاكمة الفاسدين وتغيير الحكومة العراقية من حكومة محاصصة إلى تكنوقراط. غير أن الغريب في الأمر، وهو ما دفع الكثير من المتظاهرين والمتابعين للابتعاد عن الساحة، أن التيار الصدر له يد طولى في الحكومة هذه، حكومة المحاصصة، فلديه أربعون نائباً في البرلمان تحت لواء كتلة الأحرار، ومن ثمَّ تحت يده ست وزارات ووكلاء وزراء في وزارات أخرى، فضلاً عن عشرات المدراء العامين، بمعنى أن هذا التيار لوحده بإمكانه أن يغير من موازين الحكومة. وبناء على ذلك، يرى بعض المراقبين أن على الصدريين أن لا يتضايقوا إن قلنا إنهم جزء من الحال التي تستدعي الانتقاد والاحتجاج في عراق اليوم. بغض النظر عن نسبة مساهمتهم، وعن النوايا الطيبة، ومدى مطابقة واقع الحال لعمل التيار الصدري، مع تعليمات وتوجيهات زعيم التيار.

المشاركة الفاعلة في التظاهرات منذ ثلاثة أسابيع بين التيار الصدر والمدنيين أدت إلى نشوب خلاف كبير في مواقع التواصل الاجتماعي من جهة، وإلى تغير وجهات نظر بعض العلمانيين بالنظر لفكرة الوصول مع اتفاق مع الإسلاميين. فعلى سبيل المثال، أثار بوست للباحث الدكتور فالح عبد الجبار، أشار فيه إلى أن من يدعو لحكومة تكنوقراط هو علماني سيان إن كانت على رأسه قبعة أو عمامة أو برنيطة أو كان حاسر الرأس، على إعتبار أن العلمانية فصل السلطة الدينية عن السلطة السياسية على مبدأ الاختصاص السياسي، المدني لديه آراء دينية والفقيه لديه آراء سياسية بالقضايا. ويسرد عبد الجبار– وهو المفكر اليساري والشيوعي المعروف– في دفاعه عن مقتدى الصدر حالات كثيرة لمتدينين كانوا علمانيين في توجهاتهم، أمثال الاسقف ديزموند توتو الذي قاد حركة إلغاء الفصل العنصري في جنوب أفريقيا، والقس مارتن لوثر كنغ الذي قاد حركة الحقوق المدنية، ومارتن لوثر مؤسس البروتستانتية هو أبو العلمانية الحديثة، على حدٍّ قول عبد الجبار، فالعلماني لديه قد يكون متديناً وقد لا يكون، مهمته إرجاع منابع السلطة إلى المجتمع لا الآلهة أو إنزالها إلى الأرض لا رفعها إلى السماء.

كلام عبد الجبار هذا كان مثار سعادة لدى البعض، وسخط لدى الكثير، منهم الكاتب أزهر جرجيس الذي رد قائلاً: «في كلامك السابق حول جدلية العلمانية وحديث اجتماع العلماني مع الديني ذكرتَ الأسقف ديزموند توتو ومارتن لوثر، فسألتك هل كانا قاتلَين ومتورّطين في دماء الأبرياء؟ لم تجبني، والآن تنتخب لما يؤيد رأيك ثانيةً رجالَ دين مفكرين لا ناقة لهم بشغل العصابات ولا جمل! توسيع صفوف العلمانيّة يا أستاذي العزيز لا يعني تسمينها برجال دين راديكاليين «جداً» وتخويلهم فصل الدين عن إدارة الدولة.

في حين تحدث خليل ياسين مبيناً أن أكثر من 1400 عام ونحن نعيش تحت سقف الحاكمية نفسها، تتغير الوجوه ويتغير شكل العمائم وألقاب خلفاء الله على الأرض حتى بلغنا الآن الدرك الاسفل. شعوب تهيم في شتات الأرض وقد شبعت أسماك البحار من أجسادها، لكننا ما زلنا ننظر لإمكانية العيش مع الذئب المتنكر بعمامة، كما نظرنا للفكر الشيعي الاشتراكي المقاوم، لينتهي بالتهامه للعراق، ويحوله لبلد تتحكم فيه الميليشيات التي ستنحر بعضها عما قريب لتحرق في طريقها الأخضر واليابس.

من جانبه يرى الكاتب ماجد الأمين أن الدكتور عبد الجبار ما زال في منطقة التنظير الخطأ، فالعلمانية لا تعني الديمقراطية، ومن ذكرهم من رجال الدين القدماء طلبوا العدالة ولم يروج أحد لهم بأنهم طلبوا فصل الإسلام عن الحكم والدولة كما هو في الغرب عدا السيد محمد حسن الأمين وعدد لا بأس به من رجال الدين الشيعه تحديداً.

مضيفاً أن الدكتور يتبرع بالمساهمة في الإرباك العراقي عبر فرض محاولة فكرة علمانية السيد مقتدى الصدر وكأنه يقول إنه علماني (وإن لم ينتم). جدله هذا يذكرنا بأيام المنظومه الاشتراكية وعلىَ رأسها الاتحاد السوفييتي العظيم عندما كان يطلق تسمية «الديمقراطية الثورية» على أنظمة الحكم الديكتاتورية في دول العالم الثالث.

الرأي نفسه يقر به الناقد والفنان كريم النجار، إذ يرى أن أكبر جائزة تمنح لمقتدى، هي شهادة تبرير علماني لتاريخ ميليشياوي مليء بالعنف منذ بواكيره الأولى، والشق المجتمعي على أسس مذهبية ودينية، لا علاقة لها بدولة المؤسسات التي يعمل على هدمها بشتى الوسائل، ومنها احتجاز مواطنين مؤيدين أو مخالفين ومحاكمتهم خارج أطر القانون.. هذه الدعوة التجميلية أراها أقرب للدعوات التي خرجت علينا أواسط السبعينيات، على اعتبار الوصول إلى الاشتراكية ليس بالضرورة المرور عبر مرحلة الرأسمالية. سيطرة رجل الدين على مقاليد الدولة، سينسف حتى (الدستور) الذي اجتمعت حوله الأحزاب الدينية والمدنية، وبالنتيجة سيؤدي هذا الاستيلاء نحو بناء الدولة الدينية المتكاملة الأطر الشرعية.

ويعود الكاتب عزيز الدفاعي إلى السبعينيات أيضاً، لكنه يتمنى أن لا نقع تحت وطأة ليٍّ الحقائق لتبرير المواقف الراهنة مثلما جرى في السبعينيات خلال ما عرف بالجبهة الوطنية حين وصف حزب البعث بأنه ثوري أو نسيان خذلان المرجع الحكيم لمشروع الزعيم، ليس الاستثناء دليلاً على موقف عام للمؤسسة الدينية من الدولة المدنية، فكلنا يعرف طبيعة هذا الفكر ولجوءه هو للتكنيك البراغماتي في تحالفاته عبر تجارب مخيبة للآمال.

ويؤكد أن علينا هنا أن نقرأ السيرة الذاتية والوعي لدى المعمم وأتباعه حتى ضمن تشكيلة القوى الدينية قبل أن نقوم بتلميع الصور وتقديم تبريرات عن نسخ أخرى في دول وظرف تاريخي مغاير له معطياته وظروفه.

وبرؤية مغايرة، يبيّن الروائي أحمد سعداوي الصورة من خلال قراءته لوضع الحراك المدني عموماً، مفيداً أنه منذ سبعة أشهر أو أكثر يتظاهر أفراد اصطلح على تسميتهم بـ«المدنيين» وهو على ما يبدو عنوان حركي وليس ايديولوجيا، ويرفعون مطاليب خاصة بالإصلاح والتغيير. وبغض النظر عن وجهات نظرنا المتقاطعة حول قيمة ما عمله هؤلاء الأفراد في بغداد والمحافظات، والجدوى من التظاهر، ومنسوب «اليأس الواقعي» الذي يرتفع أو ينخفض عند هذا الشخص أو ذاك، أو تشكيكنا المبني على حقائق أو افتراضات واتهامات لهذا الشخص أو ذاك بين المتظاهرين فإنهم ما زالوا مصرين على التظاهر، ولا يبدو أنهم سيتوقفون عمّا قريب.

يؤكد المقربون أن تحرك الصدريين هذا يأتي في سياق الصراع الداخلي في «البيت الشيعي» بين الصدريين والدعوة والمجلس تحديداً.

ولكن، هل المطلوب أن يتحالف هؤلاء الثلاثة ضدّنا؟ أن يستمروا في إدارة ماكنة الفساد والخراب، أم نرحّب بـ«الإعلان» الذي يقدّمه طرف من هذه الأطراف عن نوايا التغيير والإصلاح؟!

ويضيف: لم يقدّم الصدريون حتى الآن «وقائع» تدل على انفصالهم عن المشهد السياسي المليء بالأزمات والمشاكل، والتي دفعت المتظاهرين أصلاً للخروج ضدها. ولكن، هل المطلوب أن نشنّع عليهم، أم نشجّعهم على أن يكونوا جزءاً من حركة الإصلاح والتغيير، خصوصاً مع قوتهم المؤثرة في المشهد السياسي والاجتماعي والبيروقراطي للدولة؟ ننادي بإصلاح الدولة وحين يأتي الإسلامي [وهم بكل تلاوينهم يمثلون واقع الحال السياسي اليوم] ويقول نعم أنا أؤيد هذا المطلب وأريد الإصلاح نهجوه وننتقده لأنه إسلامي ونحن علمانيون.

ويتساءل: هل هو صراع آيديولوجي هنا، أم صراع مع الفساد والمفسدين، وهل علمانيو العملية السياسية كانوا من أصحاب الأيادي البيضاء؟ هل نكذب صاحب الدعوى ابتداءً أم ننتظر مصاديق ما يقول على الأرض من أفعال وقرارات؟ وإذا كذّبنا الجميع، فمن الذي سيحرك «العتلة» يا ترى؟

ويستمر قائلاً: إن الصدريين ألزموا أنفسهم بتأييد شعارات الإصلاح، والمدنيون غير ملزمين بأي ارتجالات تخرج عن إطار المطالب المدنية، الهدف هو التغيير والإصلاح، وأياً كانت الأطراف المؤمنة به، فالمهم في النهاية هي الأفعال لا الأقوال والشعارات.

على مدى أكثر من سبعة أشهر، ما زالت التظاهرات مستمرة، وما زالت وعود رئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي مجرد تصريحات رنانة في الفضائيات ووسائل الإعلام. غير أن المشكلة الأكبر في رأي أغلب المتابعين هي في عدم خروج العبادي من شرنقة الحزب الواحد، وتمسكه بحزب الدعوة الذي يفرض عليه سياسات يجب أن لا تبتعد عن منهجه. فهل سيشق العبادي صفوف حزب الدعوة الإسلامية الحاكم في إعلان إصلاحات حقيقية؟ سيبقى هذا السؤال مفتوحاً ما دام الفاسدون يديرون مفاصل الدولة التي توشك على الانهيار!

حوار

أحمد الهنداوي مساعد الأمين العام للأمم المتحدة للشباب لـ «القدس العربي»:

إعادة الإعتبار للشباب والاستثمار فيهم هي المخرج لأزمات المنطقة العربية

نيويورك (الأمم المتحدة) ـ «القدس العربي»: عبد الحميد صيام

أحمد رافع الهنداوي الشاب الأردني وابن مدينة الزرقاء والمبعوث الخاص للأمين العام للأمم المتحدة للشباب– هو أصغر مساعد أمين عام في تاريخ الأمم المتحدة يشغل مثل هذا المنصب الرفيع المستحدث بعد ثورات الشباب العربي عام 2011 فيما سمي بالربيع العربي. كان يعمل في مكتب الجامعة العربية وقبلها في منظمات عدة كخبير للسياسات الشبابية ومكلفا بملف الشباب. قابله الأمين العام بان كي مون بعد ان تجاوز العديد من المترشحين للمنصب وعرض عليه أن ينتقل إلى الأمم المتحدة حيث كان الأمين العام ينوي أن يعطي مزيدا من الاهتمام لقضايا الشباب خاصة وأن أكثر من نصف سكان العالم من تحت سن الخامسة والعشرين. واكب ثورة ميدان التحرير وتحركات الشباب العربي من بداياتها كشاهد عيان لقوة الشباب المختزن قهرا وإحباطا على تهميشهم والتعامل معهم بطريقة أبوية لا تقدم حلولا لمعاناتهم.

بدأ عمله في هذا المنصب الرفيع في شهر كانون الثاني/يناير 2013 وكلف بحقيبة الشباب وتنفيذ المحور الخاص من الخطة الخمسية التي أطلقها الأمين العام تحت عنوان «العمل مع النساء والشباب ومن أجلهم». بدأ الهنداوي بمباشرة مهامه 15 شباط/فبراير 2013.

«القدس العربي» إلتقته وأجرت معه حديثا مطولا حول هموم الشباب العربي والتحديات التي يواجهونها وأسباب تلقف بعضهم للفكر المتطرف وكيفية إدماجهم في عملية التنمية.

○ هل لك أن تحدثنا عن مهمات هذا المنصب المستحدث الذي يشغله عربي لأول مرة وما هو إطار الولاية التي كلفت بها في هذا الموقع؟

● كما تعلم منظومة الأمم المتحدة تضم عشرات المنظمات والوكالات والصناديق والبرامج تزيد عن 40 تعنى بالعديد من القضايا كالصحة والعمل واللاجئين والمرأة والسكان والأطفال وغيرها. لكن الملاحظ أن قضايا الشباب تاريخيا كانت موزعة على هذه المنظمات والصناديق والمؤسسات. المهمة التي أوكلت لي هي المساهمة في تنسيق جهود الأمم المتحدة ووكالاتها العديدة فيما يتعلق بالشباب. وأيضا خلق مساحات أوسع للأنشطة الشبابية ومساندة الأمين العام في تحقيق أجندته المتعلقة بالمجال. مهمتي هي التأكد من أن الأمم المتحدة تضع الشباب في صلب اهتماماتها وتعزيز دورهم. وعندما نتكلم عن الشباب فنحن نتكلم عن سلة واسعة من الأنشطة التي تشمل ميادين عدة كالصحة والتشغيل والتعليم والبطالة والتنمية والاستثمار. وأستطيع أن أؤكد لك أنه خلال السنوات الثلاث الأخيرة منذ باشرت عملي نفذت الأمم هناك عددا غير مسبوق من الأنشطة المتعلقة بالشباب. نعمل أيضا مع وزارات الشباب في كافة الدول لدعمهم في تعزيز السياسيات الشبابية في بلادهم. باختصار مهمتي هي تمثيل الأمين العام وتقديم المشورة له في شؤون الشباب وتنسيق جهود الأمم المتحدة ومختلف وكالاتها في موضوع الشباب والعمل مع الدول الأعضاء للتأكيد على أن قضية الشباب مركزية ويجب أن تولى عناية قصوى على كل المستويات.

○ كان هناك تاريخيا إهمال للشباب. عادة المناصب الأساسية في الدول يشغلها الكهول حتى المتعلقة بالشباب وخاصة في العالم العربي الذي يحتل شبابه النسبة الأعلى في العالم مقارنة بعدد السكان. هل بدأت تشعر أن هناك إهتماما أكثر بقضايا الشباب على مستوى المنظمة الدولية؟

● أتفق معك أن قضية الشباب كانت مهمشة ومنسية وخاصة في العالم العربي وأعيد إكتشافها بعد أحداث السنوات الخمس السابقة. بعد 2011 تنبه العرب أن غالبية سكان بلادهم من الشباب وفرضت حقائق الديموغرافيا العربية نفسها باستحالة إهمال ثلثي سكان المنطقة. والمفاجأة الثانية التي إكتشفتها الاطر الرسمية هي عدم امتلاكها لآليات وقنوات تواصل ذات جدوى مع الشباب ناهيك عن ضعف تمثيلهم الحقيقي في دوائر صنع القرار. الحقيقة أن الأمم المتحدة إلتقطت الإشارة منذ بداية الربيع العربي، وهذا شيء يحسب لصالحها. أذكر ان أول لقاء لي مع الأمين العام في القاهرة بعد زيارته عام 2011 ولقائه مع مجموعات من الشباب المصري الذي قاد التحرك، في مسرح ساقية الصاوي قال لهم إن هذا هو زمن الشباب. وقال في الاجتماع إن على هذه الدول أن تعيد إكتشاف ثروتها الأهم وهي الشباب. كانت رسالة الأمين العام واضحة عندما عين شابا عمره 28 سنة لمنصب مبعوث الشباب ليقول إن الوقت قد حان لا للعمل من أجلهم فقط بل معهم كشركاء. ولعل اختيار الأمين العام لشاب من المنطقة العربية كان رسالة ليقول إن هذه هي المقاربة التي يجب على الدول العربية أن تسلكها.

بحكم تعاطيّ مع عدد كبير من وزراء الشباب حول العالم أجد أن أعلى منصب رسمي في الدول المكلفة بشؤون الشباب سواء كان وزيرا أو وكيل وزارة أو غير ذلك مسند لشاب أو شابة. فعلى سبيل المثال تجد ان معظم مسؤولي وزارات الشباب في أمريكا اللاتينية من الشباب في بداية الثلاثينات على عكس المنطقة العربية. أنادي بضرورة أن يعطى الشباب صلاحيات أكبر في إدارة قطاعاتهم وأتمنى أن أرى وزراء الشباب من هم فعلا شباب. لدينا اليوم مثال مشرق في الكويت حيث تم استحداث وزارة دولة معنية بالشباب ومتوسط أعمار الموظفين فيها 26 سنة وإذا تتبعت عملها ستجد مدى ديناميكيتها وقدرتها على تبني خطاب شبابي عصري. المطلوب هو ان يتم إشراك الشباب ونسج شراكة حقيقية معهم والإيمان بقدراتهم في ان يكونوا في مواقع القرار. إنظر إلى وزير خارجية النمسا عمره 28 سنة. رئيسة البرلمان الإكوادوري عمرها 29 سنة. في المنطقة العربية حتى بعد زلزال 2011 ما زلنا نرى الحالة الأبوية في التعامل مع الشباب. نستدعيهم في مسائل الشأن العام دون أن ننسج شراكة حقيقية معهم. ولعل المفارقة أن المكلف بملف الشباب في الأمم المتحدة شاب من المنطقة العربية أؤتمن على هذا القطاع الهام بينما لا تجد في المنطقة نفسها شابا في مثل هذا الموقع. رسالتي هي يجب أن نؤمن أن جيل اليوم لديه قدرة على التواصل والعمل وخاصة في المجال التكنولوجي حيث إستطاع شباب في الجامعات دون سن الثلاثين أن يقدموا إنجازات عظيمة للإنسانية مثل تويتر ويوتيوب وفيسبوك وغيرها، غيرت آليات التواصل في العالم. السؤال الآن أمام الدول العربية إن كانت ستعمل بشكل مؤسسي مع الشباب أم تبقى تتعامل معهم بالطريقة نفسها بل وتذهب أحيانا بتحميلهم وزر ما آلت إليه المنطقة العربية من تداعيات؟ للأسف هناك نزعة للوم الشباب على الكوارث والمآسي التي أصابت المنطقة العربية. لكن العكس هو الصحيح. ليس الشباب من سبب هذه المآسي بل هم كانوا أول ضحاياها. أنا أشبه الشباب في المنطقة العربية بالثروة النفطية في القرن العشرين، ساهمت في جوانب كثيرة من التقدم في العالم العربي في القرن العشرين. الثروة في القرن الحادي والعشرين ليس النفط بل الثروة السكانية. ثلثا سكان المنطقة العربية من الشباب وهناك 100 مليون شاب في سن العمل، ومع ذلك نسبة البطالة بين الشباب العربي هي الأعلى مقارنة بباقي أقاليم العالم.

○ كيف نفسر هذه الظاهرة الغريبة فنحو 70 في المئة من سكان العالم العربي من الشباب دون سن الثلاثين ونسبة البطالة هي الأعلى في العالم حيث تصل إلى نحو 40 في المئة في بعض البلدان؟

● حتى نفسر هذه الظاهرة يجب أن نأخذ بعين الاعتبار تشابك القضايا ببعضها والتي تفرز ظاهرة مرضية مثل البطالة المرتفعة. أولى هذه المسائل قضية الصراعات التي ما زالت تشكل العائق الأكبر. تصور أن العرب لا يشكلون إلا 5 في المئة من سكان العالم بينما تصل نسبة اللاجئين العرب في العالم إلى 47 في المئة. هذه النسبة تطرح أمامنا مشكلة تحدي الأمن والاستقرار الذي تواجهه المنطقة.

والقضية الثانية التي تساهم في ارتفاع نسبة البطالة هي إعتماد عدد من الدول الحل المحلي أو الوطني بينما حل المشكلة هو حل إقليمي. بمعنى أن المنطقة العربية بحاجة إلى تكامل أكبر وتبادلات بينية أكبر واستثمارات أعلى. هل تعلم أن متوسط التأشيرات المطلوبة لشاب عربي يريد أن يزور الـ22 بلدا يصل إلى 16 تأشيرة وهذه واحدة من أقل نسب التنقل في العالم؟ من الموجع أن نرى جيلا عاطلا عن العمل نطلق عليه الآن «جيل الانتظار». جيل ينتظر فرصة تعليم وبعدها فرصة عمل ثم فرصة تدريب. طوابير تنتظر وتبحث عن فسحة أمل ومن هنا يتسرب الفكر المتطرف.

وفي موضوع البطالة لدي ملاحظة أخيرة: لا يمكن للدول العربية أن تحول نفط القرن الواحد والعشرين، أي ثروة الشباب، إلى نهضة شاملة دون الاستثمار في جيل الشباب. ما أجده اليوم إستثمارات ضئيلة. ما أجده اليوم هو استمرار لنهج التعامل الأبوي مع الشباب. المطلوب أن تستمع إليهم بشكل حقيقي.الأمم المتحدة من جانبها

Volume 27 - Issue 8402 Sunday 13 March 2016

وعبر برنامجها الإنمائي الذي يعد كل سنتين تقرير التنمية البشرية سيكون حول الشباب العربي يرصد فيه ما حدث في السنوات الخمس الأخيرة. في هذا التقرير ستقيم الأمم المتحدة الحجة حول ما المطلوب عمله لهذا الجيل كما أنه يتضمن أفكارا لمبادرات وتوصيات دقيقة. آمل أن يشكل هذا التقرير الهام فرصة لفتح النقاش مرة أخرى حول ما دار في الخمس سنوات الأخيرة والدروس التي يمكن تعلمها لإدماج الشباب في عملية التنمية المستدامة.

○ **هذا يعيدني إلى ظاهرة التطرف وانجذاب عدد كبير من الشباب لهذا الفكر الهجين على الأمة. كيف تفسر ظاهرة إنخراط عدد كبير من الشباب مع الجماعات المتطرفة. ما الذي يدفع بعدد كبير من شباب تونس مثلا للانضمام إلى هذه الجماعات؟**

● هذا سؤال مهم. زرت تونس بعد العملية الإرهابية بمدينة سوسة (26 حزيران/يونيو 2015) وقررنا أن نطلق استراتيجية الأمم المتحدة للشباب من تونس كرسالة مقصودة. وعندما نتحدث عن قضية التطرف والشباب فعلينا أن نتعمق في بعض التفاصيل. من أين جاء هؤلاء الشباب التوانسة الذين إنضموا إلى الجماعات المتطرفة؟ معظمهم ينحدرون من مناطق مهمشة تاريخيا مثل القصرين. والحكومة التونسية تقر الآن بضرورة الاهتمام بالتنمية والاستثمار في الداخل التونسي.

نقطة أخرى هناك جهد كبير يجري لتفكيك الخطاب الديني المتطرف والذي ليس من الدين في شيء. الجهد في رأيي ليس لتفكيك الخطاب بل كيف يجب أن يبذل مجهود أكبر في تحصين الشباب وهذا لا يتم فقط بالحوار والجدل بل بخلق فرص عمل. من المؤسف أن يجد بعض شباب اليوم في مناطق النزاعات بديلا بالالتحاق بالجماعات المتطرفة فهم يغررون بهم بأوهام وبدخل يصل إلى أكثر بثلاثة أو أربعة أضعاف ما يمكن تحصيله في بلده، ثم يوفرون له الانتماء إلى جماعة تقدم له سردية دينية مضللة تبرر ما يقوم به باعتبار ذلك شيئا يرضي الله حتى لو كانت جرائم إرهابية لا يقبل بها إنسان. أضف إلى ذلك الضعف التعليمي البنيوي المتأصل والقائم على التلقين والذي تنقصه القدرة على التفكير النقدي ويعجز عن تفكيك الخطاب المتطرف. فالمكونات تصبح جاهزة، فقر مدقع وتعليم سيء وخطاب يتدثر بغلاف ديني معين وغياب أي فرصة تنتشله من كل ذلك. زد على ذلك غياب خطاب بديل يعطي فرصة للانتماء بعيدا عن التطرف.

عدا عن بيئة التهميش والفقر التي ينمو فيها الفكر المتطرف هنك شباب يعيشون وضع اللجوء والاقتلاع والتشرد. وكما قلت أمام لجنة بناء السلام «السؤال ليس لماذا يتمكن تنظيم «داعش» من ضم هؤلاء الشباب إلى صفوفه بل كيف خسرناهم؟ لماذا لم نستطع حمايتهم من الانزلاق؟ خسارتنا لهم كمجتمع دولي ودول عربية لأننا لم نتمكن من تحصينهم بإتاحة فرص أمامهم. لذلك ما يقلقني هو أن بعض الجهات تعتبر مصطلح تحصين يعني التحصين الديني فقط، وهو تعريف قاصر لكون التحصين الحقيقي يشمل خلق فرص حقيقية تجعل من خيارات كارثية كالانضمام إلى الجماعات المتطرفة غير وارد. على الجانب الآخر لدينا فرصة اليوم كمنطقة عربية نسميها الفرصة الديموغرافية حيث إن ثلثي السكان من الشباب. دول النمور الأسيوية عندما نظروا إلى الهرم الديموغرافي وأحسنوا قراءته واستثمروا في الشباب إستطاعوا الانتقال إلى حالة إقتصادية متقدمة، قلت نسبة البطالة وارتفعت نسبة التشغيل وخلقت الفرص السليمة فاستطاعوا بعدها الانتقال إلى وضع إقتصادي متقدم ومن دول نامية إلى متقدمة ومتطورة حيث تشير التقارير أن نحو 50 في المئة من إستثماراتهم كانت تتعلق بالنافذة الديموغرافية التي تشير إلى حجم نسبة الشباب. وتاريخيا أينما وجدت أغلبية من الشباب بالنسبة لإجمالي عدد السكان تجد فرصة للنهوض الاقتصادي والديمقراطي ومثال ذلك ما حدث في البلدان الآسيوية من انتقال اقتصادي أو ما وقع في بلدان أوروبا الشرقية من انتقال ديمقراطي. فالدرس هنا هو أنه لا يمكن أن تحظى بهذا العدد من الشباب إلا وسيرافقه إنتقال ما وتحديد الانتقال الذي يرافق الانتقال الديموغرافي سواء كان اقتصاديا أو ديمقراطيا يعتمد بشكل رئيسي على جملة السياسات والبرامج التي تعتمدها الدول، فإذا إستثمرت فيهم فالنتيجة أن تلج مرحلة النهضة، وإن إعتبرتهم عبئا وحالة يجب إحتواؤها فالنتيجة هي إضاعة هذا المورد البشري وما يليه استتباعا من أزمات أمنية واقتصادية واجتماعية. وأؤكد أنه لا يمكن إحتواء هذا الجيل فهو جيل يمتلك من القدرات وآليات التواصل ما لم يمتلكه أي جيل سابق. نصيحتي هي بتجنب خيارات الاحتواء وتبني الاستثمار والعمل مع الشباب لا الوصاية عليهم.

الثروة السكانية تتقدم على النفطية اليوم

اعضاء من تنظيم الدولة فوق دبابة في الرقة

○ **كنت وراء إعتماد مجلس الأمن للقرار 2250 (2015) والذي إعتمد تحت الفصل السابع والمتعلق بالشباب والتنمية. ما أهمية هذا القرار وكيف توصلتم له ليصبح الآن سياسة دولية يجب الإلتزام بها؟ أنت صاحب الفكرة ولقيت الدعم من الأردن أثناء عضويته لمجلس الأمن؟**

● حقيقة قرار 2250 هو أول قرار مجلس أمن يؤسس لأجندة جديدة تعنى بالشباب بصفتهم فاعالين أساسيين لبناء السلام ومكافحة الإرهاب. عادة مجلس الأمن يبحث قضايا طارئة وصراعات وذكر الشباب كان يمر إشارة إلى المقاتلين الأجانب أو ضحايا نزاعات أو مجندين. منذ ثلاث سنوات وأنا أنادي في ضوء الحقائق التي تقول هناك 600 مليون شاب وشابة يعيشون في مناطق النزاعات وخاصة المنطقة العربية بضرورة التأسيس لأجندة جديدة تستبدل النظر للشباب بوصفهم مسببين لأزمات أو ضحايا لنزاعات ليتم رؤيتهم أكثر كجزء من الحل ووضع خطة تقوم الأمم المتحدة بالعمل على تحقيقها بكافة آلياتها بالتعاون مع الحكومات. جاءت بعد ذلك مبادرة ولي العهد في المملكة الأردنية الهاشمية، الأمير الحسين بن عبد الله الذي ترأس جلسة مجلس الأمن والذي كان أصغر من ترأس جلسة في تاريخ مجلس الأمن في شهر نيسان/أبريل 2015. في تلك الجلسة أطلق مبادرة «منتدى عمان حول الشباب والأمن والسلام». تبع ذلك لقاء عمان وعمل مع الحكومة الأردنية والمنظمات الشبابية بمشاركة 11،000 شاب وشابة شاركوا في صياغة «بيان منتدى عمان» بهدف إقرار مجلس الأمن لقرار يؤسس لأجندة دولية حول الشباب والسلام والأمن وتحت الفصل السابع. وهذا مهم جدا لأن لدينا الآن أجندة دولية للشباب والأمن والسلام يجب تنفيذها. والعمل الآن جارٍ على قدم وساق مع المبعوثين الخاصين والسياسيين لإشراك الشباب في عملية بناء السلام. خذ مثلا اليمن أو سوريا. الشباب جزء أساسي فلقد شارك شباب اليمن في مؤتمر الحوار الوطني لكن ما يبدو الآن أن هناك تهميشا وقع بحقهم. الآن هناك إلزام للأطراف بإشراك الشباب في عملية محادثات السلام ورسالتي اليوم التي نادى بها الأمين العام «لا يمكن اليوم أن يرمى الشباب ليكونوا ضحايا النزاعات وأن يتم دفعهم للقتال لكن عندما يتم مفاوضات سلام لا يتم إستدعاؤهم. هل هم قادرون على القتال ويمكن أن يقدموا أرواحهم لكنهم غير مؤهلين للمشاركة في المفاوضات لصنع السلام. شيء غير معقول ولا مقبول». هذا القرار حقيقية يمثل علامة فارقة في مغادرة الرؤية التي ترى الشباب مسببين للصراع أو ضحايا له إلى العمل معهم بصفتهم شركاء. ونعمل الآن مع جميع الممثلين والمبعوثين الأممين المكلفين بمتابعة مناطق النزاع للتأكد من مشاركة الشباب في عملية المفاوضات وبناء السلام.

○ **ما هي في رؤيتك السياسة السليمة التي تريد أن ترى النظام العربي ينتهجها في موضوع الشباب؟**

● سأكون عمليا وأطرح مجموعة نقاط لو تم تبنيها ستتغير خريطة العمل الشبابي في المنطقة العربية:

1. التشريعات ـ ما زالت تعكس حالة أبوية في المنطقة العربية. في بعض الدول لا يجوز ترشيح من هو دون الثلاثين سنة. في بعض الدساتير قد يحكم بالإعدام على من هو في سن الثامنة عشرة ولا يترشح للبرلمان إلا بعد أن يتجاوز الثلاثين! معظم دساتير العالم تساوي بين سن الترشح والانتخاب. إعادة النظر في التشريعات تشمل الأوضاع الاقتصادية. مثلا كثير من الشباب يصاب بالإحباط إذا أراد أن يعمل مشروعا تجاريا لكثرة العوائق والبيروقراطية وحجم الضرائب. فعلى الحكومات أن تقدم تسهيلات للشباب الراغب بفتح مشاريع جديدة. كثير من التشريعات لا تعتبر الشباب جزءا من الحل فهم إما مغيبون أو مهمشون. بعض الدول لا تسمح بإنشاء جمعية شبابية لمن هم دون 25 سنة وهي جمعية شبابية.

2. بناء القدرات التعليمية والتدريب. ما زالت المناهج التعليمية في الكثير من العالم العربية ضعيفة سواء من ناحية البنية التحتية أو البنية الفكرية. على المناهج أن تعلم الشباب كيف يفكر لا ماذا يفكر. كيف يمتلك القدرة على التفكير الإبداعي والنقدي ليواكب العصر. علينا أن نستثمر في التدريب المهني. أحيانا ضعف التعليم يعوض عنه بجودة التدريب. نحن بحاجة إلى التوسع في هذا المجال.

3. الموازنات المرصودة للشباب– وهي متواضعة جدا وأنا أتحدث عن الميزانية الصريحة المخصصة للشباب وليس ما يصرف على الشباب في الوزارات المختلفة مثل الصحة والتعليم. نحن نتكلم عن موازنات صريحة تستثمر في التنمية الشبابية وهي جدا متواضعة.

4. المنطقة العربية الوحيدة في العالم التي لا يوجد فيها إتحاد للشباب العربي. هناك منتدى الشباب الأوروبي ومنتدى الشباب الأفريقي وكذلك منتدى شباب دول أمريكا اللاتينية. أما نحن فلا يوجد في المنطقة العربية إطار شبابي عربي مؤسسي وهو إنعكاس للحالة الوطنية العامة التي تعيشها المنطقة.

5. يجب خلق آليات تواصل مع الشباب. معظم مجالس الجامعات لا يوجد فيها شباب. كثير من المجالس المعنية بالعمل مع الشباب لا يوجد فيها شباب. معظم المجالس المعنية بالثقافة والفن وتكنولوجيا المعلومات لا يوجد فيها شباب. جل قطاعات الشباب المعنية بالشباب والمبدعين لا يوجد فيها شباب. أمر غريب أن أمة، ثلثاها من الشباب، وغالبية الأطر المتعلقة بالشباب لا يوجد فيها شباب. إنظر إلى دول أمريكا اللاتينة تجد معظم الوزراء أو المدراء المعنيين بالشباب دون سن الخامسة والثلاثين. وحقيقة أسعدني جدا خبر تعيين وزيرة شباب في الإمارات العربية المتحدة في سن الثانية والعشرين. آمل ان تقدم دول أخرى على خطوات مماثلة.

6. الاحتفاء بالنماذج الناجحة وإبرازهم. نرى كثيرا من النماذج من الشباب المبدع خارج وطنه وقد لا يحتفى به في بلده الأصلي والنماذج كثيرة سواء في الأدب أو الفن أو الموسيقى أو الأعمال أو الرياضة. من المهم ونحن نرى حجم السواد أن نولي عناية أكبر للتجارب الناجحة والذين قد يشكلون حوافز لغيرهم وهذا يتم التعبير عنه بالجوائز

السؤال كيف خسرنا الشباب وليس كيف ضمهم تنظيم الدولة

أو التكريم وابراز قصصهم للغير. هذه بعض العناصر التي أقدمها.

○ **أريد أن ننهي اللقاء بالحديث عن الشابات وعملية دمجهن في المجتمع لأن معاناتهن أكبر من معاناة الشباب.**

● في المنطقة العربية اليوم ليس الشباب فقط هو المعطل بل الفتيات كذلك وبطريقة أكثر إيلاما. فثلثا الفتيات في سن العمل والقادرات على العمل الراغبات في العمل متعطلات عن العمل. مأساة بمعنى الكلمة. في بعض المناطق تصل نسبة العاطلات عن العمل إلى 70 في المئة. أضف إلى ذلك التحديات التي تواجهها المنطقة العربية في تمكين الفتيات. هناك تطور ملموس في بعض الدول. اليوم لا يمكن الحديث عن دعم الشباب دون الحديث عن دعم الفتيات. فهن يعانين خاصة في مناطق النزاع من مشاكل عديدة من بينها الزواج المبكر إلى الانقطاع عن التعليم والتعرض للعنف والاغتصاب وفقد المعيل واليتم. إن التحدي الأكبر في إدماج الشابات والشباب في عملية تنمية شاملة تبدد حالات اليأس والتهميش من الجيل الذي سميناه «جيل الانتظار».

دعني أترك في نهاية اللقاء ملاحظة إيجابية. أنا مؤمن اليوم أكثر من أي وقت مضى أن الشباب العربي قادر على القيام بإحداث تغيير حقيقي. شباب المنطقة العربية لديهم قدرات عالية. إنهم قادرون وواعون وراغبون في المشاركة لكنهم لن يشاركوا إلا إذا إقتعنوا بجدواها. تصور أنني ذهبت عام 2010 للمشاركة في إطلاق تقرير حول «المسح الوطني للشباب في مصر» وفيه أرقام صاعقة حيث أشار المسح إلى أن عدد من لديهم إستعداد للقيام بعمل تطوعي 4 في المئة من بين الشباب و 2 في المئة من بين الفتيات. أرقام صارخة أثارت تساؤلات عديدة ويومها عللت الوزيرة الموجودة لإطلاق التقرير هذه الأرقام بإلقاء اللوم على جيل شباب بوصفه «غير مهتم وطائش وغير مبال». شاءت الأقدار بعدها بأقل من شهر فقط أن خرج مئات الألوف بل الملايين من الشباب المصري بالثورة في ميدان التحرير وغيره من الميادين. لقد كانت تلك الأرقام رسالة إحتجاج من الشباب ودليل على أن الشباب فقد الثقة وغير معني. وذلك درس حينما تفشل الحكومات بقراءة المعنى الحقيقي لهذة النسب. فتدني النسبة كان رسالة احتجاج ضمنية لا رسالة بعدم المبالاة. فالشباب لا يمكن أن تقنعه بعمل خارج إرادته ويجب أن تقنعه بأنك تحترم قدراته وإمكانياته وما يقدم من إسهامات. في النهاية تعلمت درسا من تلك الحادثة وهي إن وجدت الشباب غير مقدم على المشاركة إذن راجع نفسك وخطابك وبرامجك عوضا عن استسهال الحلول بالقاء اللوم على الشباب!

حريات

يتقدمون الصفوف القتالية بين الأطراف المتقاتلة

الأطفال في ليبيا ضحايا النزاع المسلح

تونس ـ «القدس العربي»: روعة قاسم

اعتبر ممثل اليونيسيف في ليبيا د. غسان خليل في حديث لـ «القدس العربي» ان عدم الاستقرار السياسي والأمني في بلد عمر المختار ينعكس بشكل كبير ومباشر على وضع الأطفال. وهذا يتجلى بالخصوص في الانقطاع عن الدراسة وكذلك بالنزوح من منطقة إلى اخرى مما يسبب مشاكل للأطفال ومنها المشاكل النفسية. وقال ان الصفوف المكتظة في كثير من المدارس بسبب نزوح عديد الليبيين إلى مناطق أخرى ينعكس سلبا على نوعية التعليم. وأشار إلى تزايد حالات الخطف والتعذيب وقتل الأطفال. ودعا خليل الليبيين للتوصل إلى حل سياسي يؤمن لهؤلاء الأطفال الاستقرار الأمني والعودة إلى الحياة الطبيعية من خلال الدراسة والأسرة والمجتمع المحلي.

وقال ان ذلك لا يتعلق فقط بالأطفال الليبيين، بل بكل طفل موجود في مناطق النزاع سواء أكان ليبيا أم غير ليبي. وحسب محدثنا فان كل طفل موجود في منطقة نزاع يتعرض لضغوط نفسية.

تجنيد الأطفال

ولفت إلى ظاهرة تجنيد الأطفال واشراكهم في النزاعات المسلحة، معتبرا ان هذا موضوع خطير جدا ويعد وفقا للقانون الدولي جريمة ضد الإنسانية. وأضاف قائلا:»ونحن نلفت نظر جميع الفرقاء في ليبيا إلى ان إشراك الأطفال في النزاع المسلح هو جريمة ضد الإنسانية لها تبعات قانونية ويقع تحت سلطة المحكمة الجنائية الدولية. فكل من يجند طفلا معرض للملاحقة من قبل المحكمة الجنائية الدولية. إضافة إلى امكانية المحاسبة في المحاكم الوطنية وفقا للتشريع خاصة إذا لاحظ التشريع هذا الأمر. وندعو الجميع لتسريح جميع من هم دون الثامنة عشرة من العمر. فتعريف الطفل وفقا للمادة الأولى من اتفاقية حقوق الطفل التي صادقت عليها ليبيا عام 1993 ـ وأصبحت بالتالي جزءا لا يتجزأ من التشريع الليبي

Volume 27 - Issue 8402 Sunday 13 March 2016

- ان الطفل هو من لم يتجاوز الثامنة عشرة من العمر. نطلب تسريح الأطفال وتأهيلهم وإعادة إدماجهم في الأسرة والمجتمع المحلي. وهنا لا بد لنا أن نثني ونحي القرار التاريخي الذي اتخذته بلدية الزنتان بتسريح جميع الأطفال الذين شاركوا أو يشاركون في النزاع المسلح، وأيضا إنشاء مركز للتأهيل وإعادة الادماج في المجتمع. وهذه المبادرة أثنت عليها اليونيسيف ونحن نقف إلى جانب بلدية الزنتان في التطبيق الفعلي لهذا القرار الذي يعتبر في صلب حقوق الطفل. وندعو الفرقاء الآخرين كي يتخذوا قرارات مناسبة. ونقول لهم ان منظمة اليونيسيف ستكون بجانبهم أيضا وستدعمهم تقنيا وفنيا في جميع البرامج التي سيتخذونها من أجل إعادة دمج الأطفال في مجتمعهم».

وأضاف خليل انه بالنسبة لمنظمة يونيسيف لو كان هناك طفل واحد مهدد فهو يستحق ان يتخذ قرار من أجله وبرامج علمية في الميدان من أجل إعادة ادماجه في المجتمع. وأوضح ان معاناة الأطفال في ليبيا على مستويين هي معاناة المجندين ومعاناة المهاجرين غير الشرعيين الذين يتعرضون لإعتداءات جسدية في مراكز إيواء المهاجرين.

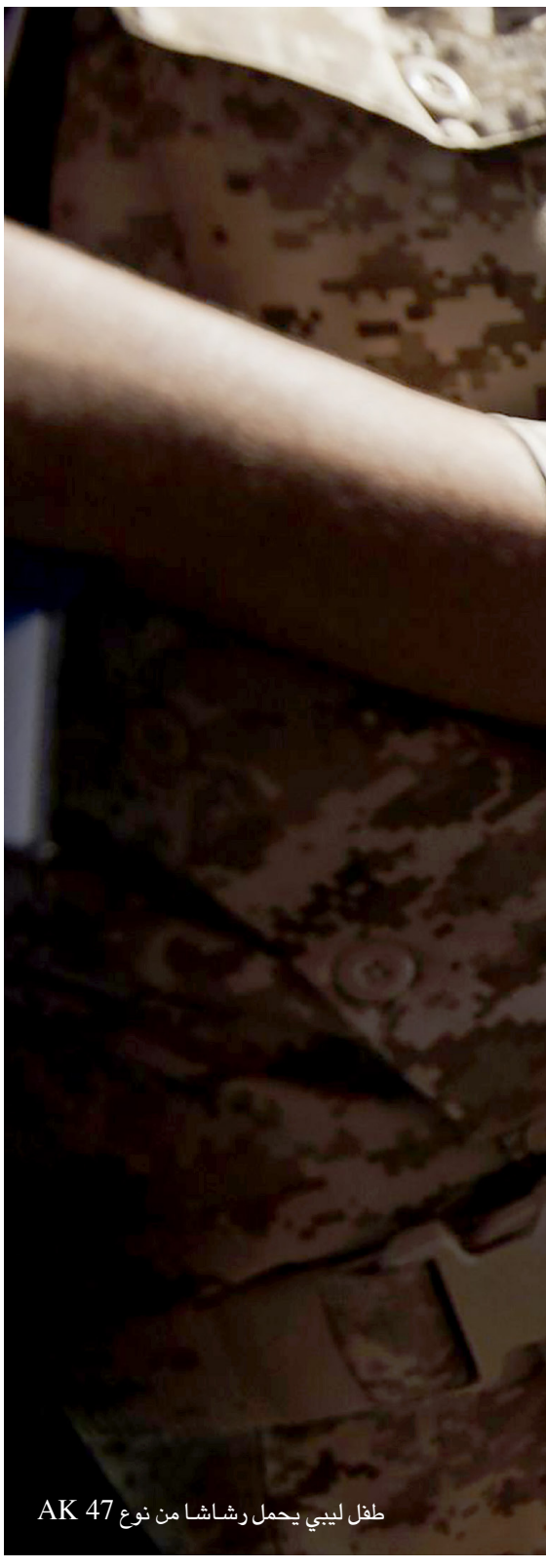
طفل ليبي يحمل رشاشا من نوع AK 47

اليونيسيف:
40 في المئة من أطفال ليبيا تعرضوا لانتهاكات عنيفة منذ 2011

دور المجتمع المدني الليبي

أما عن دور المجتمع المدني الليبي في التصدي لهذه الظاهرة فقال ان لدى اليونيسيف شراكات عديدة مع منظمات المجتمع المدني في ليبيا واحدى هذه الشراكات هي مع منظمة غير حكومية ليبية تقوم حاليا بدراسة الأوضاع في مراكز الاحتجاز. وأوضح انه عندما لا يكون الوضع مستتبا فمن الطبيعي ان يتعرض الجميع لانتهاكات وخاصة الأطفال، لأنهم الحلقة الأضعف في المجتمع. وقال إن الخطر الأكبر يستهدف الأطفال المهاجرين خاصة من دون أوراق رسمية وقانونية لأنهم لا يستطيعون الإستفادة من الحماية القانونية الموجودة. وجدد خليل الدعوة إلى السلطات المعنية لمعاملة الأطفال المهاجرين بالشكل اللائق وبما يتناسب مع القانون الدولي وأيضا مع القوانين الليبية التي تعطي في كثير من الأحيان حقوقا جيدة لهؤلاء المهاجرين ولا سيما لناحية الاستفادة من الخدمات الصحية. فوفقا للقانون أي مهاجر في ليبيا يستطيع ان يستفيد من الخدمات الصحية مجانا. ولفت أيضا إلى أن المطلوب هو أن تكون هناك حكومة وحدة وطنية تستطيع ان تعيد الصحة والعافية إلى المجتمع الليبي وان يكون هناك تفعيل للمؤسسات الحكومية في أدوارها المختلفة. وأردف:»نحن كمنظمة يونيسيف نساعد ونقف إلى جانب السلطات المحلية ولكن لا نستطيع ان نأخذ مكانهم لأن المسؤوليات الأساسية تقع على عاتق السلطات المحلية ومنها البلديات مثلا. عقدنا حتى الآن 13 مذكرة تفاهم مع البلديات ولدينا اشكالات مختلفة للتعاون مع البلديات وقرار الزنتان كان أحد ثمار هذا التعاون. إضافة إلى ذلك أطلقت الأمم المتحدة خطة الاستجابة الإنسانية لكن للأسف بعد شهرين من اطلاق هذه الخطة التي مجموع احتياجاتها المالية 166 مليون دولار لم تتلق الأمم المتحدة إلا اثنين في المئة من المبلغ. وهنا ندعو المجتمع الدولي والدول المانحة والسلطات الليبية للمساهمة في تمويل خطة الاستجابة الإنسانية كي تتمكن الأمم المتحدة من دعم ومساعدة الفئات المختلفة في ليبيا.

أما عن أبرز الصعوبات التي تواجه عمل اليونيسيف فأوضح:»يتعرض الموظفون يوميا للخطر وهم يقومون بخدمة الأطفال في ليبيا. فهناك صعوبة في الوصول إلى بعض المناطق بسبب النزاع المسلح، لذلك ندعو دائما إلى فتح ممرات إنسانية آمنة حتى نستطيع تقديم المساعدات والاحتياجات اللازمة للمجتمع. ويساهم تعدد السلطات في ليبيا من وزارات متعددة وانقسام في تعقيد عملنا.

ما مدى خطورة هذا على العالم العربي لأن هناك جيلا عربيا جديدا غير متعلم ونازح؟

يجب أن نفكر دائما بأننا لا نعلم كيف سيكون المستقبل لكن نستطيع ان نستثمر في الأطفال بما ينعكس على المستقبل. هناك أعداد كبيرة من الأطفال خارج المدارس تتلقى يوميا جرعات كبيرة من العنف وهذا سيؤثر عليهم سلبا ويطرح مشكلات حقيقية في كيفية التعامل في المستقبل مع المجتمع لذلك ندعو إلى التسامح ونشر ثقافة الحوار والمحبة من أجل ان يكون المستقبل أفضل للجميع.

يحملون السلاح علناً

وقال عبد المنعم الحر الأمين العام للمنظمة العربية لحقوق الإنسان فرع ليبيا، ان الأطفال في ليبيا باتوا يحملون السلاح علناً سواء في القتال بين الميليشيات أو حتى في الاحتفالات. ويؤكد على أن هناك الكثير من الحوادث التي راح ضحيتها الأطفال وان رؤيتهم في المناطق العسكرية بات أمرا طبيعيا. ويقزل لـ «القدس العربي» قائلا:»والأكثر إزعاجاً إن بعض العائلات تجدهم سعداء وأطفالهم يستعملون السلاح ويطلقون النار به وهم فخورون بتدمير طفولتهم». وأضاف «إن هؤلاء الأطفال زُج بهم في معارك ضارية مُنذ بداية الحرب وحتى الوقت الحالي فإن الميليشيات والعصابات تستخدم شبابا دون سن الأحداث وترمي بهم في مقدمة الصفوف القتالية. ويتم استغلالهم في تنظيف الأسلحة وحمل الخفيفة منها في الصراعات بين الأطراف المتنازعة».

أطفال يلعبون قرب مدرسة مدمرة في طرابلس

قضية منسية

وقال الحر انه رغم التقارير المحلية والدولية إلا أن ظاهرة استخدام الأطفال والجدل الفقهي والحقوقي بخصوصها، ومساءلة مرتكبيها والمشجّعين عليها لا تزال تناقش في أوساط محدودة وضيقة من خبراء وبعض نشطاء المنظمات الإنسانية، ولم تأخذ حيزا أوسع في وسائل الإعلام والثقافة والتعليم.

وأوضح ان عمليات استغلال الأطفال تنحصر في العديد من المظاهر منها: التجنيد في النزاعات المسلحة، تجارة الأعضاء البشرية، الممارسات الجنسية، العمل اللا مشروع، التفجيرات الإرهابية.

تجنيد الأطفال بالارقام

ولفت النظر إلى أنه خلال سنة 2015 تم توثيق العديد من الحالات. لقد كان نصيب الطفولة من عمليات الخطف الموثقة 11 حالة أما من تم تجنيدهم من قبل تنظيمات إرهابية بمدينة سرت فعددهم قرابة المئة والخمسين. ولعل أكثر عمليات التجنيد شهرة هي ما تعرف بقضية الطفل عبدالمنعم ضويلة، الذي اختفى عن أهله في طرابلس ثم أخبرهم انه يتلقى تدريبا عسكريا في سرت مع تنظيم الدولة وكانت نهاية حياته في إحدى العمليات الانتحارية. وأكد الحر على أنه، وأثناء النزاع المسلح في سنة 2014 فيما عرف بعملية فجر ليبيا بالغرب الليبي، كان المقاتل، بغض النظر عن عمره، يمنح مبلغا يوميا قدره 200 - 300 دينار ليبي .

وتجدر الإشارة إلى ان تقرير منظمة الأمم المتحدة للطفولة اليونيسيف - يعتبر بمثابة ناقوس الخطر - حيث ذكر أن 40 في المئة من أطفال ليبيا تعرضوا لانتهاكات عنيفة منذ 2011 وعدد 217 ألف طفل في طرابلس وبنغازي وحدهما. ويحتاج هؤلاء لدعم نفسي واجتماعي .

بيئة مساعدة

وأضاف الحر: عندما يكون الأطفال وذووهم بلا تعليم فإن إمكانية استغلالهم تكون مرتفعة، ليس هذا فحسب، بل إن الأمية ستكون متفشية في صفوفهم، كلما استمر الصراع واحتدم النزاع. وحتى بعد انتهاء النزاعات فإن تأثيراته ستدوم طويلاً، ولاسيما على الأطفال، فضلاً عن تأثيراته على الأمومة والتربية بشكل عام.

وأضاف ان الإغراء المادي يلعب دورا مهما، خصوصاً في ظروف الفقر لجذب الأطفال إلى صف الإرهابيين نظراً للحاجة وكذلك في طريقة الاستدراج العاطفي، حيث يتم تفخيخ العقول قبل تفخيخ السيارات والأماكن العامة والمدارس والشوارع والمحال التجارية.

لقد عملت التنظيمات الإرهابية في مدينة سرت التي تستخدم الأطفال على حذف وإلغاء الكثير من المناهج الدراسية، وركّزت على التعليم الديني وفي الأغلب الجوانب الأكثر تطرفاً من المذاهب الفقهية، إضافة إلى التدريب العسكري .

معالجة هذه الظاهرة بحاجة لتكاثف جهود المجتمع الليبي والدولة في الدرجة الأولى بغض النظر عن دعم المجتمع الدولي. فالمستوى المعيشي المتدني لبعض الأسر الليبية ورغبة الأسرة الفقيرة أيضا في الحصول على المال بغض النظر عن نوع وخطورة العمل وظروفه يشجع على انخراط الأطفال في الجماعات الإرهابية والإنقطاع عن التعليم .ويضيف قائلا:»وكذلك نقص وعي الأهل بأهمية التعليم، والجهل بالآثار السيئة لانضمام الأطفال إلى كتائب أمنية قد تصل منحتهم الشهرية لما يقارب 2000 دولار بالشهر والنقص في المدارس وضعف المنحة التعليمية لطلبة التعليم الجامعي والتسرب من التعليم الأساسي، تبقى جميعها دافعا للأسرة من أجل حصول أبنائها على دخل ثابت من هذه المليشيات المتقاتلة».

تداعيات

وعن أبرز تداعيات تجنيد الأطفال فأوضح الأمين العام للمنظمة العربية لحقوق الإنسان أن عدم النضج العقلي المدني بخطورة حمل الأطفال للسلاح بين أفراد المجتمع له تداعيات سلبية مستقبلاً، فالجيل الأصغر سناً يقتدي بذلك الجيل الأكبر، لأنه يرى فيه القدوة التي يجب أن يكون عليها، وبهذا يُعلم المجتمع بعضه البعض حمل السلاح والإتجار به، الأمر الذي سيترك مخلفات تزيد من زعزعة الأمن والاستقرار والتنمية.

جدير بالذكر أن استخدام الأطفال يتفشى في تنظيم الدولة حيث أن الأطفال والمراهقين هم الأكثر استهدافاً واستخداماً في المظاهرات السياسية والمؤدلجة في ميادين وساحات الثورة.

وشدد الحر على ان القوانين الدولية تستوجب تطبيق الشرعية الدولية وقرارات الأمم المتحدة في النزاعات المسلّحة وإبعاد الأطفال عنها وكفالة وصولهم إلى الأماكن الآمنة وتوفير سبل الحماية لهم صحياً واجتماعياً وتعليمياً وجمع شمل أسرهم والامتناع عن إشراكهم وتجنيدهم في العمليات الحربية وتأهيلهم وتدريبهم، وبغير ذلك فإن الطفولة ستكون في مستنقع الإرهاب أو في طي النسيان .

كتب

الفنّ ورقابة التذوق

نصّ

ثروت عكاشة

خير ما يطبع النفوس على التذوق الفني استمتاعها برؤية الآثار الفنية وتطلعها إليها. وقديماً رأينا الصينيين يهيمون بجميع التحف الفنية في دورهم ويحتفظون بها في صناديق فاخرة، يخلون إليها في مواقيت معينة وفق طقوس مأثورة عن السلف، يتأملون ويتخيلون مؤمنين بأن الفرد كلما توفرت له تحف فنية مختلفة يجيل فيها بصره، توفرت عناصر الذوق وغلبت عليه، فإذا هم قد ملكوا بما فعلوا روحانية فنية سبقوا إليها الغرب بآلاف السنين فلم يحذ حذوهم إلا حديثاً، حتى أصبح من العسير أن نصدق أنه لم يكن ثمة متحف في أوروبا الحديثة إلا منذ مائتي عام فقط. فلقد كان توفير اللوحات المصورة والمنحوتات والآثار الفنية قديما من العسر بمكان، وكانت تقوم بينه وبين ذلك حوائل كثيرة، إذ لم يكن الانتقال إلى الأماكن الأثرية يسيراً، كما لم تكن الطباعة قد أخذت سبيلها ولا الوسائل الحضارية الأخرى قد بلغت هذا الشأو من الرقي. وما من شك في أننا نملك اليوم من أدوات الاتصال والانتقال والطباعة ما لا يملكه السلف بالأمس، وغدا الفرد وهو مستلق في داره يستمتع بما هنا وهناك مطبوعاً أو مصوراً أو مرئياً على شاشة السينما أو التلفزيون أو الكمبيوتر دون أن يبرح مكانه، فأصبحنا بهذه الوسائل والأدوات أقدر على أن نهيئ لأنفسنا ما يُذكي فينا الذوق الفني ويطبعنا على الإحساس به، فإذا متاحف الفن التي لم تأخذ بالانتشار إلا خلال القرن التاسع عشر تغدو اليوم ذات شأن كبير في المعاونة على استيعاب الأعمال الفنية ودراستها والموازنة بين بعضها وبعض حتى غدت جزءاً من حياة الناس اليومية، وأصبحت تلك المعروضات الفنية تمثل شيئاً قائماً بذاته يضفي عليها مجتمعةً طابعاً جديداً. فقد كنا من قبل نرى المنابر والشماعد والطُرز عناصر أساسية ضمن مكونات المسجد، وكذلك كنا نرى التماثيل القوطية عنصراً أساسياً ضمن مكونات الكاتدرائية، كما كانت اللوحات الرومانية الكلاسيكية المصورة مرتبطة عضوياً بالمكان الذي أُعدّت من أجله، داراً كان أو قصراً أو بازيليكا، لا وجود لها مع غيرها من أعمال فنية غير متآلفة معها نظرةً وروحاً. وإذا المتاحف في العصر الحديث لا تكتفي بانتزاع العمل من منشئه فحسب بل تجمع بينه وبين ما يباينه، أي تجمع بين أعمال متفرقة أو متناقضة، وإذا هذه المباينة تقتضي اختلاف النظرة إلى العمل الفني نتيجة تلك المواجهة بين النقيضين. وهذا أيضاً ما انتهى إليه الأديب الكبير أندريه مالرو في كتابه الخالد «المتحف الخيالي» بما يضم من مستنسخات وصور فوتوغرافية تتيح لنا أن نعارض بين نقش بارز ورصيعة محفورة وأن نتبين الطراز الذي يجمع بينهما.

وقديماً تنبهت الكنيسة إلى أثر الفن في النفوس مصوراً أو منحوتاً أو منغوماً، فأمسكت زمام الفن بيديها حتى لا يكون إلا ما تحب وتهوى، وفرضت على رجال الفن رقابة قاسية مخافة أن يصدر عنهم ما يخلخل العقيدة وينحرف بالناس عن جادة الدين. وما نظن كان إلا لهذا، ولإنقاذ الكنيسة الكاثوليكية من التداعي الذي تعرضت له بعد حركة الإصلاح الديني بزعامة مارتن لوثر. ولقد كان من أمر هذا المجلس أن أخذ في رقابة الفنانين بعد ما رأى خطر تأثير الصورة أو التمثال في النفوس، وفي اختيار الموضوعات التي لا تناقض العقيدة من قرب أو من بُعد، وتجمع الناس على احترام العقيدة والتعلق بالدين. غير أن كنيسة روما ما لبثت أن حاولت استرداد سلطانها الذي فقدته خلال عصر الإصلاح الديني بالمبالغة في الكشف عن ثرائها الدنيوي وتصوير أمجاد السماء التي تشد القلوب عن طريق تسخير الفنون لخدمتها من تصوير ونحت وعمارة وموسيقى تشيع البهجة في النفوس، اجتماع مجلس الثلاثين (1546) فغمرت الكنائس بالألوان المتألقة والزخارف المفرطة التي تبدو لنا اليوم في جمال الديكورات المسرحية.

هجرت الكنيسة أسلوب عصر النهضة المنادي بتحكيم العقل في تحديد أثر العمل الفني، وآثرت في عصر الباروك ضخامة المباني المعمارية والألوان الصارخة في التصوير مع إبراز التأثيرات القوية للضوء والظلال، كأنما أراد هذا الفن بإبهاره المفرط تضليل العقل وإغراقه في بحار الوهم وزحزحته عن الاعتدال والتوازن إلى عالم الهوس المحموم. كما تبنت روح الباروك في مجال الموسيقى نفس الهدف، فحاولت تحريك مشاعر المستمع من خلال خصائص التعبير الفني كلها، واتضح أن أفضل الوسائل للوصول إلى هذا الهدف هو توجيه كل مقومات الموسيقى من ملودية وهارمونية وإيقاع نحو هذه الغاية.

وهذا الفنّ الذي حرصت الكنيسة على أن تجعل زمامه في يديها إيماناً منها بتأثيره المؤكد هو الذي كاد أهل بيزنطة يثيرون من أجله حرباً دامية خلال القرن الثامن والتاسع فيما يُعرف بحركة «تحطيم الصور». وهذا الذي خشيته الكنيسة من انطلاق الفن بلا ضابط، خشي منه أيضاً نفر من المسلمين فحالوا يوماً دون أن ينطلق الفن انطلاقته الحرة، الأمر الذي جعل الفن الإسلامي قروناً عدة مقصوراً على الزخرفة لا يعدوها. ومن هنا خصّ الفنّ الإسلامي في ظل التشكك الفنَ الزخرفي بالقسط الأكبر من جهده ودقته، فإذا هو يخلّف أروع ما يُؤْثَر من فن «الأرابيسك»، أي فن الرقش والتوريق المتشابك الذي غدا فن الإسلام الأصيل، وكان الفنانون المسلمون فيه مُعجزين حقاً لا يجاريهم فيه غيرهم. كان الفنان المسلم يستلهم في هذا أحاسيسه، فإذا خطوط الرقش الممتدة في شطحاتها إلى ما لا نهاية تشير إلى رؤاه الميتافيزيقية. وهذا الاقتضاب وذلك التحوير لم يكونا غير نتيجة منطقية لتجنب رسم الكائنات الحية على صورها استجابة لهذا الوازع. وكان الفنان المسلم إذا ما اضطر إلى ذلك شتت أجزاء تلك الكائنات أو كرر صفوفها لتكون أقرب إلى الحلية الزخرفية منها إلى شكلها الأصلي. ومن إشراقة نفسه أضفى على أشكاله آلواناً زاهية مشرقة ما تزال تبعث فينا الحنين والنشوة.

عن «الفن والحياة»، 1968

فنان الضباط الأحرار

كان الدكتور ثروت عكاشة (1921ـ 2016) محارباً ثقافياً قديماً، ورائداً في النقد الفني وتاريخ الفنون، وفي تحقيق وترجمة أمهات الكتب. ولعل من واجب المرء، بادئ ذي بدء، أن يتذكر حقيقة تخص عكاشة، مركزية وفارقة ونادرة تماماً في تقديري: أنه بدأ حياته المهنية ضابطاً عسكرياً، بل كان في عداد الضباط الذين صنعوا ثورة 23 تموز (يوليو) 1952 في مصر، ولكنه جمع بين الجيش والثقافة (خرّيج الكلية الحربية، وكلية الآداب ـ جامعة فؤاد الأوّل 1951، والدكتوراه في الآداب ـ جامعة السوربون 1960). والأرجح أنّ العالم العربي لم يشهد ضابطاً مثله أسدى إلى ثقافة بلده خدمات كبرى تأسيسية وحاسمة، سواء من موقعه الرسمي في وزارة الثقافة المصرية (سنوات 1958 ـ 1962)، أو في عمله الفرديّ المستقلّ تأليفاً وتأريخاً وتحقيقاً وترجمة.

وقد يختلف المرء أو يتفق مع هذا أو ذاك من مواقفه وأفعاله خلال فترة حكم الضباط الأحرار، أو انحيازاته اللاحقة حين بدا مراجعاً لنفسه (وهذا حقّه الطبيعي) بصدد شخص جمال عبد الناصر والناصرية إجمالاً. وقد يقبل المرء أو يرفض طبيعة الدور الذي لعبه في تنظيم الإتصالات السرّية بين عبد الناصر وناحوم غولدمان، أثناء عمله ملحقاً عسكرياً في باريس أواسط الخمسينيات. لكنّ المرء لا يملك إلا أن ينحني لهذا الضابط الذي لم يرعَ الثقافة فحسب، بل دافع عنها وعن أهلها، وحارب فرض الرقابة عليها، أمام أعلى سلطة سياسية وأمنية وعسكرية في مصر: عبد الناصر شخصياً.

وثمة، بالطبع، مَن يأخذ على عكاشة أنه لم يكن منضبطاً تماماً في ما ينقل عن مراجع أجنبية، ولم يكن يراعي التقاليد العلمية والأكاديمية في إسناد معلوماته، حتى أنّ البعض اتهمه بالسرقة، خصوصاً في موسوعته الضخمة الفريدة «تاريخ الفنون في العالم»، والتي تغطّي الفنون القديمة المصرية والعراقية والإغريقية والفارسية والتركية والرومانية والبيزنطية والإسلامية والمغولية والهندية، وفنون عصر النهضة والعصور الوسطى والعمارة الإسلامية. ولكن كيف يمكن لهذه المآخذ أن تطمس حجم الإنجازات الكبرى في ميادين عامة عديدة، بينها مثلاً: إطلاق القطاع العام في السينما المصرية، الذي ندين لسنواته الذهبية بعشرات الأعمال الخالدة؛ وإنقاذ آثار النوبة ومعبد أبو سمبل ومعبد فيله، عند إنشاء السدّ العالي؛ وإنشاء قصور الثقافة، ومتحف محمود مختار، ومتحف مراكب الشمس؛ وتأسيس فرقة الموسيقى العربية في دار الأوبرا المصرية، والفرقة القومية للفنون الشعبية، والسيرك القومي، وفرقة باليه أوبرا القاهرة؟

ومن نافل القول إنّ هذه جميعها لم تكن إنجازات مصرية محلية فحسب، بل اكتسبت على الفور طابعاً عربياً وإنسانياً. أمّا في المنجز الشخصي فإنّ تثمين أعماله ليس فيه زيادة لمستزيد: هي ثروة متكاملة ثرّة، من موسوعة الفنون الكونية، إلى ترجمات جبران خليل جبران و«مسخ الكائنات» و«فنّ الهوى»، وصولاً إلى «المعجم الموسوعي للمصطلحات الثقافية».

Volume 27 - Issue 8402 Sunday 13 March 2016

الجمال الصامت في شعر رياض الصالح الحسين

هاشم شفيق

دائماً هناك مسالك وطرائق ومنافذ في الحديث عن شعرية رياض الصالح الحسين، ذلك الشاعر الذي مرّ كشهاب خاطف في عالم الشعر السوري، وبمروره أضاء مناطق معتمة لم يسبق لأحد أن مرّ بها، وجال بنوره وبريقه في تلك المناطق الغامضة. ربما الشاعر المجدّد محمد الماغوط، كان قد مرّ عليها، ولكنه مرّ على السبل العامة ليترك فيها أثره اللامع والجديد ولم ينفذ للزوايا والعطفات والدهاليز المظلمة والمتاهات الموحشة في مساحة الأرض السورية، فجاء رياض بكامل عدته الشعرية والفنية والجمالية ليقتحم تلك العوالم المبهمة والطرق الملتوية والصعبة، ليكشف خريطة سوريا كاملاً، ملقياً من خلال موهبته الشعرية النادرة مسحات واسعة من الظلال والمعاني والموحيات الفنية على تلك الأقانيم التي قطعها وسار فيها شعر رياض الصالح الحسين.

حديثي هذا يأتي بمناسبة صدور أعماله الشعرية في مجلد واحد، أنيق وخفيف وشفاف كشعره. فعبر هذه المجموعات الخمس التي ضمّتها الأعمال الشعرية، يستطيع قارئ شعر رياض ان يلمّ بكامل عالمه الفني والدرامي. أجل في شعر رياض الكثير من الدراما والهارمونيطيقا والتآلف والانسجام بين ما يقوله من جوانيّات ورموز ولواعج، وبين المكتوب عنه إن كان كائناً حسياً أو جماداً أو رؤى فنية، إنْ كان وطناً أو امرأة، عصفوراً، أو كرسيّاً في مقهى، أو حجراً في الطريق، أو سحابة عابرة في السماء.

قاموس رياض الشعري كبير كبر قلبه وروحه الوسيعة التي راحت تتجوّل في كل التفاصيل والمشاهد والملموسات السورية، ذلك أن شعر رياض هو شعر ملموسيات، شعر حواس ودفء إنساني، فهو يأسى حتى لمرآى النمل في سيرته اليومية، أحياناً يتناسى حاله أو ينسى نفسه كي ينأى بها لدرجة الإهمال، من أجل التحدث عن سوريا وناسها، سوريا ومصائبها ومحنها، عن سوريا وجمالها ووداعتها وجمال طبيعتها. فشعر رياض في هذه الأعمال الخمسة هو شعر جامع للأضداد وقادر على حمل المأساة في يد والملهاة في يد أخرى، إنه شعر تفصيلي يتداخل في المُعقَّد، يومي قادر على الذهاب في التجريدي، واقعي يوحي بالفنطازيا والسوريالية، يوتوبي وله قدرة على السكن في حارة دمشقية عتيقة، كما كان سكنه في غرفة رطبة ومهملة في منطقة الديوانية في دمشق، قرب العدوي. كانت تلك الغرفة خشبية إلى حد ما، لا تتوفر فيها وسائل الراحة والمنافع الصحية، باردة شتاء، حارة وساخنة كفرن صيفاً، لكن رياض كانت له المقدرة على التعايش مع الحياة والأحداث، وله مقدرة بيّنة على صداقة المصائب والنوائب ومن ثم محاولة اللعب معها من أجل التغلب عليها وتخطيها، وبلورة موقف جديد منها. كل ذلك كان يأتي بفضل فطنته ومحبّته للحياة وللكائنات المرهفة والرقيقة، فشعره شعر رقة ورهافة وأناقة في التعبير وزوايا التناول، ورقة في رسم اليومي عبر صور صادمة وأليمة، لم يكن شعره شعر مفارقات وألعاب صورية، تقترب من حالات المهرّج، بل كان مسكوناً بالدمار واللوعة والبأس، شعر صعلوك ثائر على التقاليد والأعراف والمباذل الواقعية، ثائر على الراهن والسياسي المتداول في الحياة اليومية لصالح فئة معينة وشريحة واحدة وحزب واحد.

كان رياض مثل صوفي ثوري، مثل شيوعي بدائي، مثل هدّام داع للبناء والتغيير، مثل أسطورة يومية يتداخل فيها الواقعي بالميثيولوجي، وما ديوانه الثاني «أساطير يومية» إلا شهادة ماثلة على هذه الحبكة التي تَمثّلها رياض في شعره، شعر«الديو» وليس «المونودي»، إنه الشعر ذو الثنائية الجامعة بين النار والماء- بين الرماد واللهب، بين البريق الساطع والظلام التام، شعر اتحاد وتزاوج والتحام وهارموني، متناغم مع الآخر، مع الغَيْريّة والفناء في سبيل إنارة مصير الثاني، ذلك الكائن الآخر غيره، سواء كان حبيبة أو وردة، طلقة أو حصاة، فكلاهما متلازمان في شعر رياض الصالح الحسين.

من أجواء ديوان «أساطير يومية « نختار ما هو موح ودال على ثنائية الجمع الجمالي بين عالمين متناقضين وبعيدَيْن كلّ البعد عن حالة الانصهار والتنافذ:

«بعد مسائين من مطر وإجاص أرى
تحت قبعة الجنرال
قرىً مصمصتْ عظم أطفالها
ويدين تقطعتا
وأرى تحت قبعة الجنرال
دماً ساطعاً.....
وأرى مشروع حرب على الزهر
مشروع حرب على النهر
مشروع حرب على الفقراء».

كتب رياض هذه الأبيات في مطلع الثمانينيات، متنبِّئاً بما سيجيء، فهناك الكثير من الصور والمقاطع والرؤى التنبؤية التي تكهّن بها رياض سادت الآن لتكون حقيقة وواقعاً مرّاً وجريحاً.

وليس عبثا أن يسمي رياض الصالح الحسين ديوانه الأول «خراب الدورة الدموية» وهو هنا يمزج خراب حياته وخراب البلاد أيضاً، في تصاهر وتضافر موحيين وآسرين، وفي صِيَغ تعبيرية لافتة، لشاب لم يتخط حينها الخامسة والعشرين:

«تنبئني امرأة كبريتية
فمها وكر للخفافيش والأسلاك الشائكة،
زمنك المتقدم على قدمين من زجاج
سينكسر قبل أن يصلك/
تنبئني امرأة طائشة،
زمنك المنكسر يأتي اليك بلا أيام
محملاً بالتوابيت وبطاقات التعزية».

صادقاً كان رياض في كل شيء، في حماسته الشعرية، في تنبؤاته اليومية، في رسم صورة لرحيله القادم، وفي خراب دورته الدموية وخراب البلاد، كلها قدّمها في صورة استيهامية حالمة بما سيقع مستقبلاً.

كان أقصى طموح لرياض الصالح الحسين هو أن يعيش فترة زمنية أطول مما أخبره الطبيب به بأنه سيرحل عن الحياة في وقت مبكر، وهو شاب وفي ريعان فتوته. كان يحلم بالزواج من صديقته العراقية التي خطبها، وقال لي مرة وهو بصحبتها في مقهى«مرحبا» في«ساحة عرنوس» بأنه سوف ينجب طفلاً وسيماً يشبهه، يعلمه الرسم والموسيقى ويبعده عن الشعر الذي يُحطم ويقوِّض ولا يُطعم، مكتفيا بتورّطه هو به. هكذا كان يقول في أيامه الأخيرة، وكان يحلم بغرفة وقد حصل عليها كما أشرت أعلاه، وهي الغرفة ذاتها التي نقله منها إلى المستشفى الشاعر العراقي الفقيد أيضاً مهدي محمد علي، وكاتب هذه السطور، وقد نوّه بذلك الشاعر منذر مصري في تقديمه لهذه الأعمال الشعرية، التي أعدها للنشر ابن أخته عماد النجار. كان لرياض عمل دائم وثابت في صحيفة «تشرين» وقد نشط فيه إلى درجة قصوى، ولكن همّه الأول والأخير كان الشعر، كان يعرف هو أين يقف ويعرف قيمة ما يكتب هو وأصدقاؤه القليلون من العرب والسوريين. ومن أجواء ديوان «بسيط كالماء واضح كطلقة مسدس» نختار مما كان يحلم: «منذ أن ولدت بلا وطن / ومنذ أنْ أصبح الوطن قبراً / ومنذ أنْ أصبح القبر كتاباً / ومنذ أن أصبح الكتاب معتقلاً / ومنذ أن أصبح المعتقل حلماً، ومنذ أن أصبح الحلم وطناً، بحثت عن غرفة صغيرة وضيّقة / أستطيع فيها التنفس بحريّة».

رياض الصالح الحسين لم يكن يوماً ملتزماً بحزب ما، أو مجموعة أدبية، ولم ينضو كفرد في اتحاد أدبي، بل ظل حراً، وملتزماً بالشعر كقضية أولى، كونه الأقرب إلى الناس الحالمين بعالم عادل، تسوده المساواة والعدالة والحرية. كان يحلم بالثورات مثل أي شاعر ملتزم بقضايا الحريات وهموم الناس أنّى كانوا، حتى لو كانوا في نيكاراغوا كما وضّح ذلك شعرياً في إحدى قصائده التي سُمّيت بهذا العنوان «نيكاراغوا.... نيكاراغوا» من ديوان «أساطير يومية» فكيف في بلده سوريا الذي خطّ له هذه السطور التنبؤية، وكانت الأخيرة التي كتبها في ديوانه الذي أطلعت عليه قبل طباعته في مستشفى«المواساة» الذي رقد فيه قبل رحيله. والديوان كان تحت اسم «وعل في الغابة»، والمقطع الأخير في الديوان جاء هكذا «لقد اعتدتُ أن أعدّ القهوة كلّ صباح لإثنين /أن أضع وردة حمراء في كأس ماء /أنْ أفتح النوافذ للريح والمطر والشمس /لقد أعتدتُ أنْ أنتظرك أيتها الثورة».

اشراف عماد نجار:»الأعمال الكاملة رياض الصالح»
منشورات المتوسط ـ إيطاليا ـ 2016
308 صفحة

جورج دبليو بوش في «الرئيس الـ41، صورة عن والدي»:

الابن يُصّرُ على انه يُشبه والده وفتح باب النجاح أمام أخيه جيب

سمير ناصيف

على الذين لم يفهموا لماذا لم يستطع جيّب بوش، نجل الرئيس الأمريكي جورج هيربرت بوش، الاستمرار في السباق على ترشيح الحزب الجمهوري له في الانتخابات الرئاسية الأمريكية المقبلة ان يقرأوا كتاباً بعنوان «الرئيس الـ41، صورة عن والدي» كتبه الرئيس السابق جورج دبليو بوش (ترأس أمريكا بين عامي 2000 و2008) والذي قاد غزو العراق عام 2003.

ففي النسخة الورقية الصادرة مؤخراً لهذا الكتاب الذي أتم بوش الابن كتابته خلال عام 2014، يحاول ان يُظهر التشابه الكبير بين شخصيته وشخصية والده الذي ترأس الولايات المتحدة من عام 1988 حتى 1992 ثم خسر منصبه أمام بيل كلينتون. كما يحاول ان يركز على المحبة والتفاهم الكبير بينه وبين والده وعلى تبادلهما النصائح والدعم في أصعب وأدق المراحل من رئاستيهما.

ولكن يبدو ان الأمريكيين عموما، لم يقتنعوا بهذا التحوير (أو ربما التزوير) للحقيقة، إذ عاش عدد كبير منهم من الفترتين (فترة الأب والابن) وشعروا باختلاف كبير بينهما، وما عادوا يصدقون أن جيب بوش سيكون مختلفاً عن أخيه جورج الابن فقط لكونه ابن جورج هيربرت بوش الذي اضطلع بأدوار رئيسية ناجحة نسبياً في بلده بينها تمثيل أمريكا في الصين وتحسين العلاقة معها، واحتلال منصب نائب الرئيس (خلال فترة رئاسة رونالد ريغان) حيث طوّر العلاقة بزعيم الاتحاد السوفييتي آنذاك ميخائيل غورباتشيف وجذبه إلى المعسكر الغربي وساهم في تحول الاتحاد السوفييتي إلى روسيا الاتحادية الأقرب إلى الغرب كما تسلم مناصب أمنية بارزة بينها إدارة «المخابرات المركزية الأمريكية» واشرف كرئيس أمريكا على عملية تحرير الكويت من الغزو العراقي عام 1990 وعلى تنظيم مؤتمر مدريد للسلام في الشرق الأوسط بمساعدة وزير خارجيته جيمس بيكر.

في الفصل العاشر من الكتاب، يقول جورج بوش الابن ان والده أخرج صدام حسين من الكويت، ولكنه لم يُكمل العملية مع ان كثيرين من مستشاريه وأعوانه نصحوه بإكمال العملية عبر الهجوم العسكري على العراق وإسقاط صدام آنذاك (عام 1991).

ويضيف بوش الابن في الفصل نفسه قائلا: «عندما تسلمت مهماتي كرئيس، عام 2001، شعرت أن أفضل وسيلة لضبط تسلح النظام العراقي بأسلحة الدمار الشامل تكمن في إحتواء نظام صدام حسين عن طريق فرض العقوبات الصارمة. ولكن بعد حدوث هجمات 11 أيلول (سبتمبر) 2001 تغير العالم، فقد قتلت «القاعدة» ثلاثة آلاف شخص على الأرض الأمريكية وأبلغتني الوكالات الأمنية عن امتلاك صدام أسلحة كيميائية وبيولوجية وحتى نووية. وحشيتُ ان يتشارك صدام في هذه الأسلحة المدمرة مع الإرهابيين، وخصوصا انه كان يقدم مساعدات مادية لعائلات مرتكبي التفجيرات الانتحارية الفلسطينيين وانه استخدم أسلحة كيميائية ضد شعبه. وقررتُ، منذ بداية عام 2002 وضع حد لخطر صدام حسين، وكنت أحاول إنهاء ما بدأه والدي. ذهبت إلى الأمم المتحدة، كما فعل والدي عندما حرر الكويت ورأيت ان صدام تمرد على 16 قرارا من قرارات الأمم المتحدة، فعملت ابتداء من تشرين الثاني (نوفمبر) مع قادة العالم لاصدار القرار 17 الذي يشكل فرصة صدام الأخيرة للإمتثال. كما ذهبت، إلى الكونغرس حيث حصلت على تأييده. وكوالدي، نسقتُ مع القادة العسكريين. وتبين لي ان الحل العسكري هو الخيار الوحيد لمواجهة خطر صدام». وهنا، يضيف جورج بوش الابن مقطعاً قد يثير شكوكاً في صدقيته في ادعائه استشارة والده في الأمور الأساسية حيث يقول (ص 208 ـ 209): «أرسلتُ نسخاً عن مذكرات أمنية كانت تصلني إلى والدي لأضعه في صورة ما يحدث، ولكنني لم أسأله عما يجب ان أفعله. فمثل هذا القرار يجب ان يتخذه رئيس الجمهورية وحده». ويعود فيقول انه وفي لقاء عائلي مع والده عام 2002، أبلغه والده ان قرار شن الحرب قرار صعب وعلى الإنسان ان يسعى إلى كل الخيارات الأخرى قبل إتخاذه. ثم يبرر جورج بوش الابن قراره شن الحرب في 19 آذار (مارس) 2003 انه وجّه رسالة إلى والده صباح ذلك اليوم طارحاً مسألة كونه اتخذ القرار الصحيح، فاجابه والده بانه يحبه أكثر مما يستطيع اللسان ان ينطق به، وبالتالي فإنه فهم أن الأب يدعمه عاطفيا ومن قلبه. ولكن القارئ يشعر وكأن الابن يحاول ان ينسب إلى والده مواقف لم يتخذها أدت إلى الكوارث في العراق.

وفي مكان آخر في الفصل نفسه، يقول بوش الابن انه اختار تبديل سياسة أمريكا في العراق عام 2007 فقرر اعتماد سياسة دعم الحكومة العراقية، وإطلاق «الصحوة» لمواجهة منظمة «القاعدة» ومن بعدها «تنظيم الدولة الإسلامية» في العراق وجواره.

وبدلاً من ان يعترف بخطئه ويربط الوضع الحالي المتأزم بالأخطاء التي ارتكبها بغزوه العراق عام 2003 بالطريقة الاحادية التي فعلها يقول (ص 211) «مستقبل العراق غير واضح، وأنا أقول ذلك عام 2014. ومن أجل أمن أمريكا وأمن الشعب العراقي أتمنى ان نفعل ما يجب فعله من أجل هزيمة تنظيم الدولة الإسلامية، وإتاحة المجال أمام حكومة العراق الديمقراطية للنجاح». ويضيف: «هناك شيء واحد مؤكد وهو أن الشعب العراقي، والولايات المتحدة والعالم عموما هم أفضل حالياً من دون صدام حسين في السلطة. أعتقد ان قرار والدي في تحرير الكويت عام 1991 كان مصيباً، وقراري أنا، في العراق بعد مرور 12 سنة على قراره، كان مصيبا أيضا».

يظهر بوضوح ان جورج بوش الابن ما زال غير نادم على ما فعله في العراق عام 2003 وعلى انعكاساته الحالية، ويوّدُ استخدام ما فعله والده لتحرير الكويت عام 1991 كحجة لتبرير ما فعله هو في العراق على الرغم من ان الوالد إمتثل للقرارات الدولية فيما قام هو وأعوانه بتجاوز الكثير من الشرائع الدولية والإنسانية.

كما أن بوش الابن يتجنب الإشارة إلى ان نائب رئيسه ديك تشيني، ووزير دفاعه دونالد رامسفيلد ووزيرة خارجيته كوندوليزا رايس استأثروا بالقرارات وشكلوا مجموعة ضغط ضد جميع الذين مثلوا سياسات والده والذين ضمهم إلى ادارته في الفترة الأولى ثم وافق على إقصائهم أو عدم الاستماع إلى مشورتهم في فترات لاحقة، وبينهم وزير الخارجية كولن باول، ووزير الخارجية السابق في عهد والده جيمس بيكر الذي كان والده يثق به ثقة كبيرة وحاول مرارا إستخدامه لتوجيه النصائح والرسائل إلى ابنه من دون جدوى.

ولعل من المفيد الإشارة إلى ان جورج بوش الابن ربما ساهم بشكل غير مباشر في خسارة والده الانتخابات الرئاسية لعام 1992. وكان الأب متردداً في اتخاذ هذا الموقف ولكنه استمع إلى نصيحة ابنه.

ولما عادت فضيحة «إيران ـ كونترا» إلى الواجهة خلال الأسابيع الأخيرة من حملة بوش الأب الرئاسية لعام 1992 (بعد إدانة كاسبر وايتبيرغر، وزير الدفاع في عهد ريغان وبوش، بالضلوع فيها) لم يعُد بيكر في موقع يسمح له بإن يساهم منه في دعم بوش الأب في مواجهتها مواجهة فاعلة.

وعودة هذه القضية إلى البروز بالإضافة إلى دخول مرشح ثالث في السباق الرئاسي (روس بيرو) استقطب عدداً كبيراً من أصوات بوش الأب، أدتا إلى خسارة الأخير انتخابات عام 1992، أي ان نصائح بوش الأبن لم تكن مجدية بل كانت سلبية.

ويلاحظ القارئ أن خروج جيمس بيكر من وزارة الخارجية حدث مباشرة بعد نجاحه الكبير إلى جانب بوش الأب في مؤتمر مدريد للسلام العربي ـ الإسرائيلي، واتخاذه مواقف صلبة ضد إسرائيل وقادتها. كما أن الضغوط التي مارسها المحافظون الجدد في إدارة بوش الأبن على وزير الخارجية الأول في عهده (كولن باول) كانت مكثفة، حسب مصادر مختلفة، بينها كتاب لمايكل موريل، نائب المدير السابق لوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية بين عامي 2010 و2013 بعنوان: «الحرب العظيمة في عصرنا». وهذه الضغوط حسب موريل، أدت إلى استقالة باول، علماً ان موريل عمل في الوكالة 33 عاما وكان على اتصال دائم بجورج بوش الأبن خلال رئاسته ويقدم إليه التقارير اليومية.

كل هذه الأمور، لم يتطرق إليها بوش الابن في كتابه عن والده، سوى انه قال في أحد مقاطع الكتاب انه عندما قرر إقالة وزير الدفاع دونالد رامسفيلد من منصبه وتعيين روبرت غيتس مكانه، طلب من نائب الرئيس ديك تشيني إبلاغ رامسفيلد بالقرار. وهنا أيضا، يتساءل القارئ عما إذا كان بوش الابن يخشى خلال رئاسته مجموعة المحافظين الجدد التي سيطرت سيطرة كبيرة على قراراته، أكان ذلك في شن الحرب على العراق، عام 2003، أو في قراراته الأخرى بعد ذلك. كما قد يُطرح سؤال آخر عما إذا كان بوش الأب ومن خلال خبرته العارمة التي اكتسبها من المناصب البارزة التي تسلمها، يخشى مواقف نائب رئيسه دان كوايل أو أي عضو في حكومته، كما خشي ابنه المسؤولين الآخرين من المحيطين به؟

وفي العودة إلى عدم حماسة الشعب الأمريكي عموماً والناخبين الجمهوريين الأمريكيين لترشيح جّيب بوش، شقيق جورج دبليو بوش واضطرار جّيب إلى الانسحاب من السباق، فربما أنهم بعدما أعطوا ثقتهم لواحد من أبناء بوش الوالد، البطل القومي (في رأيهم) وفرّط فيها، فإنهم يخشون إعطاءها لابن آخر قد يسير في خطى أخيه.

والمؤسف ان جورج بوش الابن ما زال لا يدرك هذا الأمر أو أنه يتجنبه عن قصد، حيث يشبّهُ والده بالزعيم البريطاني ونستون تشرشل الذي كان ينهض دائما ويفوز بعد الهزائم ويقول انه هو شخصيا ساهم في انتصارات والده وفي فتح الباب أمام أخيه جيب للإنتصار!

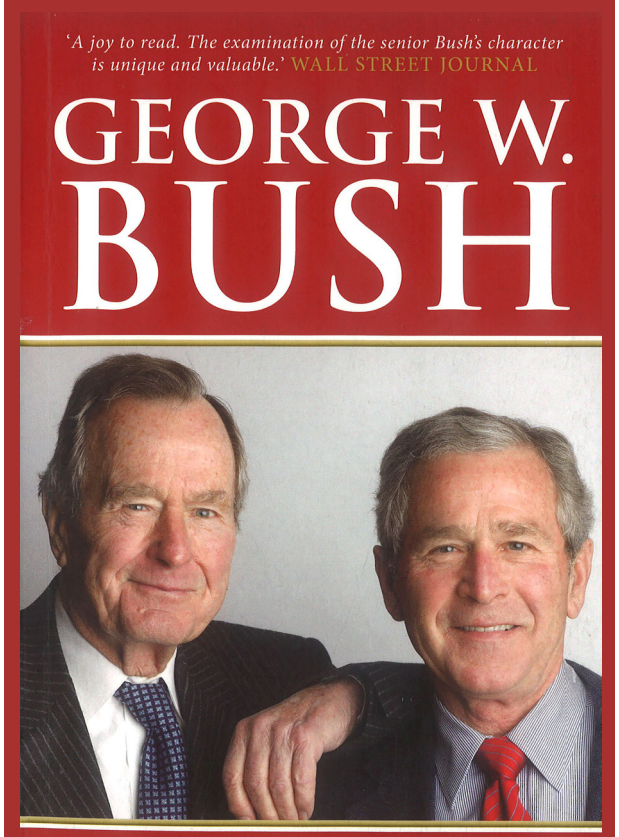

George W. Bush : 41 : A Portrait of My Father
WH Allen, London 2015
304 pages.

رأي

كاريكاتير: عبد الرحيم ياسر

في وداع أمبرتو إيكو: إعلاء قيمة الفرح

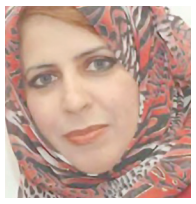

فاطمة الشيدي

العالم ودع الفيلسوف والروائي والباحث في القرون الوسطى الإيطالي أمبرتو إيكو، الذي عرف بكتبه النقدية الجادة، ومقالاته الرائعة، ولكنه اشتهر بروايته العظيمة «اسم الوردة»، والتي كانت تقوم على فكرة محاربة الضحك من قبل السلطة الدينية المتمثلة في الكنيسة، وتحديدا في شخصية يورغ، الكاهن المتزمت والمستعد لعمل أي شيء - بما في ذلك قتل الجميع - دفاعا عن عدم ظهور كتاب «الكوميديا» لأرسطو. لأنه من وجهة نظره المتشددة «الضحك هو الضعف، هو الانحلال، ومسخ طبيعتنا الإنسانية، هو اللهو»، ويدلل على ذلك بأن السيد المسيح لم يتخفف في حياته أبدا، ولم يضحك ولم يحك هزليات، بل كانت حياته جادة وصارمة، وبالتالي فهو يحرم كل الأشكال المرتبطة بالضحك من فرح ومرح وهزل ولعب. فالضحك يدفع إلى الابتعاد عن قيم الدين الرفيعة، كما يدفع للريبة والشك في اليقينيات الدينية، ويشجع على الانحلال والتفسخ، وسقوط القيم العالية. ولكن المحقق وليام يبين له أن الضحك حياة، وحاجة إنسانية، وأن الإنسان يحتاج للضحك ليحيا وينسى، وأن الضحك حالة تحرر من ربقة المادة والخوف.

إن هذه الفكرة التي أراد إيكو تصديرها للقارئ المعاصر، وهي الفهم المغلوط والقاصر من قبل بعض المتدينين المتشددين بأن الدين ضد الحياة، وأن الالتزام به ضد مظاهر الفرح والمرح، أولئك المغالون في تقديم الدين وتطبيقه، وكأنه أوكلت لهم مهمة حمايته وتنقيته من الفاسدين حتى بالموت، هذه الفكرة ليست بعيدة إطلاقا عن عصرنا الذي تذهب به المدنية والعلمية نحو الانفتاح على العالم وتنقيح كل الأفكار وتمحيصها. فهؤلاء يعيشون بيننا، متوهمين أحقيتهم في حماية الدين، وتغيير سلوك الأفراد باسم الرب، والقضاء على كل ما يخرج عن مفاهيمهم المتشدّدة، ورؤيتهم القاصرة للدين. لقد وضعوا أنفسهم في مواضع الفتوى، وتشيخوا على الدين قبل الناس، فقاموا بتحريم الكثير من مظاهر الفرح، وتقديم الكثير منها على أنه بدعة، حتى أصبحت كل مواضع الفرح فتنة محرمة، كالموسيقى والغناء، والتجمعات الإنسانية، وارتداء الألوان، وزيارة الموتى، وبعض الطقوس الاجتماعية المتوارثة (كالختان مثلا).

لقد كان البشر يعيشون مع بعضهم حياة طبيعية رجالا ونساء، صبيانا وبنات، وكانت البيوت مفتوحة، والأعمال مشتركة، والمناسبات جامعة، والحياة طبيعية، وألوان ملابس النساء ربيعا مزهرا. وكانت الاحتفالات بالمناسبات الدينية والاجتماعية كالأعياد والأعراس تأخذ أبعادا إنسانية ونفسية رائعة، ممتزجة الفرح واسعة البهجة بالألوان والطعام والتجمع والمسابقات والاحتفالات والرقص والموسيقى. ولكن وباسم ما يسمى بالصحوة الدينية ظهرت ظاهرة تحريم كل هذا، والتحريض على الفصل بين الناس وحرمة الاختلاط، وأصبحت ملابس النساء قاتمة سوداء، تحث على الكآبة وتحرض على الكبت، وأصبحت كل مظاهر الفرح بدعة مرفوضة، ومحرمة.

وما تزال هذه التحريضات بالحرمة والإثم، تمتد في كل المناسبات الطبيعية والبسيطة، فعيد الحب، وعيد الأم، ويوم المرأة، وعيد العمال، كلها بدعة، وبالتالي فهي حرام، ولذا ينشط الدعاة في هذه المواسم، مستخدمين كل الآليات والوسائط الجديدة (التي من المفترض أن تكون بدعة أيضا) لمواجهة طقوس الفرح، ومحاصرة القلوب التي تبحث عن بهجة قليلة، ونافذة صغيرة للفرح.

فإذا تعلقت تلك المناسبات بالمرأة كان النشاط فيها أكبر، والتحريض أكثر، والمواجهة أشد وأعتى، فهي (أي المرأة الدرة المصونة) ليس لها من الحياة سوى البيت، والزواج وتربية الأطفال، فلا تستحق وردة في عيد الحب، ولا هدية في عيد الأم، ولا نزهة في يوم المرأة. وليس عليها أن تتجمل قليلا في أي من تلك المناسبات لتبعد تكلس الزمن عن جسدها، وترفع معنوياتها بالقليل من الفرح، وتحاصر الهم والألم والكبت والقمع والقهر الذي يتلى على روحها ليلا ونهارا، والتعب الذي يعتريها زوجة وأما ومعلمة في البيت وعاملة خارجه، لأن ذلك سيحولها شيطانا مغريا للرجل الذي يقع فريسة للإغراء بسهولة ويسر.

أما إذا كانت مناسبة كبيرة كرأس السنة، فترتفع الألسن بالقدح والنذير، وتفتح كتب التراث لاستخراج ما يدلل على حرمتها، وما ينذر بعقوبة مقترفها، وما يفترى به على النبي من أحكام لم يقلها، ومن تأويلات لم يقصدها، متجاهلين أننا نحتفل بعام تشكّل تواريخه مولدنا في شهادة الميلاد، وموتنا في شهادة الوفاة، وروزنامة أيامنا، وجداول أعمالنا وإجازاتنا، وشهادات دراستنا، وشهادات أطفالنا، وكل ما يمت لحياتنا بصلة.

ثم يتساءلون لماذا ينجرف الجميع للاحتفال بأعياد العالم ومناسباته إذا ما أتيح لهم سبيل، كأعياد الهنود، والحضارات الأخرى التي تعيش بيننا، أو الأعياد الأوروبية التي يعيشها البعض خارج أوطاننا المكبوتة، بما تمثله من ألوان وبهجة وموسيقى وغناء؟

لأن الإنسان - أيها المتشددون - يحتاج الفرح ليستمر، والضحك ليحيا، ولذا نحتاج اليوم أكثر من أي زمن مضى، أن نربي ثقافة الفرح، ثقافة التفاؤل، ثقافة الجمال، ثقافة حب الحياة والسفر والاستمتاع، وزيارة الموتى الذين نحتاجهم أكثر مما يحتاجون إلينا.

ونحن ندرك بعقولنا - التي وهبها الله لنا لنفكر بها - أن الفرح ليس بدعة، بل هو الحياة، والرسول الكريم كان مبتسما، هشا بشا، يستمتع بكل جوانب الحياة، فارحموا عقولنا من جهلكم، وارفعوا أيديكم عن أرواحنا، وحرروا ديننا من قبضتكم، ودعونا نتحايل على الحياة بالتفاصيل الصغيرة، وبالفرح، وببعض الأمل.

ويا أمبرتو إيكو، يا صديقي الكبير الذي تعلمت منه الكثير، وغيرتني كتاباته جدا، أقول لك، نعم «كانت الوردة اسما ونحن لا نمسك إلا الأسماء»، وما أجمل اسم الوردة الذي اخترته، و«الكوميديا» كتاب الفرح والضحك لتخبرنا أن علينا أن نتشبث به في الحياة.

إن وردتك الضائعة يا صديقي (الفرح والضحك والمدنيّة الرفيعة)، ضائعة بيننا أيضا اليوم، وعلينا أن نبحث عنها كما علمتنا، وننتشلها من أيدي القساة، والمتشددين، والغلاة في الدين والحياة كما أردت لنا.

لقد استفدنا من وردتك؛ أن الفرح والحب والجمال هي الإنسانية الحقيقية القائمة على الصدق، والروح العالية النبيلة هي التي لا تتصنع الجدية لتبني لها حصونا واهية من الزيف أو التشدد، وتخفي البهتان الباهت، والنقص البيّن، والخراب الداخلي. وأن الصدق والحب والفرح هي الروح الأعمق للإنسان الأجمل، والحقيقة الكبرى للدين الأكمل، وهي حقيقة الله في أرواحنا، كرب للإنسان والوجود.

وداعا يا صديقي، لقد أديت رسالتك النبيلة، ووضّحت فكرتك عن الدين والإنسان، وعلمتنا أن الضحك قوة المعرفة، وأداة الحقيقة، وها أنا حزينة جدا لغيابك، ولكنني أعدك أنني سأقترب منك الآن أكثر، وسأتشرب كتاباتك أكثر وأكثر، وسأفنّد أفكارك الكبيرة. فالغياب والحضور يتبادلان الأدوار مع البعض وأنت منهم، وداعا يا اسم وردة الفرح، يا روح السرد العظيمة، ويا صاحب الأثر المفتوح على الزمن والخلود.

كاتبة عُمانية

اختناق عشرات الفلسطينيين بالغاز في الضفة

أصيب عشرات الفلسطينيين، بحالات اختناق بالغاز، خلال تفريق الجيش الإسرائيلي، مسيرات أسبوعية مناهضة للاستيطان والجدار الفاصل، في مناطق متفرقة في الضفة الغربية، بحسب مصادر محلية. وجرت مواجهات وصدامات بين شبان فلسطينيين والجيش الإسرائيلي في بلدة بيتونيا قرب معتقل «عوفر» الإسرائيلي غرب رام الله.

آداب وفنون

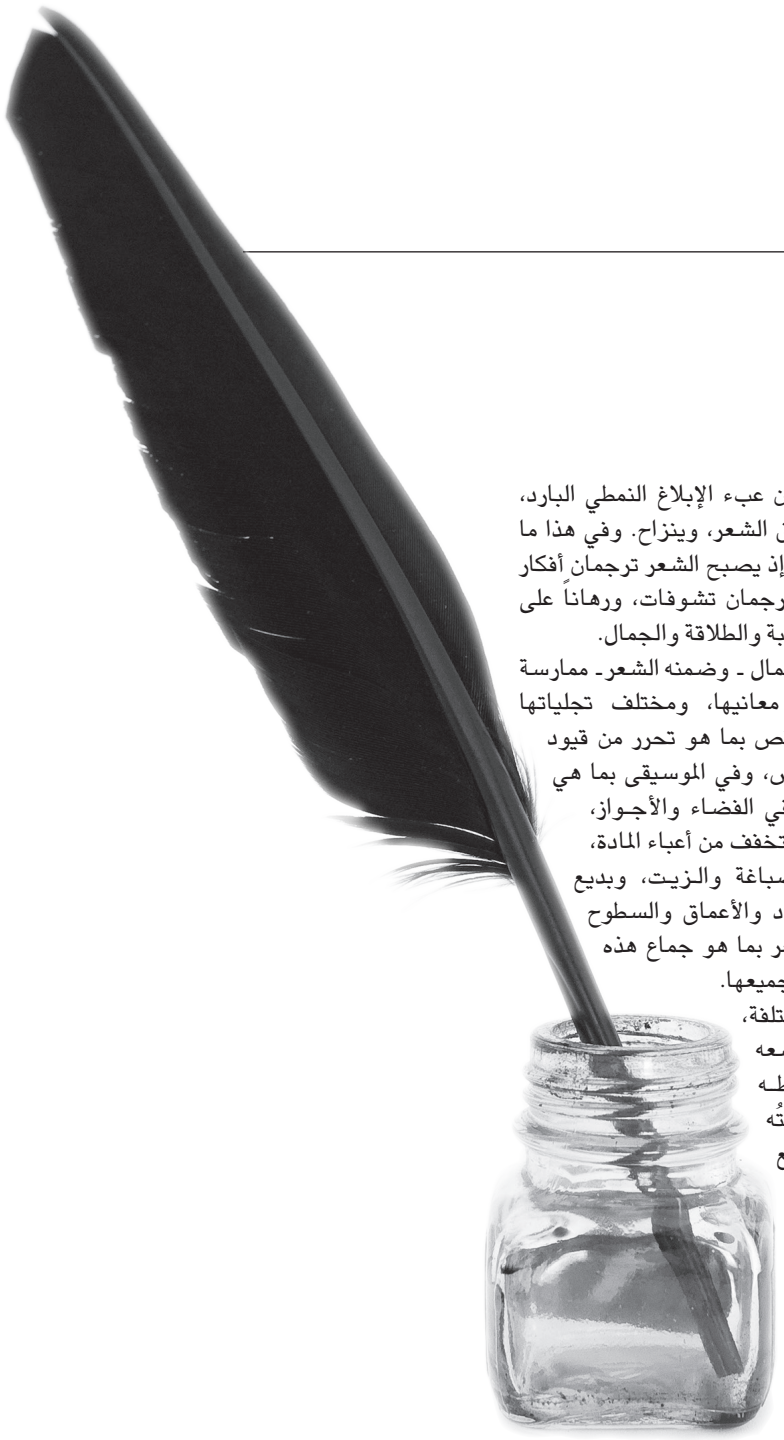

الشعر والحرية

محمد بودويك

بين الشعر والحياة أكثر من وشيجة وَصِلَة، بل أكثر من تَصَادٍ وترابط واندغام. منها يقتات وعليها بنيانه ونموه، وجذوته المتقدة، ووجوده. بينهما الاستمداد والاسترفاد لما به يكونان: الشعر يتنفس الهواء والشمس والماء والتراب، والحياة تزداد به نضارة ورونقا وجمالا.

أليس الشعر نشيدا للحياة يتنشقها ويقبل عليها بملء ما يُكَوِّنُهُ ويُهَيْكِلُهُ، بلغته وصياغته وصوره، وتشوف دلالاتـه، واستشرافاتها، وبالحلم الذي يسري في جسده يمده بالاستمرار، ويغذيه بالإشراق والنشيد؟ لا شعر ما لم يحيا ممجدا للحياة. لا شعر ما لم يتقدم وسط الكسور والشظايا والحطام ليقول الغد والبديل، والقادم الأبهى. ومن ثم، فالشعر حرية، أي بينه وبين الحرية أكثر من سبب وقرابة ونسب، إذ الحرية هي بنت الحياة، وما دام الأمر كذلك، فالشعر والفنون جميعا فلذات أكباد الحرية بما يعني أبناء الحياة.

حرية القصيدة في حيوتها، وتشعب معناها، في الفرادة والطزاجة، والقدرة على تمثل روح عصرها، وفي تجاوز المحرم، واختراق النمطي، وَهَدِّ المضايق طلبا للشسوع والرحابة والطيران، وفي الطيران حرية بما لا يقاس.

وتتجلى تلك العلاقة، ذلك التماهي، في الهموم الجديدة ومعانقة الوجود كواقع يتخطى الشعر بالحلم من أجل واقع ثان، واقع محلوم به لا يني يَتَبَنْيَنُ كنعمة تسكن اللغة التي تتحول إلى وطن استعاري عريض وبديل.

ويتصل هذا الربط، ربط الشعر بالحرية، في الجرأة على المؤسسات، أو بالمعارضة لـ«التقليدانية» في تجلياتها ومشخصاتها العديدة والمتنوعة، من دون أن يسقط في الشكلانية السياسية، والزعيق الإيديولوجي، وشرك الهتاف والمباشرة والتحريض. إذ معارضة البنى القائمة، والنظم البالية، تتأتى بالفن عموما، وبالشعر حين يتجوهر ويترقرق وصولا إلى الإلذاذ والفائدة الماتعة.

والشعر حر إذا تحرر من القيود اللغوية الرثة، والبلاغة المعتقة «الحيزبون» ما يقود إلى القول أن الحرية في الشعر تعني ـ فيما تعنيه ـ التعبير الحر المنبثق من صميم الأنا، والذات، والرغبة، والانعتاق. وهذا يقتضي عدم الخوف من المساس بما هو محرّم وما هو مقدس وصَنَمِي: اللغة، الجنس، الدين، السياسية.

ليس بشعر شِعْرٌ يمدح الطواغيت، ويمجد الفساد والاستبداد، ويزين للإمبراطور ثيابه. ولا بشعر شِعْرٌ يَكِلُ للحروب وجحيمها الأوصاف والنعوت التي تبرر شرورها، وتزركشها بماء الذهب المزور.

الشعر أكثر من لغة إنسانية إذ هو روحها وجوهرها النابض الملتمع في قرارة كيانيتها وتشكلها. وهو تعبير عميق يغني للحرية، ويصدح للشمس آناء الليل وأطراف النهار لأنه للقيم الإنسانية العليا خُلِقَ وأنشئ وانْبَثَقَ، قيم الحرية والحق، والجمال، والعدل. فهو حرية، والحرية شعر، هو هي، وهي هو، تَمَاهٍ وحلولية وتنافذ وتراسل وتَضَامّ.

في اللغة بما هي ماض وحاضر وآت، ومسكن أنطلوجي ونعيم، يكمن الشعر، تكمن الحرية. في اللغة متحررة من أثقال الحاجيّ، والضروري والمعاش، ومتحررة من عبء الإبلاغ النمطي البارد، والتداول العام، يتخلق الشعر، وينزاح. وفي هذا ما يشي بمعاني الحرية، إذ يصبح الشعر ترجمان أفكار وأشواق ورغائب، وترجمان تشوفات، ورهاناً على تسييد قيم الخير والمحبة والطلاقة والجمال.

هكذا يكون الفن بإجْمال ـ وضمنه الشعر ـ ممارسة للحرية في أسمَى معانيها، ومختلف تجلياتها ومستوياتها. في الرقص بما هو تحرر من قيود الجسد والمادة والأرض، وفي الموسيقى بما هي سمو وعلو، وترحل في الفضاء والأجواز، وفي التشكيل بما هو تخفف من أعباء المادة، وانتشاء برَخامة الصباغة والزيت، وبديع الألوان، وعمق الأبعاد والأعماق والسطوح والقرارات. وفي الشعر بما هو جماع هذه المعاني والتوصيفات جميعها.

به، بالفنون المختلفة، يتحرر الإنسان من وضعه الحيواني، وشرطه الخام، فتتحقق مَكْرُمَتُه على الأرض كصانع ومبدع ومُحَوِّل، ومتحول، وَبَانٍ لثقافة خلاقة يعيد بها بناء كون يتهدم، ويستبق خرابا قادما، ينجح في وقف زحفه، وتهديده للبشرية بالفناء العام، والهلاك المترصد.

صورة الفنّان بعد رحيله

بشّار عبد الواحد لؤلؤة

هنري دُوتِيِيَوْه

تزخر شوارع أوروُبّا وساحاتها بلوحات تذكاريّة تؤرّخ لشخصيّات مرموقة مرّت بها. فتجد، مثلاً، لوحة تقول أن الروائي الفلاني سكن في الطابق الأرضي من هذا المبنى حين خطّ إحدى رواياته الشهيرة، أو أن الرسّام العلاّني اتّخذ من الطابق العُلوي المشرف على هذه السّاحة ورشة عمل له حين غيّر مجرى تاريخ الفن الحديث بفضل ابتكاره اسلوباً جديداً في اجتراح الألوان على قماش الجنفاص، وهلمّ جرّا. ولم يغب عن بال الطرفاء أن يتندّروا اعتماداً على كثرة هذه اللافتات، كأن يقولوا، مثلاً، أن رواية فلان ما كانت لتأتي بهذه السوداوية لولا بؤس الشارع الذي رأت فيه النور.

ولم يشكّ أحد من جيران المؤلف الفرنسي المرموق هنري دُوتِيِيَوْه (1916–2013) في الحيّ الرابع في باريس أن يوماً سيأتي، وبخاصة بُعيد وفاته، يتحلّى فيه مدخل البناية التي كان يقطن فيها بلافتة تذكارية تشير إلى شقّته. لكن أوساط الأنباء طالعتنا في أواسط آذار/مارس 2015 بما لم يكن في الحسبان، إذ رفض عمدة الحيّ الرّابع، كريستوف جيرارْد، السماح بتخصيص أيّ لوحة لذكرى دُوتِيِيَوْه بحجّة أنه كان قد ألّف موسيقى تصويرية لشريط سينمائيٍّ في 1941 روّج للفعاليّات الرياضية وما كان يُدعى بـ «مثال العامل الذي يتوجّب الاقتداء به» أيام حكم نظام الماريشال بيْتان، عميل الاحتلال النازي في فيشي.

من الجدير بالذكر في هذا السّياق أن دُوتِيِيَوْه أحد أهم المؤلفين الفرنسيين في النصف الثاني من القرن العشرين، إلى جانب بيير بُولَيز (1925–2016) وجان فرانسيه (1912–1997) وأوليفييه مَسيان (1908–1992) وموريس دوروفلَيه (1908–1986) وكانت مؤلّفاته تُظهر تأثّراً بموسيقى كلود دَيبُوسي (1862–1918) وموريس راڤَيل (1875–1937) وآلبَير رُوسّيل (1869–1937)، وحتى بموسيقى الجاز، لكنه لم يتبع مدرسة ما، بل اتّخذ لنفسه أسلوباً شخصيّاً للغاية يتميّز بالغموض والشفافيّة في آن ولا يخلو من المسحة الرّوحيّة. ولم يسمح دُوتِيِيَوْه بنشر سوى النزر اليسير ممّا كتب بعد أن قلّبه وعدّل فيه مرّات تكاد لا تُحصى، ثم عاد فعدّل في المنشور

Volume 27 - Issue 8402 Sunday 13 March 2016

تحتل فصلاً رئيسياً في تاريخ التشكيل الإسباني: الأندلس مصدر إلهام وإبهار

نادية بولعيش

الفن التشكيلي الاسباني غني الإبداع وممتد زمنيا. أسماء مثل غويا وبيلاسكيث وبيكاسو وسالفادور دالي هي حلقات هامة في تاريخ الفن التشكيلي العالمي. والرسم في اسبانيا هو تقليد مقدس وراسخ منذ قرون، جذوره تنطلق من رسومات الكنائس وتغطي مختلف التيارات والمدارس من واقعية وسوريالية وتكعيبية إلى رسومات غرافيتي في شوارع المدن الكبرى مثل برشلونة ومدريد.

عراقة التشكيل الاسباني تنافس الإبداع الأدبي في معالجة ورصد الأحداث التاريخية والاجتماعية التي مرت بها اسبانيا عبر حقبها الزمنية. ولا تقل براعة فرشاة بيلاسكيث في توظيفه للخطوط والألوان في لوحاته في رسم اسبانيا القرن السابع عشر عن كلمات وتعابير سيرفانتيس في «دون كيخوتي دي لمنشا» إبان الحقبة الزمنية نفسها. يشتركان في قوة التعبير والوصف، وهنا نحن أمام اللون والخط مقابل الكلمة.

ويقول الناقد فيرناندو غارسيا دي كورثاسار في كتابه «تاريخ اسبانيا انطلاقا من الفن» أن التشكيليين الاسبان برعوا في رسم وتصوير تاريخ اسبانيا متفوقين على باقي الأمم. وقد نجد مثالا للاسبان في مقارنتهم لنظرائهم الإيطاليين.

ومن ضمن الحقب التاريخية التي استرعت الرسامين الاسبان، هناك الأندلس بحضارتها الشامخة. وكما انتشرت الروايات التي تتخذ من فضاءات الأندلس وشخصياتها وأحداثها التاريخية موضوعا للكتابة والإبداع، ولقيت الحضارة العربية في الأندلس اهتماما وسط المستشرقين، بالموازاة زمنيا وموضوعاتيا اهتم التشكيل بالأندلس والموريسكيين.

وانشغل التشكيليون الاسبان بموضوع الموريسكيين والمسلمين منذ قرون، والاهتمام مستمر حتى الآن. فقوة الالهام التي يمارسها الموضوع الموريسكي جذابة. وهكذا، فالمتأمل في تاريخ التشكيل الاسباني سيجد الحضور الطاغي لموضوع الموريسكيين، سواء الأحداث أو المآثر العربية الخالدة مثل قصر الحمراء.

وكما ظهر الأدب الاسباني مع رومانسيرو، وهي الأشعار التي كانت تخلد انتصار المسيحيين على المسلمين في حروب الاسترداد، وأغلبها مجهول المصدر، فالتشكيل الاسباني ظهر مع الرسومات التي احتضنتها الكنائس وما أكثرها، وعكست هذه الانتصارات نفسها، وكان موضوعها حروب الاسترداد كذلك. فقد لعبت الكنيسة دورا هاما في انتشار الرسومات الدينية التي ركزت على المواجهة بين الإسلام والمسيحية.

وكل حدث تاريخي كبير بشأن التواجد الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية عكسته فنيا فرشاة الفنانين، وبهذا نجد كل معارك الاسترداد وقد جرى تصويرها تشكيليا. وإذا كان مؤرخو اسبانيا يعتبرون سقوط غرناطة بداية تأسيس الأمة الاسبانية، فعشرات اللوحات التشكيلية تخلد الحدث، ولكن لوحة «استسلام غرناطة» لفرانسيسكو باديا في القرن التاسع عشر تعد الأشهر.

وأشهر اللوحات التي رسمت طرد الموريسكيين هي التي أنجزها رسامون من فالنسيا سنتي 1612 و1613 بطلب من ملك اسبانيا فيلبي الثالث الذي طرد الموريسكيين سنة 1609. والرسامون هم فيسنتي ميستري وفرانسيسكو بيرالتا ويري أوروميغ وخيرونيمو إسبينوسا، كانوا شهودا على عمليات الطرد من موانئ فالنسيا وأليكانتي نحو المغرب والجزائر، وهو ما يجعل لوحاتهم التشكيلية واقعية في الدقة في رسم الفضاء العام والشخصيات والحدث التاريخي. ويعد القرن التاسع عشر حقبة الاهتمام بموضوع الموريسكيين في اسبانيا، قد تحررت البلاد من محاكم التفتيش التي طالت كثيرا، وبدأت نظرة الاسبان من فنانين وأدباء تتغير نحو الإرث الأندلسي. ونقف عند لوحات مانويل غوميث مورينو غونثالث بعنوان «طرد الموريسكيين» وأخرى «مغادرة أمراء بني نصر قصر الحمراء»، وتقبض فرشاته على أدق تفاصيل الفضاءات، أبهة القصور التي تتناقض ومشاعر الحزن على الشخصيات في اللوحة الأخيرة، ونجح في رسم آلام الأمهات عندما كان الجنود الاسبان يفصلون بين الأمهات والأبناء الصغار للاحتفاظ بهم في اسبانيا وطرد البالغين نحو المغرب في اللوحة الأولى.

بعد حروب الاسترداد، اهتم التشكيل بحياة المسلمين في الأندلس، وعكست لوحات شهيرة مجالس العلماء. وأرّخ الفنان ديونوسيو بيكسيراس فيرداغير في نهاية القرن التاسع عشر الجلسات العلمية في قرطبة في لوحة «حضارة خلافة قرطبة في عهد عبد الرحمان الثالث». لوحة تتميز بتوزيع فضاء اللوحة ذو الألوان الفاتحة وتأتيتها بشخصيات عملية ومطربات وأدوات موسيقية وعلمية وكتب. لوحة تختزل أوج الحضارة الأندلسية في هذه الديار الأوروبية وقد تكون أحسن معبر عن هذه الحضارة فنيا حتى الآن.

ولا تقل لوحات ميغيل فيكو هيرناندیث قيمة جمالية وتاريخية في تاريخ التشكيل الاسباني المهتم بالحضارة الأندلسية، فقد ترك هذا الرسام المنتمي إلى القرن التاسع عشر وبداية العشرين أعمالا إبداعية استلهمها من الهندسة المعمارية لقصر الحمراء في غرناطة.

ويعمد بعض النقاد إلى تصنيف التشكيل الاسباني ذو المضمون الأندلسي ضمن الاستشراق التشكيلي، ونختلف في هذا التصنيف، فالرسامون الاسبان لم يتخيلوا أو يختلقوا أو انبهروا بالشرق خلال زيارة بعضهم للعالم الإسلامي كما حدث مع الفنانين الفرنسيين والألمان والانكليز، بل أن الاسبان رسموا أحداثا تاريخية واستلهموا مواضيع لوحاتهم من التاريخ العميق لاسبانيا، والحضارة الأندلسية هي جزء منه بفضل سلطة سياسية امتدت إلى ثمانية قرون. التشكيل الاسباني المهتم بالأندلس هو إبداع يرتبط بالتاريخ الاسباني وأحداثه أكثر منه مظهرا من مظاهر الاستشراق.

«سقوط غرناطة» لفرانسيسكو باديا

مراراً، ما جعل نتاجه المنشور أقل غزارة من معاصريه بكثير، لكنه، على قلّته، يعلق في الذاكرة أكثر بكثير من نتاج معظمهم. واشتهر عنه أنه قال في هذا الخصوص: «إني دائم الشكّ في نتاجي، ودائم الندم عليه. لذا تجدني أعدّل فيه دوماً، ويحزّ في نفسي في الوقت ذاته أن نتاجي ليس غزيراً. بَيْد أن سبب الشحّة هذه يعود إلى أني أشكّ في نتاجي، ممّا يحدو بي إلى صرف وقت طويل في تغييره. ثمة مفارقة في هذا، أليس كذلك؟»

ولم يشتهر إلاّ عند العارفين عن دُوتِيِيَوْه أنه كان عضواً بارزاً في المقاومة الفرنسية السّرّيّة للاحتلال النازي ولنظام الماريشال المتواطئ معه، إذ انضم في 1942 إلى «جبهة الموسيقيين الوطنية» التي كانت تنقذ الموسيقيين، والعديد منهم يهود، الذين تعرّضوا لملاحقة النازيين. كما قام بتلحين أربع غنائيات، بالسرّ، لأحد أهم شعراء المقاومة الفرنسية، جان كاسو (1897–1986)، أشهرها غنائية بعنوان «السّجن»، وجازف في ذلك بحياته، ناهيك عن حرّيته. أمّا الشريط السينمائي الدعائي المشار إليه أعلاه فكان تكليفاً في زمن شحّت فيه التكليفات بالعمل للجميع، فما بالك بالمؤلّفين؟ وحتى مادة الشريط، وهنا المفارقة، كانت بعيدة كل البعد عن التطبيل للنظام المتواطئ مع النازيين. فكيف اقتنع إذاً عمدة الحيّ الباريسي الرابع في 2015 برواية تناقض التاريخ الشريف لهذا المؤلف؟

الجواب، مع الأسف، يبدأ بالإشارة إلى أن المجتمعات، مهما بدت عليها علامات التطوّر الحضاري، تظل تنطوي على أفراد ملؤهم الحسد والنميمة؛ بل يبدو أن ثمة علاقة طردية بين الظاهرتين، فكلّما زاد تحضّر مجتمع ما، تعمّق الحسد وتفاقمت النميمة في عدد لا يستخفّ به من أفراده. وإذا تمكّن أحد هؤلاء المغرضين من إقناع مسؤول ما غير متبحّر في الأمور ولا يرى من واجبه تقصّي الحقائق، كما هو الحال هنا، بأن الأسود أبيض والأبيض أسود، فلا عجب أن يعرف الجميع في يومنا هذا أسعار كل الأشياء دون أن يدرك قيمتها. فما قيمة سبعة وتسعين ربيعاً من حياة ملؤها الدراسة والجدّ والاجتهاد والانجاز إذا انتظر موتَك وضيعٌ لا لشيء إلاّ كي يعيث في سمعتك فساداً؟

غنيٌّ عن الذكر أن مؤلّفنا لم يتنقّل من عاصمة إلى أخرى متبجّحاً بنضاله السرّي هذا بعد تحرير فرنسا في 1944، فقد كان أرقى من أن يُقدم على شيء من ذلك، وطوبى لتلاميذه وأصدقائه الأوفياء الذين انبروا يدافعون عن سمعته بعد رحيله. إذ تعاون دُوتِيِيَوْه مع دار الإذاعة الفرنسية على نشر الموسيقى الكلاسيّة في برامج عدّة استمرّت لعقدين من الزمان حتى 1963، كما أخذ يدرّس التأليف الموسيقي في دار المعلّمين العالية للموسيقى في باريس من 1961 حتى 1970 ولسنتين بعد ذلك في أكاديمية باريس للأداء الموسيقي، التي كان قد تخرّج فيها عام 1938، ثم كرّس وقته وجهده اعتباراً من 1972 وحتى وفاته في 2013 للتأليف الموسيقي وحسْب.

وكتب دُوتِيِيَوْه في أصناف شتّى من الموسيقى الكلاسيّة، فثمّة قطع للفرقة السمفونية، وللأنسامبل، ولموسيقى الصالة. وثمّة باليهات، وقطع تصويرية ترافق مسرحيّات وأفلاماً، وقطع مغنّاة. ولأنه أتلف معظم مخطوطاته التي ترقى إلى فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية على أنّها تفتقر إلى الأصالة، فإن أولى قطعه المهمّة سوناتة للبيانو المنفرد أدّتها أول مرة زوجته، جَنَفيَف جْوا، عام 1948، تبعتها سمفونيته الأولى (1951). ثم بدأت التكليفات تتكاثر، فثمة السمفونية الثانية لأوركسترا بوستن السمفونية (1959)، الملقّبة بـ «المزدوجة» وذلك لأنها مكتوبة لفرقة مصغّرة داخل الفرقة السمفونية، تعلّق على ما تعزفه الفرقة الكبرى وتكون مثل ظلّها. وتبع ذلك تكليف من أوركسترا كليفلَنْد بعنوان «تحوّلات» (1965)، و«عالم بعيد كلّيّاً» (1970)، وهو كونشيرتو للجلو المنفرد والأوركسترا كلّفه به عازف الجلو الروسيّ الفذّ مِسْتسلاف رَوسْتْروبوفتش (1927–2007)، ورباعي وتري بعنوان «وهكذا تكون الليلة»، بتكليف من مؤسسة كُوسَفتْسْكي في بوستن (1977)، و«أجراس، وفضاء، وحركة» بتكليف من رَوسْتْروبوفتش حين كان قائد الأوركسترا السمفونية الوطنية في واشنطن (1978)، و«شجرة الأحلام» (1985) و«على نفس التناغم» (2002) وهما كونشيرتوان للكمان المنفرد والأوركسترا، و«مراسلات» (2003) و«عدّاد السّاعة» (2007) وهما عملان للسوبرانو والأوركسترا، وغيرها الكثير.

وتلقّى دُوتِيِيَوْه جوائز شتّى، أبرزها جائزة روما الكبرى (1938)، وجائزة الموسيقى الوطنية الكبرى (1967)، وعدّة جوائز لقاء تسجيلات لقطعه المتنوّعة، وجائزة أيرْنْست فون زيمَنْز للموسيقى، التي تعدّ أهم جائزة موسيقية في العالم. كما قلّدته وزارة الثقافة الفرنسية وسام فارس الشرف (2004)، وأسمته الأكاديمية الأمريكية للفنون والآداب عضواً فخريّاً فيها (1981)، وقلّدته الجمعية الفلهارمونية الملكية في لندن وسامها الذهبيّ (2008).

وأذكر حفلة حضرتها لأوركسترا كليفلَنْد قُبيل مباشرة دراستي للماجستير في قيادة الأوركسترا في جامعة كَنْت القريبة منها في أواخر صيف 1985. وكانت الحفلة تختتم أعمال مسابقة للبيانو برعاية مؤسسة العازف الفرنسي روبير كاسادْسُو (1899–1972) الذي كانت تربطه بالأوركسترا علاقات ودّية تشكّلت على مدى سنين عديدة رافقته فيها في حفلات وتسجيلات شتّى. وأثناء الفرصة التي اتّخذتها لنفسها لجنة التحكيم كي تختار ترتيب الجوائز ضمن العازفين الثلاثة في المرحلة الختامية من المسابقة، قدّمت الأوركسترا قطعة دُوتِيِيَوْه «تحوّلات» المهداة إليها، وكانت هذه المرّة الأولى التي استمع فيها إلى هذه القطعة في عزف حيّ، غير مسجّل، فوجدت نفسي في «عالم بعيد كلّيّاً»، كما أسمى دُوتِيِيَوْه قطعة أخرى له، فالتسجيلات لا تعطي الموسيقى حقّها، مهما تفانى في تنفيذها مهندسو الصوت.

وتتكوّن «تحوّلات» من خمس حركات متّصلة ببعضها، وتحتوي نهاية كل حركة فيها على زركشة تبدو فائضة عن الحاجة للوهلة الأولى، لكنها سرعان ما تشكّل نواة الحركة التي تأتي بعدها، فتنمو القطعة من حركة إلى حركة على نحو عضوي متكامل لا تصل ذروتها حتى اللحظة الأخيرة من القطعة– التي تقع في سبع عشرة دقيقة وحسْب– تمرّ كلمح البصر لكنها تعطي المستمع في الوقت ذاته لمحة، ولو لوهلة، عن الأزل.

فانفجر الحضور بالتصفيق الحاد، وإذا بالمؤلّف نفسه يفاجئنا بالوقوف من مقعده وسطنا، ثم يتقدّم صوب المسرح ويعتليه، مصافحاً قائد الأوركسترا الإندونيسي في تلك الحفلة، يحيي لِنْك، ثم عازف الكمان الأول، نيابة عن أعضاء الأوركسترا جمعاء، ثم منحنياً للجمهور، فجنّ جنون الجمهور.

ولا يمكن لأي شخص حضر تلك الحفلة معي، أو أي حفلة ظهر فيها هذا المؤلف الخارق على خشبة المسرح، أن يدّعي أن دُوتِيِيَوْه كان متكبّراً، رغم أن ذلك كان ليحقّ له دون غيره. على النقيض من ذلك، فقد بدا متواضعاً للغاية، إذ كان شموخه في تأليفه الذي كنّا قد استمعنا إليه للتوّ.

تحقيقات

بعد خطة الحرب الأوروبية ـ التركية على الهجرة:

هل سيتمكن اللاجئون من الوصول إلى أوروبا؟

إسطنبول ـ «القدس العربي»: إسماعيل جمال

على الرغم من الإعلان الرسمي عن النقاط الأساسية في الخطة الأوروبية ـ التركية للحرب على الهجرة غير الشرعية إلى أوروبا، إلا أن الكثير من التفاصيل الإجرائية التي لم تتضح بعض ستحدد مدى إمكانية استمرار الهجرة عبر الخطوط والطرق القديمة ا لتقليد ية . في حين بدأ الحديث مبكراً عن خطوط وطرق بديلة سيلجأ لها المهربون والمهاجرون من أجل مواصلة سعيهم في الوصول إلى القارة العجوز.

وخلال القمة الأوروبية التركية الأولى التي انعقدت في العاصمة البلجيكية بروكسل، يوم 29 تشرين الثاني/نوفمبر الماضي، اتفق الجانبان على خطة عمل تتضمن جملة من القرارات، أبرزها تطبيق إعادة قبول المهاجرين بين تركيا ودول الاتحاد في حزيران/يونيو 2016.

وفي القمة الثانية التي عقدت قبل أيام في بروكسل اقترح رئيس الوزراء التركي أحمد داود على القادة الأوروبيين «إلغاء التأشيرة المفروضة على مواطنيه اعتبارًا من حزيران/يونيو المقبل، وتقديم 3 مليارات يورو إضافية، لصالح اللاجئين السوريين (علاوة على ثلاثة مليارات مماثلة مقررة سابقًا) واستقبال الاتحاد لاجئا واحدا من تركيا، مقابل كل مهاجر غير قانوني يعاد إليها من دول الاتحاد».

وفي إطار البنود الرئيسية المعلنة، تبرز عدة تساؤلات هامة أبرزها، هل ستشمل اتفاقية إعادة القبول اللاجئين السوريين أم لا؟ وهل سيتم إعادة اللاجئين الموجودين حالياً في الجزر اليونانية؟ وإلى أي مدى يمكن أن تتمكن سفن الناتو التي بدأت الانتشار في بحر إيجه من مراقبة ومنع جميع سفن الهجرة التي تنطلق من السواحل التركية باتجاه الجزر اليونانية؟ والأهم: هل سيتمكن المهربون والمهاجرون من التحايل على الخطة وابتداع طرق جديدة تقودهم إلى هدفهم المنشود في الوصول إلى أوروبا؟

اتفاقية إعادة القبول

تركيا ومنذ بداية الحديث عن اتفاقية «إعادة القبول» أكدت على لسان كبار مسؤوليها أن هذه الاتفاقية لا تشمل اللاجئين السوريين. وتوقع مراقبون أن المهاجر الذي ستعيده أوروبا لتركيا سيكون على الأغلب من الدول غير المصنفة في الاتحاد على أنها مناطق غير آمنة ولا سيما دول المغرب العربي.

وعلى الرغم من إعلان السفير التركي في باريس «حقي عقل» الأربعاء، أنه لا يمكن تطبيق اتفاقية «قبول إعادة المهاجرين» بين تركيا والاتحاد الأوروبي، ما لم تلغ تأشيرة الدخول المفروضة على المواطنين الأتراك من دول الاتحاد، إلا أن عمليتي إرجاع للاجئين حصلت بين تركيا واليونان خلال الأيام الماضية.

فالخميس، أعادت السلطات اليونانية، عدداً من المهاجرين غير القانونيين، من جنسيات مختلفة، إلى تركيا، حيث تم تسليمهم وفقاً لاتفاقية «إعادة القبول» حسب البيان التركي الرسمي الذي أوضح أن أغلبهم يحملون جنسيات أفغانية، ومغربية وباكستانية، وسبق ذلك استقبال تركيا من اليونان قرابة 300 لاجئ أغلبهم من جنسيات جزائرية ومغربية وتونسية.

وتواجه اتفاقية إعادة القبول التي سيقرها الاتحاد خلال قمته المقبلة في الثامن عشر من الشهر الجاري انتقادات حقوقية ودولية واسعة، وهو ما أعرب عنه مفوض الأمم المتحدة الأعلى لحقوق الإنسان الذي أعتبر عمليات الترحيل الجماعية للمهاجرين الواردة في مشروع الاتفاق بين أنقرة والاتحاد الأوروبي وإعادتهم إلى تركيا، بأنها «غير شرعية» وقال: «تثير قلقا شديدا. أنا قلق خصوصا إزاء احتمال الترحيل الجماعي والتعسفي الذي يعتبر غير شرعي».

الجزر اليونانية

الوزير التركي المكلف الشؤون الأوروبية فولكان

Volume 27 - Issue 8402 Sunday 13 March 2016

بوزكير، قال الخميس، إن بلاده لن تعيد المهاجرين المتواجدين في الجزر اليونانية إلى أراضيها في إطار الاتفاق مع أوروبا، موضحاً أن «الاقتراح الذي قدمته تركيا لا يشمل المهاجرين المتواجدين في الجزر اليونانية» وأن مجمل من سيشملهم قرار الإعادة يقدرون «بعشرات الآلاف» وليس بـ«الملايين».

وفي قرار يعتبر الأصعب على طالبي الهجرة، أعلن الوزير اليوناني لشؤون الهجرة «يانيس موزالاس» الخميس، أن بلاده تعتبر تركيا «بلداً ثالثاً آمناً» فاتحاً بذلك طريقاً شرعياً لإعادة طالبي اللجوء إلى هذا البلد المجاور، تنفيذاً لخطة الاتحاد الأوروبي وتركيا.

ونقل عن الوزير قوله: «في إطار أن تركيا تستقبل أصلاً 2,5 مليون لاجئ، وبما أن الاتحاد الأوروبي والمفوضية العليا للاجئين يتدخلان هناك لمراقبة المخيمات واحترام حقوق الإنسان، فإن تركيا هي في الواقع بلد آمن».

وبموجب القانون الدولي، فإن اليونان قادرة على اتخاذ هذا القرار الأحادي «ولكن عملياً يجب أن تتعاون تركيا» بقبولها استعادة طالبي اللجوء، الذين انطلقوا من أراضيها، في حين قال المفوض الأوروبي لشؤون الهجرة ديمتريس افراموبولوس، خلال مؤتمر صحافي في بروكسل، إن «وصف تركيا بالبلد الآمن هو قرار أوروبي، ولكن يجب أن تكون هناك توضيحات إضافية». بينما أكد قانونيون يونانيون، على أن الحكومة ليست ملزمة برفع هذا القرار إلى البرلمان للموافقة عليه.

وما زالت قوارب الهجرة الصغيرة تنطلق يومياً من السواحل التركية إلى الجزر اليونانية، فبعد مصرع 24 مهاجراً قبل أيام في بحر إيجه، لقي، الخميس، خمسة أشخاص بينهم طفلة رضيعة، مصرعهم نتيجة غرق قارب يقل مهاجرين غير شرعيين، في بحر إيجة بالقرب من السواحل التركية.

إغلاق طريق البلقان

بعد تصريح رئيس المجلس الأوروبي، دونالد تاسك، الاثنين الماضي، حول «إغلاق حدود دول البلقان في وجه اللاجئين» جاء الإجراء الفعلي الأقوى من قبل سلوفينيا التي قررت حكومتها اشتراط حيازة الراغبين في الدخول إلى أراضيها، لتأشيرة دخول أوروبية، الأمر الذي يعني منع آلاف اللاجئين العالقين في مخيم إدومني في اليونان من إكمال طريقهم لأوروبا.

وحسب وكالة «الأناضول» اقترب عدد اللاجئين في مخيم إدومني من 15 ألفا، وقال بابار بالوج، المنسق الأممي لشؤون اللاجئين في المخيم، أنّ الأوضاع السائدة في المخيم لم تتحسن، بل تتراجع نحو الأسوأ مع مرور الزمن، معتبراً أن إغلاق الحدود لن يكون حلاً لأزمة اللاجئين.

وتطرق بالوج إلى قرار سلوفينيا الأخير، الذي طالبت فيه اللاجئين بالحصول على تأشيرة دخول أوروبية، كي تسمح لهم بدخول أراضيها، قائلاً: «علينا أن ندرك أنّ هؤلاء لاجئون وليسوا سائحين، فهؤلاء يتوجهون إلى القارة الأوروبية، استناداً إلى قانون الحماية الدولية، وعلى الدول الأوروبية تحمل مسؤولياتها تجاه اللاجئين، وفق القوانين الدولية في هذا الخصوص».

وتغلق السلطات الصربية منذ أيام حدودها مع مقدونيا، إذ أعلنت الداخلية الصربية، الثلاثاء الماضي، أنها ستفرض تأشيرة دخول إلى أراضيها على اللاجئين والمهاجرين القادمين من الحدود البلغارية والمقدونية، لافتة إلى أنها ستحذو بهذه الخطوة حذو سلوفينيا، وقال رئيس الوزراء الصربي، ألكسندر فوتشيتش، تعليقاً على أزمة اللاجئين، إنّهم لن يسمحوا بأن تكون صربياً مرتعاً للاجئين، وإنهم سيعاملون من تبقى من اللاجئين داخل أراضي صربيا، معاملة إنسانية لائقة.

من جانب آخر أعلن وزير الدفاع البلغاري، نيكولاي نينجيف، زيادة التدابير الأمنية على حدودها، توخياً لحدوث موجه لجوء تجاه أراضيها، بعد إعلان دول البلقان، إغلاق حدودهم بوجه اللاجئين، موضحاً أن بلاده تستعد لإرسال قوات عسكرية إلى المناطق المتاخمة لإدومني اليونانية، وأنّ هذه القوات ستكون مسلحة، لكنها لن تستخدم السلاح إلا في حالات الضرورة القصوى

من جهتها أعلنت الحكومة المجرية، المعروفة بمواقفها المناهضة لاستقبال اللاجئين منذ اليوم الأول من تدفقهم، رفع مستوى التدابير الأمنية في المناطق الحدودية، نتيجة تفاقم أزمة اللاجئين التي اعتبرتها بمثابة أزمة حقيقية في البلاد. وقال وزير الداخلية المجري، ساندرو بينتر، أنّ حكومة بلاده ستعزز وجود الجيش والشرطة في المناطق الحدودية، وإنها ستتخذ كافة الإجراءات اللازمة للحيلولة دون وصول اللاجئين إلى أراضيها.

وعلى غرار المجر، بدأت الحكومة النمساوية بمد أسلاك شائكة على عدد من معابرها الحدودية.

(ألبانيا ـ الأدرياتيكي) الطريق البديل المحتمل

ومن غير المعروف مدى قدرة الإجراءات الجديدة على القضاء بشكل تام على طرق الهجرة التقليدية، لكن المخاوف تتزايد من لجوء المهربين واللاجئين لطرق جديدة تمكنهم من الوصول إلى أوروبا وتجاوز الإجراءات الجديدة.

أول هذه الطرق التي بدأ الحديث عنها هو طريق «ألبانيا ـ الأدرياتيكي» الذي ربما يلجأ إليه المهاجرون في الوصول أوروبا عبر إيطاليا من خلال سواحل الأدرياتيكي انطلاقاً من ألبانيا. لكن وزير الداخلية الإيطالي أنجلينو ألفانو، قال إنه لا يوجد ما يدل على تدفق هائل للمهاجرين عبر هذا الطريق بعد، مشيراً إلى أن التعاون مع تركيا يهدف للحيلولة دون ذلك.

ونقل التلفزيون الحكومي الإيطالي عن ألفانو، الخميس، قوله: «حتى الآن ليس لدينا أي دليل على تدفق هائل للمهاجرين من ألبانيا عبر البحر الأدرياتيكي نحو سواحلنا»، مضيفاً: «لقد اعتدنا على تقديم تنبؤات ولكن أيضا مراقبة الواقع والمنطق يوحي أنه مع إغلاق طريق البلقان فإن طريق البحر سوف يفتح بدلاً عنه وهذا لم يتم حتى اللحظة». وقال: «كل ما قمنا به من جهد بالتعاون مع تركيا في الأيام الماضية يهدف بدقة لتجنب فتح الطريق إلى شمال أوروبا من ألبانيا مروراً عبر إيطاليا، بدلاً من اللجوء إلى السبيل البري من خلال مقدونيا وصربيا وكرواتيا وسلوفينيا والنمسا»، مستدركاً: «نحن ننسق مع ألبانيا على هذا الصعيد على مستوى رئاسة الحكومة ووزارتي الداخلية في البلدين».

مهاجرون: سنصل بطرق أخرى

وبينما عبر لاجئون متواجدون في تركيا عن إحباطهم من القرارات الأوروبية التركية الأخيرة، رأى آخرون أن لا شيء يمنعهم من مواصلة طريقهم إلى أوروبا وأنهم سيبحثون في طرق جديدة من أجل الوصول إلى هدفهم المنشود، معتبرين أنه «لا يوجد شيء نخسره».

وأكد آخرون أن طريقهم في الأصل غير شرعي والقرارات القانونية لا تغير في قراراهم ووضعهم بشيء، بينما قال البعض إنهم سيعملون على استصدار وثائق مزورة تتطابق مع الشروط القانونية الجديدة ومواصلة طريقهم لليونان للجوء إلى أوروبا.

ويتوقع مراقبون أن تنشط خلال الفترة المقبلة مساعي الهجرة من خلال طريق ليبيا ـ إيطاليا حيث تتركز عمليات المراقبة العسكرية في بحر إيجه في الفترة الأخيرة، كما ستنشط الهجرة عبر طريق تركيا ـ ليبيا وهو الطريق الذي كان نادراً ما يستخدم خلال الفترة الماضية لطوله وارتفاع سعره، وبسبب قرب الجزر اليونانية.

كما يتحدث البعض عن الرحلة البرية عبر الحدود مع بلغاريا والرحلة البحرية إلى أوكرانيا شرق البلقان عن طريق البحر الأسود، ومن غير المعروف مدى جدوى هذه الطرق وقدرتها على تجاوز الإجراءات والقوانين الأوروبية الجديدة.

لاجئون سوريون في عبور بحر ايجة

تدفق المهاجرين إلى أوروبا يستمر بلا هوادة

أعداد متزايدة من النساء والأطفال قررت الخوض في رحلة محفوفة بالمخاطر من أجل عبور المتوسط في الأشهر الأولى من العام 2016

◂ لغاية الاول من آذار/مارس 2016

131 724 وافدا عبر البحر منذ 1 يناير
1 015 078 عام 2015

410 قتلى/ مفقودين
3 735 عام 2015

◂ من هم؟
(نسبة التغير عن 2015)

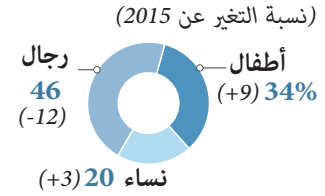

◂ الوافدون بحسب كل بلد

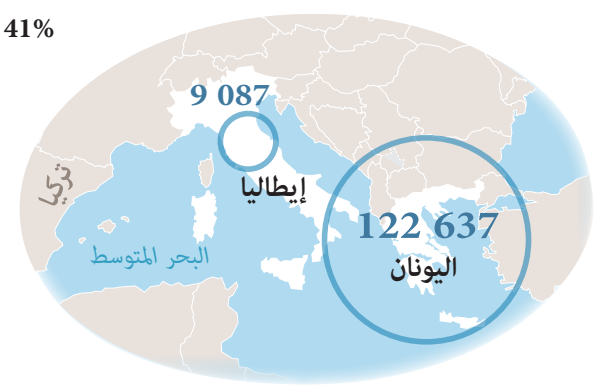

◂ بلدان المنشأ الرئيسية

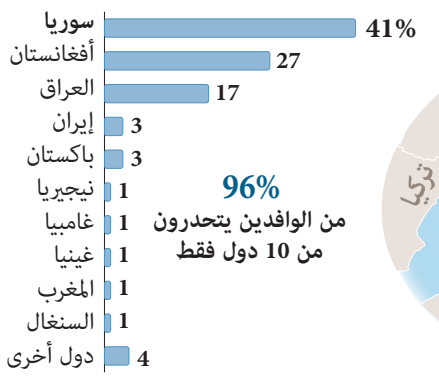

◂ الوافدون عبر البحر شهريا

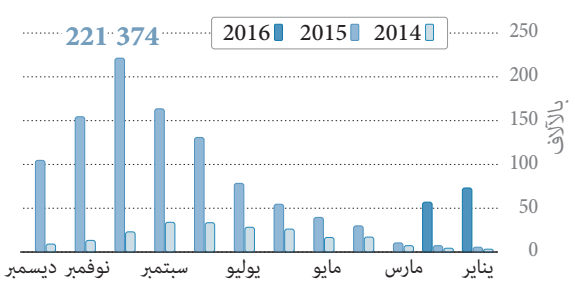

◂ الوافدون عبر البحر سنويا

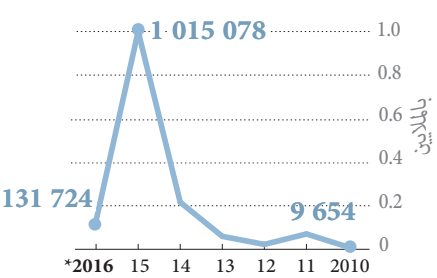

*يناير-فبراير 2016 فقط

◂ القتلى أو المفقودون

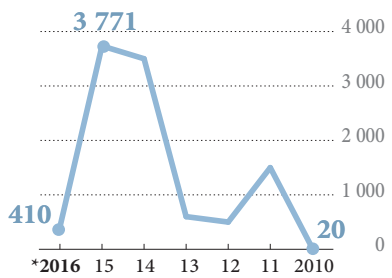

AFP

المصدر: المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين

ميديا

«غرفة صناعة الإعلام»: الوهم اللذيذ

القاهرة ـ «القدس العربي»: حسام عبد البصير

على ضفاف الحياة في مصر الجديدة ولدت الكثير من الكيانات الهلامية تلك التي يحسبها الظمآن ماء ومن بينها «غرفة صناعة الإعلام» التي دشنت عبر أجواء صاخبة ومناخ يموج بالتقلبات التي تعصف بمصر خاصة في مجال المهنة التي باتت تمثل أبرز أدوات التأثير في الرأي العام. وعلى الرغم من ان القرار الذي جمع تحت لوائه قبل عامين أصحاب عشر قنوات تلفزيونية هي : CBC والنهار والحياة و ONtv والقاهرة والناس ودريم وصدى البلد والمحور والتحرير، تعهد الدفاع عن الثوابت الوطنية وحماية أخلاق المجتمع والحيلولة دون أي تهديد للوحدة الوطنية، إلا ان كل الشواهد تكشف بجلاء عن ان السياسة التي اتبعتها معظم تلك القنوات لم تعبأ مطلقاً بالعمل على تعضيد تلك المثل التي نشأت عليها الأجيال المتتالية وساهمت في حماية الأخلاق العامة والثوابت التي نادت بها الأديان، بل ان أي متابع لتلك القنوات مهما كان درجة وعيه سطحية يدرك للوهلة الأولى ان الكثير من المواد والبرامج التي تبثها تلك الفضائيات كانت تمثل اختراقاً وتهديداً للقيم والأعراف التي ظلت قروناً عديدة تجسد زاداً يقتات منه المصريون.

بالتنقيب عن الأسباب التي صاحبت الإعلان عن تشكيل «غرفة صناعة الإعلام» تتجلى حقيقة ليس بوسع أحد ان ينكرها خاصة ملاك تلك الفضائيات الذين فوجئوا بكيان أوروبي يعمل على أرض مصر ويهددهم بفقدان الدجاجة التي تبيض ذهباً.

وعلى الرغم من ان «الأشقاء العشرة» أعلنوا ان الهدف من انشاء بنيانهم الجديد يرمي إلى إطلاق ميثاق الشرف الإعلامي ليكون هو الحاكم والمنظم لصناعة الإعلام في مصر، ويهدف لحماية الصناعة والمهنة وأهلها، واتفقوا أيضاً على ان تكون الغرفة امتداداً لدور يدعوا له الكثير من خبراء الإعلام بشأن تعضيد مجلس وطني لأجل الوصول لمنظومة إعلامية آمنة تحمي السياج العام للدولة المصرية وأركانها، إلا ان الشواهد على الأرض لم تنم عن تغير قد طرأ على منظومة الإعلام المصري، حيث استمرت معظم تلك الفضائيات وغيرها في إطلاق المواد والبرامج التي تثير الكثير من الفتن بين كافة الطوائف والقوى الوطنية، وفي حين كانت تركة نظام الديكتاتور المخلوع مبارك تكتفي بحجب الضوء عن كافة قوى المعارضة للنظام والحيلولة دون مد الجسور بينها وبين المواطنين، قفزت تلك الفضائيات بعد ثورة يناير قفزات للأمام لترتد سهامها ضد صدر الدولة المصرية حينما استخدمت كافة أذرع الفتنة للوقيعة بين القوى المختلفة.

أول ما يسترعي الانتباه في تلك اللحظة التي أعلن فيها إطلاق «غرفة صناعة الإعلام» ذلك الخبر الذي أعلنته شركة «ابسوس» المتخصصة في أبحاث السوق، وهي فرنسية الجنسية، لها مقر في مصر، حينما أكدت ان مجموعة قنوات «أم بي سي مصر» استحوذت على المركز الأول في نسبة المشاهدة، ما أسفر عن حالة من الغضب الواسع في صفوف الفضائيات المصرية المنافسة على إثر قرار العديد من المعلنين سحب الكثير من حملاتها الدعائية من الشركات المصرية أملاً في مزيد من النجاح للوصول لأكبر قدر من الرواج عبر الشركة التي تبوأت المركز الأول بحسب «ابسوس» والتي تسببت عبر بيانها في خسارة كبيرة لأصحاب تلك الفضائيات الذين تجمعوا على الفور عبر الكيان الوليد «غرفة صناعة الإعلام المصري» من هنا يبدو ان الهدف الرئيسي وربما شبه الوحيد يتجسد في العمل على استعادة صنبور المال المهدد بالتوقف ولمصادرة المنافس السعودي.

ولم ينته الأمر عند هذا الحد، حيث شرع المتضررون لإتخاذ عدة إجراءات قانونية ضد شركة «ابسوس» التي وصل بها الأمر لحد تهديد الأمن القومي لمصر، وان نتائج أبحاثها ما هي سوى تضليل يؤثر على سوق الإعلان في مصر، وكذلك اتهموا الشركة بقلب الحقائق في التقارير الصادرة حول ترتيب القنوات ونسب المشاهدة لصالح محطات فضائية أجنبية.

من جانبها لم تقف إدارة شركة «ابسوس» مكتوفة الأيدي بل سارعت بالإعلان عن صدق تقاريرها ونتائجها التي وصفتها بالموثقة، وشرحت أمام الرأي العام وخبراء الإعلام انها تعمل بشفافية مطلقة، كما انها تتبع منهجا علميا موثوقا به في كافة أبحاثها، ونددت بقوة بكل من ينال من دقة أبحاثها وتقاريرها كما أشادت بسمعة عملائها وتفوقهم.

وعلى الرغم من ان تلك الغرفة تعهدت بالحفاظ على القيم الوطنية وحماية الثوابت الدينية، إلا ان معظمها وقعت في آثام يشهد بها القاصي والداني في مجالات عدة، إذ وفرت ملاذاً آمناً لكثير ممن احترفوا التشكيك في الكثير من الثوابت الدينية والوطنية، حيث شهد الفضاء الإعلامي على مدار عدة أعوام المزيد من الهجوم على الدين الحنيف، وتحولت بعض القنوات لمنصة صواريخ ضد علماء السلف، كما عمد عدد من مقدمي البرامج لإطلاق الهجوم المنظم ضد الأزهر الشريف باستضافة عدد من الوجوه التي اشتهرت بالهجوم على المؤسسة الدينية الرسمية والنيل من رموزها وفي مقدمتهم الدكتور احمد الطيب شيخ الأزهر الشريف، وحرصت على تقديم دين «منزوع الدسم» لا يدلي بدلوه في العديد من القضايا التي لها علاقة بالخلاف على شؤون الحكم والولاية.

وجنباً إلى جنب، عمدت بعض البرامج للحض على كراهية المقاومة الفلسطينية في الأراضي المحتلة وسعت للوقيعة بينها وبين الشعب المصري الذي ظل على مدار سنوات الصراع مع الكيان الإسرائيلي يقف في خندق واحد مع تلك الحركات الرامية إلى تحرير القدس والمسجد الأقصى وكافة البقاع المحتلة.

بل ومثلت بعض الفضائيات بوقاً لصالح مرددي دعوات الاستسلام والرضا بالحقائق الظالمة على الأرض ونشر الآراء الداعية للاستسلام للعدو والقبول بما هو متاح من قبله. كما وقعت عدد من الفضائيات في شرك الفتنة بشأن القضايا القومية والصراع المحتدم في البقاع الساخنة على الخريطة العربية خاصة بالنسبة للصراع السوري وكذلك الأوضاع المحتدمة في العراق وليبيا.

ولم يقف الأمر عند الترويج للدعاوى الانهزامية، بل مهدت عدد من تلك الفضائيات السبيل لنشر الرذائل عبر الترويج لبرامج مخصصة للكلام في أحاديث «غرف النوم» وأدق التفاصيل عن الجنس، والترويج لمزيد من التحرر الذي يتنافى تماماً مع منطق الشرع والدين، وبات الكلام عن حرية الفرد في إقامة علاقات محرمة والدعوة للتحرر خارج مظلة الأسرة بين الجنسين شائعاً في عدد من البرامج. وعلى الرغم من الصراخ المتواتر من قبل أولياء الأمور ورجال الدين والتربية بضرورة مواجهة ذلك الطوفان من الابتذال، إلا ان «الغرفة» ظلت متجاهلة لكل احتجاج يصدر باستثناء ما جرى مؤخراً حينما قررت وقف برنامج «ممكن» للمذيع خيري رمضان لمدة أسبوعين؛ للتحقيق في حلقة أثارت غضبا واسعا بين المواطنين في محافظات الصعيد على إثر اتهام النساء هناك وكذلك في محافظات الدلتا بممارسة الزنا أو الرغبة في ممارسته حال سنحت الفرصة.

جاء قرار الغرفة برئاسة محمد الأمين، مالك قناة CBC التي يبث عليها البرنامج، بعد الغضب الواسع من تصريحات تيمور السبكي، صاحب صفحة «يوميات زوج مطحون» على فيسبوك، أثناء استضافته في البرنامج منذ أكثر من شهرين، حين صرح أن نسبة كبيرة من نساء مصر خائنات وخاصة في الصعيد والدلتا. وبرغم مرور الحلقة بسلام عند عرضها إلا أن تنديد عدد من نواب البرلمان بالبرنامج أجبر «الغرفة» على اتخاذ القرار إذ وصل الغضب لدوائر عليا في السلطة. ومن القرارات التي انتفضت لأجل إصدارها الغرفة مقاطعة رئيس نادي الزمالك مرتضى منصور ومنع ظهوره على شاشات القنوات الأعضاء، وعدم بث المؤتمرات الصحافية التابعة له وذلك على خلفية هجومه على الإعلامية ذات النفوذ الواسع لميس الحديدي وكذلك محمد الأمين رئيس الغرفة.

غير ان السؤال الذي فرض نفسه مؤخراً هل تتحول الغرفة إلى إداة رقابية تحول دون تقلص مساحة الحرية؟ كل الشواهد تشير إلى ان الرقابة على المستوى السياسي موجودة بالفعل داخل أروقة تلك الفضائيات. فمما لا خلاف عليه ان الثوابت التي ظلت موجودة في زمن الديكتاتور مبارك بشأن قدسية الرئيس عادت بالتمام والكمال بعد دحر الإخوان المسلمين عن سدة المشهد، حيث بات عدم الاقتراب من مقام «الرئيس» يمثل خطاً أحمر لا يمكن الاقتراب منه. وعلى هذا الحال يبدو الوضع هادئاً وتسير الأمور بسلامة طالما سلم مقام الرئيس.

المغرب: محاكمة نقيب الصحافيين عبد الله البقالي تطرح علامات استفهام حول حرية الإعلام

الرباط ـ «القدس العربي»: محمود معروف

أثارت محاكمة نقيب الصحافيين المغاربة الكثير من الجدل عن علاقة السياسي بالصحافي ومدى جدية حرية التعبير في المغرب التي، رغم التقدم الذي تحقق، ما زالت محل انتقادات المنظمات الصحافية والمغربية الدولية. ومحاكمة عبد الله البقالي جاءت على خلفية مقال كتبه بصفته مديرا لصحيفة «العلم» لسان حزب الاستقلال المعارض، حول تدخل رجال السلطة في الانتخابات الجماعية التي جرت يوم 4 ايلول/سبتمبر الماضي.

والبقالي نائب في البرلمان وعضو اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال (معارضة) ما أعطى محاكمته بعدا سياسيا إلى جانب بعدها الصحافي.

ورفعت وزارة الداخلية المغربية شكاية عن طريق وزارة العدل، ضد النائب البرلماني عن حزب الاستقلال، بسبب المقال واستمعت الشرطة القضائية في ولاية أمن الرباط له في محضر رسمي، وتركزت عملية الاستنطاق، حسب تصريحاته، حول ما سبق أن كتبه حول الفساد الانتخابي واستعمال الأموال في زاويته اليومية «حديث اليوم» في صحيفة «العلم» وهي أعرق الصحف المغربية.

وقررت المحكمة الابتدائية بالرباط في أول جلسة تعقدها تأجيل المحاكمة إلى غاية 19 نيسان/أبريل المقبل بطلب من هيئة الدفاع التي طلبت تأجيل المحاكمة في انتظار إعداد الدفاع وتوفير قاعة مناسبة للمحاكمة، إلا ان رئيس الجلسة أعلن أن هناك ملفا آخر يحاكم البقالي عليه دون ان يكشف عن قضية هذا الملف.

وجاءت محاكمة البقالي في وقت دافع وزير الاتصال الناطق الرسمي باسم الحكومة، مصطفى الخلفي عن حصيلة وزارته في مجال النهوض بحرية الصحافة والإعلام خلال سنة 2015، معتبرا أنّ السنة المنصرمة كانت «سنة مميّزة» رغم وجود تحدّيات وإكراهات ما زالت تحول دون بلوغ الهدف المنشود.

ورَفَض الخلفي الخوْضَ في موضوع مُتابعة رئيس النقابة الوطنية للصحافة المغربية وقال «الموضوع يتعلق بمسطرة قضائية نتمنى أن يسير المسار في إتجاه يخدم مصلحة حريّة التعبير في المغرب».

وقال موقع «اليوم 24» ان الحكومة تدعي عكس ما يحصل، حيث لا يتردد الرئيس عبد الاله بن كيران في اعطاء الاذن لوزرائه لجر الصحافيين إلى المحاكمات على إثر مقالات رأي جلها تدخل في إطار حرية التعبير، ومنظمات صحافية وحقوقية مثل منظمة العفو الدولية وهيومن رايتس ووتش تنتقد استمرار قمْع حرّية التعبير في المغرب.

واحتشد العشرات من الصحافيين المغاربة، الأعضاء في النقابة الوطنية للصحافة المغربية، أمام المحكمة الابتدائية بالرباط موازاة مع انطلاق محاكمة عبد الله البقالي في وقفة احتجاجية ورددوا وهم يحملون الشارات الحمراء، وصور عبد الله البقالي، شعارات منددة بمحاكمته «البقالي ارتاح ارتاح سنواصل الكفاح»، و«هذا عار.. هذا عار .. البقالي في خطر»، و«بغينا (نريد) قضاء الحريات مش قضاء التعليمات»، و«هذا عار هذا عار الحرية في خطر» وقالوا ان متابعة البقالي غير قانونية وباطلة.

وقال يونس مجاهد، رئيس المجلس الوطني للنقابة الوطنية للصحافة المغربية ان النقابة تعتبر ان المحاكمة مبنية على تهم باطلة وغير قانونية، لذلك نطالب بإيقاف هذه المتابعة الباطلة.

واعتبرت الصحافية حنان رحاب أن محاكمة البقالي باطلة، وأن المغرب في حاجة إلى تقوية الترسانة الحقوقية، وتقوية قدرات التعبير عن الرأي، وأن المحاكمات تطرح أكثر من علامة استفهام عن الإعلام، والبعض حذر من دخول المغرب إلى «عصر ديكتاتورية الإعلام».

واعتبر حميد شباط، الأمين العام لحزب الاستقلال، أن محاكمة عبد الله البقالي، المستهدف المباشر فيها هو «حزب الاستقلال رغم التعتيم الإعلامي وهذه المحاكمة هدفها التشويش على الحزب».

مستمرة في البث رغم القرصنة الإسرائيلية

زيد الايوبي: الاعتداء على قناة «فلسطين اليوم» جريمة حرب ممنهجة

رام الله ـ «القدس العربي»: فادي أبو سعدى

نفذت سلطات الاحتلال على الأرض القرارات التي اتخذتها في اجتماع المجلس الأمني الإسرائيلي المصغر التابع لحكومة بنيامين نتنياهو بخصوص ملاحقة الإعلام الفلسطيني الذي يمارس «التحريض» بحسب المصطلحات الإسرائيلية. فهاجمت مقر فضائية «فلسطين اليوم» في مدينة البيرة واعتقلت مدير مكتب القناة وتقنيا ومصورا صحافيا وصادرت معدات القناة الفضائية في عملية خاطفة.

واعتبر المحامي زيد الايوبي ان اقتحام قوات الاحتلال لمقر قناة «فلسطين اليوم» واعتقال ثلاثة صحافيين بينهم مدير القناة في فلسطين ومصادرة معدات الفضائية واغلاق المقر يعتبر اعتداء على حرية الصحافة والإعلام وانتهاكا صارخا لكل القوانين الدولية التي تنظم حالات النزاعات المسلحة ويدخل في سياق جرائم الحرب الممنهجة التي تمتد لها الولاية القضائية لمحكمة الجنايات الدولية.

وأكد الأيوبي أن جريمة الاعتداء على قناة «فلسطين اليوم» والشركة التي تزودها بخدمات البث الفضائي هي الخطوة الأولى على طريق ارتكاب مذبحة تاريخية بحق الإعلاميين الفلسطينيين والمؤسسات الإعلامية العاملة في فلسطين وذلك تنفيذا لقرارات المجلس الوزاري الإسرائيلي المصغر الكابينت والذي اقر الاسبوع الماضي سلسلة إجراءات تعسفية ضد الشعب الفلسطيني من بينها اتخاذ قرار باعلان الحرب على الإعلام الفلسطيني تحت حجج واهية ولا تنطلي على أحد.

وأضاف المحامي الايوبي ان سلطات الاحتلال الإسرائيلية تتعمد الاعتداء على الصحافيين الفلسطينيين والأجانب الذين يعملون على تغطية الأحداث الدائرة في الأراضي المحتلة الفلسطينية في محاولة منها لحجب الحقائق عن المجتمع الدولي لغايات الانفراد في توصيل الرواية الاحتلالية المزورة والبعيدة عن الواقع والحقيقة للرأي العام العالمي وهو ما يمثل اعتداء على حق الشعوب في الوصول للمعلومات الصحيحة.

ويمنح القانون الدولي الإنساني الصحافيين والمؤسسات الإعلامية الحماية الشاملة من أي هجوم مسلح باعتبارهم مدنيين وغايتهم توصيل المعلومات والحقائق الصحيحة للرأي العام وهو ما تؤكد عليه معاهدة لاهاي لعام 1907 بالإضافة للمادة الرابعة فقرة اولى من اتفاقية جنيف الثالثة لعام 1949 والمادة 79 من البرتوكول الإضافي الاول الملحق باتفاقية جنيف الرابعة.

وأكد القرار الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة والذي يحمل الرقم 2673 والصادر في 1970/12/9 على الحماية الدولية للصحافيين في أوقات الحرب ودعى الدول الأعضاء لاحترام حقوق الصحافيين والمؤسسات الإعلامية باعتبار الاعتداء عليهم يمثل مخالفة للمواثيق الدولية وتحديدا معاهدات جنيف الثالثة والرابعة والبروتوكول الاول الملحق الاول لاتفاقية جنيف الرابعة.

وبحسب هذه القوانين فإن الاعتداءات المتكررة لسلطات الاحتلال على الصحافيين والمؤسسات الإعلامية تشكل جريمة حرب تدخل في صميم اختصاص محكمة الجنايات الدولية وفقا للمادة السابعة من ميثاق روما لعام 1998 باعتباره مخالفة صارخة لأحكام المواثيق الدولية التي تعطي الحماية الدولية والقانونية للإعلاميين باعتبارهم مدنيين مشمولين بالحماية. والاعتداءات الإسرائيلية المتكررة والمتعمدة تظهر بجلاء وجود استراتيجية عدائية احتلالية ضد الصحافيين والمؤسسات الإعلامية الفلسطينية . وناشد المحامي الايوبي المدعية العامة للجنايات الدولية فوتا بن سودا فتح تحقيق من تلقاء نفسها في جرائم الاحتلال ضد الصحافيين والمؤسسات الإعلامية وفقا لنص المادة 15 من ميثاق روما والتي تعطي الحق للمدعية العامة بالمباشرة في التحقيق وإصدار مذكرات اعتقال المسؤولين عن هذه الجرائم وذلك من تلقاء نفسها ودون حاجة إلى شكوى خصوصا وان هذه الجرائم ارتكبت على اقليم دولة فلسطين الذي تشمله ولاية المحكمة الجنائية الدولة.

واعتبر المركز الفلسطيني للتنمية والحريات الإعلامية «مدى» ان هذه الهجمة الجديدة على الإعلام الفلسطيني تأتي بعد قرار رئيس الوزراء الإسرائيلي يوم الثلاثاء الماضي اغلاق وسائل إعلامية فلسطينية بحجة ممارستها التحريض، وتأتي أيضا في إطار التصعيد الإسرائيلي ضد الصحافيين ووسائل إعلامية فلسطينية بعد اندلاع الهبة الشعبية بداية تشرين الاول/اكتوبر الماضي.

وكان المركز حذر من خطورة قرار نتنياهو إغلاق وسائل إعلامية لما لهذا القرار من آثار بالغة السوء على حرية التعبير وعلى الصحافيين الفلسطينيين العاملين فيها، لذا فان مركز «مدى» يطالب المجتمع الدولي بالضغط الجدي والفوري على حكومة الاحتلال للتراجع عن قرارها وإعادة فتح المؤسسات الإعلامية التي أغلقت قبل أيام وفي شهر تشرين الاول/ اكتوبر الماضي وإعادة ممتلكاتها المصادرة بالإضافة لإطلاق سراح الصحافيين المعتقلين.

في غضون ذلك كشف نادي الأسير الفلسطيني أن سلطات الاحتلال تعتقل في سجونها 16 صحافياً فلسطينياً بينهم طلبة إعلام كان آخرهم الصحافيين سامي الساعي من محافظة طولكرم وفاروق عليات من محافظة جنين وهو مدير مكتب فضائية «فلسطين اليوم».

وبين نادي الأسير في بيان وصل إلى «القدس العربي» أنه وخلال شباط/فبراير المنصرم وآذار/مارس الجاري أُفرج عن أربعة صحافيين وهم: محمود القواسمة وأسامة شاهين وكلاهما من محافظة الخليل وحمزة صافي من محافظة طولكرم وثامر سباعنة من محافظة جنين.

وأصدرت سلطات الاحتلال أحكاماً متفاوتة بحق تسعة منهم لمدد متفاوتة وهم: محمود عيسى والمحكوم بالسجن لثلاثة مؤبدات و46 عاماً وهو من الأسرى القدامى المعتقلين قبل أوسلو إضافة إلى كل من: أحمد الصيفي والمحكوم بالسجن مدة 17 عاماً وصلاح عواد والمحكوم مدة سبعة أعوام وعنان مسعد المحكوم لمدة ثلاثة أعوام علاوة على وليد علي والمحكوم بالسجن مدة أربعة أعوام ومحمد عطا المحكوم بالسجن لمدة 14 شهراً وأمجد سمحان والمحكوم لمدة عام كذلك أحمد البيتاوي والمحكوم بالسجن 11 شهراً وقتيبة قاسم والمحكوم مدة 26 شهراً.

أما الصحافيون المعتقلون إدارياً وعددهم ثلاثة وهم: محمد القدومي وعلي العويوي ومحمد القيق. فيما تواصل سلطات الاحتلال توقيف أربعة صحافيين وهم: مجاهد السعدي وهمام عتيلي وسامي الساعي وفاروق عليات.

وذكر نادي الأسير الفلسطيني أنه جرى توثيق تسع حالات اعتقال بين صفوف الصحافيين منذ بداية تشرين الأول/ أكتوبر من العام المنصرم بعضهم أبقي على اعتقاله والبعض تم الإفراج عنهم.

الاتحاد الدولي للصحافيين يدين
سعي إسرائيل «المتواصل» لتكميم الصحافة الفلسطينية

أدان الاتحاد الدولي للصحافيين السبت الهجمات الإسرائيلية «المتواصلة» ضد وسائل الإعلام الفلسطينية، داعيا إلى إجراء تحقيق أممي في هذا السياق، وذلك بعد دهم الجيش الإسرائيلي مقر قناة «فلسطين اليوم» في رام الله.

وقال رئيس الاتحاد جيم بوملحة في بيان صدر في بروكسل «لا يمكن السكوت على الهجمات المتواصلة للسلطات الإسرائيلية لتكميم الصحافة الفلسطينية».

دهمت القوات الإسرائيلية مكاتب قناة «فلسطين اليوم» الفضائية في رام الله في الضفة الغربية ليل الخميس الجمعة وأوقفت مديرها وعاملين فيها واغلقتها بتهمة التحريض على العنف.

واعتبر الاتحاد الدولي للصحافيين ان «التحريض على العنف هو اتهام خطير يوجه إلى وسيلة إعلام، والقرار بإغلاقها لا يمكن اتخاذه من دون اتباع الإجراءات القانونية» اللازمة.

ودعا الاتحاد المفوض السامي لحقوق الإنسان والمقرر الخاص للامم المتحدة المكلف حماية حرية الصحافة إلى «التحقيق الفوري في الاعتداءات على حرية الصحافة في فلسطين».

واطلقت الحكومة الإسرائيلية هذا الاسبوع حملة مركزة على وسائل إعلام فلسطينية تتهمها بتغذية موجة عنف مستمرة في إسرائيل والقدس منذ خمسة اشهر.

واعتبر جهاز الأمن الإسرائيلي (شين بيت) ان قناة «فلسطين اليوم» «محسوبة على حركة الجهاد الاسلامي» المسلحة وانه أغلقها في عملية مشتركة مع الجيش.

وقال في بيان ان «القناة كانت تخدم الجهاد الإسلامي بكونها أداة مركزية لتحريض سكان الضفة الغربية والدعوة إلى شن هجمات إرهابية ضد إسرائيل ومواطنيها»، مضيفا ان «التحريض تم عبر البث التلفزيوني وعلى الانترنت».

علوم وتكنولوجيا

مفاجأة: بصمة الأصبع هي الأسهل لاختراق هاتفك المحمول

لندن ـ «القدس العربي»:

تمكن باحثون من إثبات أن بصمة الأصبع هي الطريقة الأسهل لاختراق الهواتف المحمولة العاملة بنظام «أندرويد» إذا كانت مستخدمة في عملية فتحه والمرور إليه، لتشكل هذه النتيجة صدمة لمن يعتقدون أن هواتفهم آمنة بسبب أنها لا تتعرف إلا على بصماتهم، فضلاً عن أن هذه النتائج تمثل صدمة أكبر لكبريات الشركات المصرفية العالمية التي تعمل على تطوير أنظمة خاصة تعتمد على تكنولوجيا «البصمة» للتعرف على أصحاب الحسابات البنكية والبطاقات المصرفية.

وتبين في أحدث دراسة أجراها باحثون أن عملية اختراق هاتف محمول «أندرويد» يعمل بالبصمة تحتاج إلى مدة لا تزيد عن 15 دقيقة فقط، وبعض المعدات المتوافرة في المكاتب والمنازل حالياً، وهو ما يشكل ضربة لهذه التكنولوجيا برمتها والتي ساد الاعتقاد خلال الفترة الماضية أنها أكثر أمناً من كلمات المرور والأرقام السرية.

ولم يتضح إن كان من الممكن اختراق هواتف «أبل» بالطريقة ذاتها، أو حتى بوسائل مختلفة، لكن الواضح أن تجارب الاختراق نجحت في الهواتف العاملة بنظام «آندرويد»، وليس بهواتف «آيفون» التي تعمل بنظام (iOS) الذي تزعم شركة «أبل» الأمريكية أنه الأكثر أمناً في العالم حتى الآن.

أما طريقة الإختراق السهلة والبسيطة، والتي كشفها الباحثون وفهمتها «القدس العربي» فلا تحتاج سوى طابعة منزلية أو مكتبية قادرة على طباعة الصور بوضوح (300 dpi) إضافة إلى عبوة حبر عادية من تلك التي يستخدمها الهواة في منازلهم، وورق مصقول كذلك المخصص لطباعة الصور، كونه ينتج صوراً أكثر وضوحاً وأكثر دقة من الورق العادي.

وتتم عملية الإختراق بالحصول على صورة من بصمة يد الشخص الضحية صاحب الهاتف المحمول، ويمكن الحصول عليها من خلال المسح الضوئي، وعبر أي جهاز يقرأ البصمة، مثل أجهزة المسح الموجودة في المطارات ولدى أجهزة الأمن، ومن ثم تتم طباعة البصمة بشكل وحجم طبيعي، وباستخدام الحبر العادي، ويتم تعريضها للهاتف المحمول الذي يفتح فوراً ويتيح المجال لكل المعلومات المتوافرة فيه، حيث لا يستطيع الهاتف التفريق بين البصمة الحقيقية والصورة المطبوعة من هذه البصمة!

وقال خبير تقني لـ«القدس العربي» إن المشكلة في هذه الثغرة هي أنها تمثل إضافة جديدة لأجهزة الأمن وبعض الدول التي تسعى للتجسس على هواتف مواطنيها، حيث أن بصمات أغلب الناس تكون متوافرة لدى السلطات، وهو ما يعني منحها قدرة للدخول على الهاتف المحمول لأي معتقل أو موقوف خلال دقائق معدودة، والحصول على كل المعلومات الموجودة في الجهاز، بما في ذلك الصور والأرقام والرسائل والبريد الالكتروني.

وأجريت هذه التجارب من فريق بحثي متخصص تابع لجامعة «ميتشغن» الأمريكية، وهي دراسة كانت تهدف لاختبار مدى سهولة اختراق الهواتف المحمولة الذكية في حال معرفة بصمة يد المستخدم، أو في حال الحصول على صورة منها، أو التمكن من عمل «مسح ضوئي» لها.

وخلصت الدراسة إلى أنه «بمجرد نجاحنا من عمل طباعة ثنائية الأبعاد وعادية جداً لبصمة اليد، فإن الهاتف المحمول يصبح متاحاً أمامنا، والمعلومات فيه تصبح متوافرة دون مشاكل أو عوائق».

ولفت الباحثون إلى إنهم أجروا التجارب على هاتف «سامسونغ غالاكسي أس 6» و«هواوي هورنر 7» وكلاهما هواتف حديثة ولا تزال تستخدم على نطاق واسع في العالم.

وقالوا إن عملية اختراق هاتف محمول يفتح بالبصمة ويتعرف على صاحبه من خلالها تحتاج فقط إلى ثلاث خطوات رئيسية، ويمكن القيام بها داخل المنزل بأريحية تامة ودون الكثير من العوائق.

وأضاف الباحثون الذين أجروا التجربة أن كل ما يحتاجه الشخص هو طباعة البصمة بوضوح (300 dpi) أو أكثر، على أن يكون حجم الصورة هو الحجم الحقيقي لبصمة يد المستخدم، ومن ثم يقوم بتعريضها للهاتف الذي سيفتح مباشرة دون أن يكتشف بأنها مجرد صورة، وليست أصبع يد المستخدم الحقيقي.

وتشكل هذه الدراسة ضربة جديدة لإجراءات الأمن في الهواتف العاملة بنظام «أندرويد» حيث أن هذه القضية تمثل موضوعاً واسعاً للجدل في أوساط المستخدمين، خاصة وأن «أبل» الأمريكية تتباهى أن أنظمتها هي الأصعب في العالم على الهاكرز والمخترقين، بما في ذلك أجهزة الأمن التي ليست لديها القدرة على اختراق هذه الأنظمة.

وتأتي هذه الضربة لنظام التعرف على المستخدم بواسطة البصمة، بعد فترة وجيزة من إعلان كبريات شركات إصدار بطاقات الائتمان في العالم أنها تعمل على تطوير أنظمة الحماية لبطاقاتها لتصبح قادرة على التعرف على صاحبها من خلال بصمة اليد، ومن خلال صورته الشخصية والتعرف على وجهه مباشرة، وهو ما يتيح درجة أكبر من الحماية والأمان للمستخدمين بعد أكثر من ثلاثة عقود على استخدام نظام الأرقام السرية ذو الأربع خانات.

ويقول خبراء التكنولوجيا وأمن المعلومات إن نظام الأرقام السرية لم يعد آمناً ولا عصياً على الاختراق، فضلاً عن أن معدات سرقة بيانات البطاقات المصرفية وبطاقات الائتمان أصبحت سهلة وميسرة وبسيطة ورخيصة، وتمكنت عصابات متخصصة في السنوات الأخيرة من تنفيذ عمليات احتيال كبيرة وبمبالغ ضخمة بعد أن تمكنوا من انتهاك سرية البطاقات المصرفية التقليدية.

نظام الكتروني جديد يستخدم بصمة الأذن بدل كلمة المرور

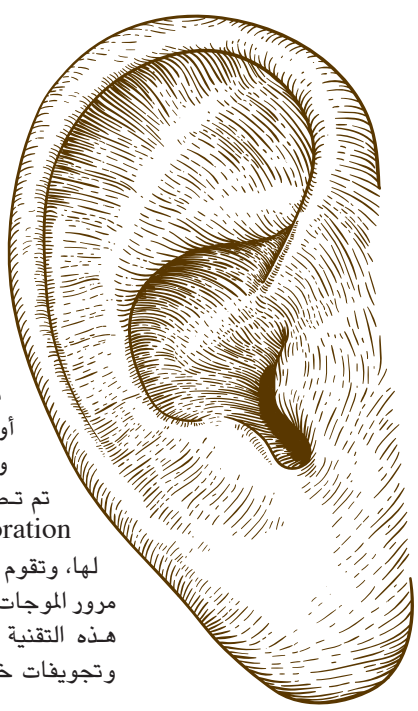

لندن ـ «القدس العربي»:

تمكنت شركة بريطانية من ابتكار نظام جديد وفريد للتعرف على الأشخاص، يعتمد على الأذن بدلاً من كلمة المرور، إذ يقوم على فرضية أن لكل شخص تجويفات خاصة في أذنه تختلف عن الآخر، بما يجعلها أشبه بالبصمة ويتيح استخدامها كبديل لكلمة المرور أو الرقم السري.

والتكنولوجيا الجديدة المسماة (Earbud) تم تطويرها مؤخراً من قبل شركة (NEC Corporation) البريطانية والتي تتخذ من لندن مقراً لها، وتقوم بالتعرف على الشخص من خلال أذنه، وكيفية مرور الموجات الصوتية داخل تجويفات الأذن، حيث تفترض هذه التقنية أن لكل شخص طريقة مختلفة في السماع، وتجويفات خاصة في أذنه، ويمكن التعرف عليه من خلال ذلك، وتمييزه عن الآخرين في العالم.

وبحسب التفاصيل التي نشرتها جريدة «دايلي ميل» البريطانية فإن نسبة النجاح لهذه التكنولوجيا تجاوزت الـ99 في المئة، وهو ما يعني أن هذه التقنية حققت نجاحاً كبيراً، ويمكن أن يتم تعميمها واستخدامها على نطاق واسع في العالم خلال الفترة المقبلة.

وتقول الشركة المطورة لهذه التكنولوجيا إنها تتميز بامكانية استخدامها خلال المشي أو الحركة أو العمل، حيث تعتمد على وجود سماعة ومكبر صوت (مايكروفون) مدمجان سوياً في بعضهما البعض، ومن ثم يقوم الشخص بالتحدث في أذنه ليتم على الفور حساب الموجات الصوتية وكيفية دخولها في الأذن وتعاملها مع تجويفات الأذن، وصولاً إلى تحديد هوية الشخص والتعرف عليه.

وبحسب الشركة المطورة لهذه التكنولوجيا فان التعرف على شخصية المستخدم يستغرق نحو ثانية واحدة فقط من الوقت، حيث يقوم النظام بنقل المئات فقط من الاشارات الصوتية خلال كسور الثانية من السماعة إلى الأذن، ومن ثم يتم التعرف على المستخدم بواسطة قراءة طريقة تعامل الأذن مع هذه الاشارات.

ويقول الباحثون إنهم وجدوا نوعين من المكونات المهمة التي تدخل الأذن، على أن النوعين يتضمنان العديد من أنواع الإشارات الصوتية التي تدخل إلى قناة الأذن التي يسمع بها الشخص، وهو ما يساعد في النهاية على التعرف على الشخص وتمييزه عن غيره.

وأصبحت تكنولوجيا تحديد الشخصية واحدة من المجالات المهمة التي تشهد بحوثاً متواصلة في العالم طوال الوقت، كما أن هذه التكنولوجيا شهدت تطوراً كبيراً في الآونة الأخيرة. وترجع أهمية هذه التكنولوجيا إلى التكاليف الباهظة التي يتكبدها العالم سنوياً بسبب عمليات القرصنة الالكترونية وعمليات اختراق الأنظمة الحاسوبية الموجودة في مختلف أنحاء العالم، وتحول الكثير من الحروب والصراعات إلى استخدام هذه الوسائل في الهجوم على الخصم.

Volume 27 - Issue 8402 Sunday 13 March 2016

خرائط ثلاثية الأبعاد للعالم قريباً

لندن ـ «القدس العربي»:

تعمل شركتان عملاقتان، إحداهما متخصصة بالتصوير والأخرى بإنتاج الطائرات دون طيار، على مشروع لتصوير العالم وصولاً لإنتاج خرائط ثلاثية الأبعاد للعالم بأكمله، ستكون الأولى من نوعها، وستقدم خدمة جديدة للمستخدمين والمهتمين والهواة. وأعلنت شركة (3D Robotics) إحدى أكبر الشركات الأمريكية المصنعة للطائرات بدون طيار عن إنشاء شراكة تجمعها مع أوتوديسك وسوني في سبيل إنشاء نسخة راقية من الطائرة بدون طيار التي تحمل طراز (Solo).

ويمكن للنسخة الجديدة من طائرة (Solo) القيام بمسح جوي لمواقع مثل موقع بناء قيد الإنجاز أو جسر يحتاج إلى فحص دوري، وتحميل نموذج ثلاثي الأبعاد أو رسم خرائط تفصيلية للمكان، بما يعني توافر خرائط متكاملة للعالم بنظام ثلاثي الأبعاد قريباً. وفي استطاعة الطائرة إرسال تلك البيانات والخرائط عبر الجو إلى التخزين السحابي، ما يسمح بوصول تلك الملفات بشكل سريع إلى أيدي المهندسين أو المدراء المتواجدين خارج الموقع.

وتعمل الطائرة (Solo) حتى الآن مع كاميرات من (GoPro)، إلا أن شركة «سوني» أعلنت عن الكاميرا الجديدة (UMC-R10C)، والتي سيتم دمجها لاحقاً مع طائرة الدرونز الجديدة.

وتسمح الكاميرا الجديدة بالتقاط صورة أكثر تفصيلاً، وإرسال بيانات عالية الدقة إلى السحابة بدون الحاجة إلى الهبوط على الأرض وإزالة بطاقة الذاكرة الرقمية الخارجية.

ويتم تزويد النسخة الجديدة من طائرة Solo بكمبيوتر لوحي من سوني يحتوي مسبقاً على برنامج FORGE من أوتوديسك، إلى جانب امتلاكها لكاميرا متعددة الأطياف وحرارية، ومعدات متخصصة لمسح المواقع الزراعية

صوت غامض من أعماق الفضاء يثير العلماء والفلكيين

لندن ـ «القدس العربي»:

استطاع العلماء سماع صوت طويل ومتكرر من أعماق الفضاء، إلا أنهم لا يستطيعون معرفة من أين يأتي مصدر هذا الصوت.

ووجد علماء الفلك «موجات راديو سريعة» يبلغ طولها 10 مللي ثانية، وهي تعد بالنسبة لهم مثالا على أحدث موجة راديو غامضة من خارج مجرتنا، قد تعني وجود مخلوقات ذكية خارج كوكب الأرض، تحاول الاتصال بكوكبنا.

وكان العلماء يعتقدون في السابق أن هذه الإندفاعات أو «الموجات» أحداث فريدة، لكن دراسة جديدة وجدت أنه على الأقل قامت بعض هذه المصادر بإرسال رسائل متكررة.

وتنضم هذه الدراسة إلى اكتشافات غريبة أخرى تمت في السابق حول موجات الراديو السريعة نفسها، التي يبدو أن هناك شيء غير عادي هو المسبب الرئيسي لها .

وتلقي الدراسة القليل من الضوء على مسبب حدوث هذه الرسائل، في محاولة لتفسيرها، ولكن تبقى هنالك أسئلة محيرة حول نوع المصادر التي ترسل هذه الإشارات.

وقال جيمس كوردس أستاذ علم الفلك في جامعة كورنيل: «إن الطاقة التي ترسل هذه الإشارات تسبب لنا إشكالية كبيرة، حيث أننا نتلقاها من مكان بعيد جدا، وهذا يعني أن المنبع مُشع جدا، حيث يمكن لعدد قليل جدا من المصادر الفيزيائية الفلكية أن تنتج موجات من هذا القبيل، وهناك احتمال كبير أن يكون المصدر هو نجوم نيوترونية في المجرات الأخرى».

وفي السابق، كان العلماء يعتقدون أن الرسالة تأتي من حدث هائل، مثل اصطدام النجوم النيوترونية، الأمر الذي يتسبب في إرسال موجات تصادمية للطاقة حول الكون، لكن الدراسات الجديدة تظهر أن مصدر هذه الطاقة لا يتم تدميره، ما دام يقوم بإرسال أكثر من موجة متكررة.

احتياطات ماء في الفضاء تزيد عن الأرض بـ140 تريليون ضعف

لندن ـ «القدس العربي»:

عثر علماء الفلك الأمريكيون في الفضاء البعيد على احتياطيات من الماء تزيد بمقدار 140 تريليون مرة عن حجم كل المياه المتوفرة في كوكب الأرض.

ويقع هذا المحيط المائي الضخم بالقرب من كوازار (ARM 08279+5255) الذي يبعد عن كوكبنا مسافة تقدر بـ12 مليار سنة ضوئية.

وعثر فريقان من علماء الفلك من معهد كاليفورنيا التكنولوجي ومختبر ناسا على الغلاف الذي يضم البخار المائي ويحيط بالكوازار المذكور.

وقال العلماء إن هذا المحيط يُعتبر من أضخم وأبعد المحيطات المائية في الكون يزيد حجمه بمقدار 140 تريليون مرة عن حجم كل المياه المتوفرة في كوكب الأرض. وإنه عبارة عن بخار مائي تكدس في مجال يحيط بالكوازار الذي يعد أيضا مصدرا كبيرا للطاقة.

يذكر أن الكوازار (ARM 08279+5255) الواقع في كوكبة الوشق يُشع طاقة أقوى من تلك التي تمتلكها مجرتنا (درب التبانة) كلها، ويُظهر توهجاً هائلاً جراء امتصاص الثقب الأسود العملاق الذي يزيد وزنه عن وزن الشمس بمقدار 20 مليار مرة.

ويرى العلماء أن الاحتياطيات الضخمة من البخار المائي وغيره من المواد يمكن أن تزيد من حجم هذا الثقب الأسود بمقدار 6 أضعاف.

فيروس زيكا

عدوى عادية

- يعاني معظم المصابين من أعراض شبيهة بأعراض الحمى
- تستمر الأعراض لمدة لا تتعدى الأسبوع
- لا تتم ملاحظة المرض لدى 70 إلى 80 بالمئة من الحالات
- **لا يوجد حاليا لقاح**

ينتقل فيروس زيكا عن طريق بعوض الزاعجة المصرية

خريطة امتداد بعوض الزاعجة المصرية

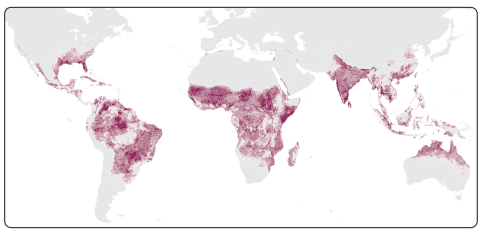

صلة ممكنة مع حالات صغر الرأس

يرجح أن يكون الفيروس سبب تزايد حالات الأطفال المصابين بصغر الرأس

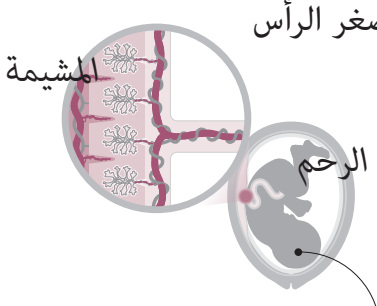

رأس صغير بشكل غير طبيعي. يمكن أن يؤدي إلى الوفاة، أو الإعاقة الإدراكية والحركية

صلة ممكنة بين الفيروس والمضاعفات العصبية

- صلة بين الفيروس **ومتلازمة غيلان باريه**

◄ مهاجمة الجهاز العصبي ما قد يؤدي إلى ضعف في العضلات، وشلل، وصعوبة في التنفس

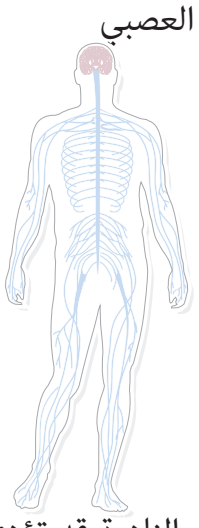

الجهاز العصبي المركزي

◄ في بعض الحالات النادرة قد تؤدي المتلازمة إلى الوفاة أو الشلل الكلي

AFP

المصادر: منظمة الصحة العالمية/مراكز مكافحة الأمراض والوقاية منها/وزارة الصحة البرازيلية/*Ecdc.Europa.eu*

«فيسبوك» ترصد الكلمات الجديدة لإعادة بناء اللغات في العالم

لندن ـ «القدس العربي»:

تعمل شبكة التواصل الاجتماعي الأشهر والأكبر في العالم «فيسبوك» على رصد الكلمات الجديدة المستخدمة على صفحاتها من أجل بناء قواميس جديدة تعيد في النهاية بناء اللغات في العالم، بما فيها اللغة الانكليزية، بما سيعجل من تطور اللغات المحكية والدارجة في العالم خلال السنوات المقبلة.

وحصلت «فيسبوك» على براءة اختراع لبرنامج قادر على بناء قاموس للمصطلحات العامية المستخدمة على موقع التواصل الاجتماعي، في مبادرة هي الأولى من نوعها، وخطوة قد تكون الأهم في هذا المجال.

ويقوم البرنامج بالبحث عن الكلمات الفريدة المستخدمة في المشاركات والتعليقات الموجود ضمن «فيسبوك»، وتحديد فيما إذا كانت هذه الكلمات تملك معنى خاصا بين مجموعة صغيرة من الناس.

ووفقاً لسجل براءات الاختراع «يقوم البرنامج بالبحث عن الاستخدام المتكرر لكلمات معينة بين المستخدمين الذين يتشاركون سمات معينة، مثل اللغة والموقع الجغرافي».

وبمجرد إيجاد البرنامج للفظة جديدة غير مرتبطة إلى حد كبير بتعريف معين، سيقوم بإضافة تلك الكلمة إلى تصنيف المصطلحات، ويبدو أنه يعمل بشكل مشابه لقاموس الانترنت Urban الذي يعتمد على حشد المصادر للوصول إلى الكلمات والعبارات العامية.

ويقوم البرنامج بإزالة تلك الكلمات عند انخفاض شعبيتها، ويمكن إضافة الكلمات إلى التصنيف أيضاً بناءً على استطلاعات رأي المستخدمين.

وتشير براءة الإختراع إلى إمكانية إحتواء البرنامج على واجهة استخدام تسمح للمستخدمين إضافة أو إزالة أو تحرير الكلمات الموجودة ضمن القاموس.

وأشار باحثون في وقت سابق إلى إمكانية تحول الشبكة الاجتماعية إلى أكبر مقبرة افتراضية في العالم بحلول نهاية هذا القرن، وذلك لأنها ستحتوي على حسابات لأشخاص توفوا أكثر بكثير من الأشخاص الذين ما زلوا على قيد الحياة.

وأشار الإحصائي هاشم صديقي من جامعة ماساتشوستس: «تمتلك وسيلة الإعلام الاجتماعية على الانترنت فيسبوك حالياً أكثر من 1.5 مليار مستخدم حول العالم، وسوف تتحول إلى أكبر مقبرة افتراضية في العالم بحلول عام 2098».

وأضاف: «سيحدث هذا الأمر بسبب رفض الموقع القيام بحذف حسابات المستخدمين الأموات، وعمله على تحويل الحساب بدلاً من ذلك إلى نسخة تخليدية».

وتشير الأرقام بناءً على معدل نمو الموقع وانخفاض سن المستخدمين على مر الزمن، إلى وجود بين 10 و20 مليون مستخدم قاموا بإنشاء حسابات ضمن «فيسبوك» وفارقوا الحياة بعد ذلك.

اقتصاد

في قراءة تحليلية لموازنة العام 2016

خبراء ومختصون يؤكدون عدم وجود مبرّر لزيادة أسعار الغاز ورسوم مياه الشرب في السودان

الخرطوم ـ «القدس العربي»: صلاح الدين مصطفى

اتفق عدد من الخبراء والمختصين على عدم وجود مبرّر للزيادة الكبيرة التي فرضتها الحكومة السودانية على أسعار الغاز وفاتورة المياه قبل حلول الربع الأول لميزانية 2016.

وفرضت الحكومة زيادة بلغت 200% على سعر غاز الطهي و100% على رسوم مياه الشرب في ولاية الخرطوم، رغم أن الرئيس البشير أعلن أن ميزانية هذا العام تستهدف تحسين الوضع المعيشي للشعب.

ونفى الدكتور محمد الناير، المحلل الاقتصادي، وجود أي احتمال لإنهيار ميزانية هذا العام، وقدم قراءة تحليلية لموازنة العام 2016 على ضوء المتغيرات المحلية والعالمية، وذلك ضمن ندوة أقامها المركز الدولي لإستشراف المستقبل «ماس».

وقال: «عند إجازة موازنة العام 2016 من قبل المجلس الوطني في كانون الأول/ديسمبر الماضي وجدت الإشادة من كل شرائح المجتمع ووصفت بأنها (موازنة الفقراء) ولكن تنفيذها مطلع هذا العام أفرز واقعاً مختلفاً عن الموازنة كخطة والتي أصبحت قانونا بعد إجازتها من الجهازين التنفيذي والتشريعي».

وأضاف أن شهر كانون الثاني/يناير شهد الإعلان عن فك إحتكار إستيراد غاز الطهي ووقود الطائرات «جت» والفيرنس والسماح للقطاع الخاص بإستيراد هذه المشتقات النفطية وزيادة أسعار الغاز بنسبة 200% . وفي شهر شباط/فبراير تم الإعلان عن زيادة أسعار المياه في الخرطوم بنسبة 100% إعتباراً من أول أذار/مارس الحالي.

وأشار إلى التصريحات المستمرة بأن هناك قرارات ستصدر بخصوص السلع الإستراتيجية الأخرى، مما جعل كل شرائح المجتمع – التي أشادت بالموازنة في وقت سابق – تفقد الثقة فيها وتعيش حالة من الترقب لما هو مقبل.

وسرد الناير بعض الأهداف الكمية بموازنة العام 2016 ومنها:

زيادة إنتاج الذرة من 4.1 مليون طن إلى 7.5 مليون طن وزيادة إنتاج القمح من 663 ألف طن إلى 1.4 مليون طن وزيادة إنتاج السكر من 648 ألف طن إلى 705 ألف طن، وزيادة إنتاج الزيوت النباتية بنسبة 35% وأعداد الثروة الحيوانية من 106.6 مليون رأس إلى 107.5 مليون رأس وزيادة توليد الطاقة الحرارية بحوالي 750 ميغاواط وزيادة إنتاج الأسمنت من 3.6 مليون طن إلى 5 مليون طن والتوسع في صناعة الأدوية بنسبة 5 % وتشييد 3297 كيلومترا من الطرق تشمل مشاريع جديدة ومستمرة. وقال إن هذه الأهداف يمكن تحقيقها إذا تم توفير التمويل اللازم لها.

وتناول الناير المتغيرات المحلية والعالمية وأثرها على الاقتصاد السوداني، مشيرا إلى أن كل المتغيرات حدثت خلال العام السابق وبالتالي عندما تم إعداد الموازنة الحالية كانت الرؤية واضحة جداً ومعظم المتغيرات أثرها إيجابي.

في المتغيرات المحلية يبرز الحوار الوطني الذي إنتهى قبل أيام ورفعت لجانه الست توصياتها وتوقع الناير أن تتسم الموازنة بالمرونة لتنفيذ نتائج الحوار ويشير إلى حدوث إستقرار سياسي وأمني إلى حد كبير وهذا يؤدي إلى خفض الإنفاق العام وتحسن علاقات السودان الخارجية وتحديداً مع دول الخليج وعلى رأسها السعودية.

ومن المتغيرات المحلية التي أوضحها الناير، مطالبة حكومة جنوب السودان بخفض المبلغ الذي يحصل عليه السودان من تصدير نفط الجنوب. وقال إن هذا الأمر طُرح منذ العام الماضي وستتم معالجته من الترتيبات المالية وكذلك إستفتاء دارفور فقد كان محددا بمواقيت واضحة قبل إعداد الموازنة.

أما المتغيرات العالمية، فتتمثل في إنخفاض أسعار البترول عالمياً مما سيوفر حوالي مليار دولار خلال العام وبالتالي خفض فاتورة الإستيراد ما ينعكس إيجاباً على أداء الاقتصاد السوداني. ويقول:»وبالرغم من أن هذا القطاع لم يشهد توسعات إستثمارية بكل الدول المنتجة للنفط بسبب الإنخفاض الكبير في أسعاره إلا أن تصريحات وزير النفط بموافقة الشركات الصينية بالتوسع في إستثماراتها وبناء خطوط أنابيب لنقل الغاز، يجعل الأثر إيجابيا أيضاً.

ويضيف إلى المتغيرات العالمية، إنخفاض معظم أسعار السلع الضرورية بالأسواق العالمية، وأهمها القمح والدقيق ما جعل الدولة تقبل على تحريك سعر إستيراد القمح والدقيق من 2.9 إلى 6.4 جنيه مقابل الدولار، مؤكدا أن ذلك تم منذ العام الماضي وأثره إيجابي على الاقتصاد.

ويشير إلى رفض القرار الأمريكي الذي قدم لمجلس الأمن بحظر تصدير الذهب بمساندة روسيا والصين، ورفع اسم السودان من القائمة الرمادية التي تشمل الدول التي لا تتوافق قوانينها مع المعايير العالمية لمكافحة غسل الأموال وتمويل الإرهاب وإصدار قرار من مجموعة العمل المالي الدولية.

ومن خلال ما تم تناوله من مؤشرات اقتصادية وأرقام الموازنة والمتغيرات المحلية والعالمية، يخلص الناير إلى أنه لا توجد متغيرات محلية أو عالمية غير متوقعة، كما أن أهم المرجعيات التي إستندت عليها الموازنة تشمل (البرنامج الخماسي للإصلاح الاقتصادي الذي رفع شعار الإنتاج من أجل التصدير وتحسين مستوى المعيشة، البرنامج الانتخابي لرئيس الجمهورية والذي يهتم بتحسين مستوى المعيشة، برنامج إصلاح الدولة وتوقعات نتائج الحوار الوطني) لذلك ما تم إتخاذه من قرارات وما سيتخذ لا يتوافق مع مرجعيات الموازنة العامة للدولة.

ويلفت النظر للعبارة التي وضعت ضمن مشروع الموازنة العامة ووافق عليها البرلمان – بحسن النوايا – والتي جاءت ضمن السياسات المالية والنقدية للعام 2016 وتنص على (البدء في تطبيق سياسة إعادة هيكلة دعم السلع الاستراتيجية والإستفادة من الفرص والظروف المواتية لإنخفاض أسعار السلع في الأسواق العالمية) وإستند عليها الجهاز التنفيذي في اقرار الزيادات.

وكذلك إلى العبارة الأخرى التي قد تستخدم في القرارات المتوقعة خاصة أسعار الكهرباء تنص على (مراجعة رسوم الخدمات الحكومية بحيث يتوافق الرسم مع تكلفة الخدمة المقدمة) مؤكدا أن هذه العبارات قد تجعل السلطة التشريعية تتوقف كثيراً عند إجازة موازنة العام 2017 وتدقق في العبارات الواردة وقد تضع شرطا مع الإجازة بعدم تعديل أي رسوم أو أسعار السلع المحددة السعر مما يقيد الجهاز التنفيذي.

الدكتور أحمد الطيب السماني الخبير في الشؤون الاقتصادية، اعتبر إن العام الحالي من الأصعب اقتصاديا على مستوى العالم، وذلك نسبة لتواصل الإنخفاض الكبير في أسعار النفط. وقال إن الناس في السودان يتخوفون كل عام من إنهيار الموازنة، وفقدوا الثقة في المعايير التي تُوضع من خلالها، وفي هذا العام تم التبشير بموازنة تهتم بمعاش الناس، لكن فوجئ الجميع بزيادة كبيرة في أسعار غاز الطهي ورسوم المياه.

وقال إن موازنة العام لن تنهار، لكنها سوف تواجه صعوبات، من بينها ارتفاع سعر صرف العملات الأجنبية، مشيرا إلى وجود إشكالية بين بنك السودان ووزارة المالية تكمن في الفرق بين السياسة المالية والنقدية. وأضاف أن البطالة هي أكبر المؤشرات التي تحتاج لحلول حيث بلغت 19.2% وتعني أن (2) مليون مواطن يبحثون عن العمل ضمن القوى العاملة التي تبلغ (9) مليونا. وقال أن الموازنة اعتمدت على الضرائب بنسبة 71% لتغطي الفصل الأول البالغ 60%.

وطالب خالد حسن طه من المركز الدولي لإستشراف المستقبل، بإعادة هيكلة الاقتصاد حتى يتم إعداد موازنة صحيحة، وأشار إلى أن الاعتماد على الضرائب بنسبة 71% أمر غير مدروس وسيأتي بنتائج عكسية، وقال إن أكبر المشاكل التي تواجه الموازنة هي عدم الصرف على المشروعات الموضوعة في الخطة.

واتفق مشاركون في الندوة على أن الإعتماد على الضرائب بنسبة كبيرة جدا سيؤثر سلبيا على جذب الاستثمار، إضافة لتعدد الرسوم وعدم وجود أي ميزة تجذب المستثمرين، يضاف إلى ذلك الفرق الشاسع بين سعر الصرف الرسمي للعملات الصعبة والسعر الموازي والذي يفقد البلاد موارد هائلة من تحويلات المغتربين.

شحة المياه في مخيمات دارفور

التراجع الاقتصادي للولايات المتحدة في الشرق الأوسط يمهد لشراكة تركية مع إسرائيل ودول الخليج في مواجهة إيران

القاهرة ـ «القدس العربي»: د. محمد علي

تشير تحليلات اقتصادية متطابقة إلى ان الانسحاب المتزايد للولايات المتحدة من الشرق الأوسط يعمل بشكل واسع على فتح المجال أمام تركيا لتقوية تعاونها الاقتصادي مع أغلب دول المنطقة وخاصة في مجالات الطاقة والأمن في مواجهة الصعود اقتصاد إيران بعد نجاحها في رفع العقوبات إثر التوصل إلى اتفاق البرنامج النووي.

وحسب تقرير نشرته مجلة «ستراتفور» أمس فإن تركيا التي توترت علاقاتها مع إسرائيل خلال السنوات العشر الماضي، تقترب من فتح صفحة جديدة معها، إذ من المرجح ان يجد البلدان المقدرة على توحيد قواهم معا.

وأشار التقرير إلى ان تعاونا بين تركيا ودول الخليج سيؤدي إلى وسيلة فاعلة لمواجهة التوسع الاقتصادي الإيراني إقليميا.

وعلى الرغم من التقارير التي تشير إلى ان إسرائيل تتعامل بحذر تجاه استئناف العلاقات مع تركيا بسبب التوتر الذي يسود العلاقات بين القاهرة وأنقرة، فإن البلدين يدركان انهما يستطيعان تحقيق العديد من التقدم

Volume 27 - Issue 8402 Sunday 13 March 2016

انهيار أسعار النفط يسهم في تبديد أحلام كردستان العراق بالاستقلال الاقتصادي

سميره قعوار

بالرغم من نجاح حكومة إقليم كردستان العراق في تكريس قدرتها على تصدير النفط بشكل مستقل عن الحكومة المركزية في بغداد، فإن حلم الاستقلال الاقتصادي الذي طالما راودها، والكثير من أكراد العراق، كإنجاز قد يمهد الطريق لتحويل الإقليم إلى دولة مستقلة عن العراق، ما زال بعيد المنال بعد أن أضعفت تطورات الأشهرالقليلة الماضية فرص تحقيقه.

ثلاثة عوامل تكالبت على حكومة إقليم كردستان لتحبط طموحاتها في تحقيق استقلال اقتصادي يمكنها من الاستغناء عن ارتباطها ببغداد، والذي أصبح في السنوات الأخيرة شكلياً.

أول هذه العوامل هو انهيار أسعار النفط بحوالي 70 في المئة عما كانت عليه في منتصف عام 2014. وثانيها هو انهيار الهدنة التي كانت قائمة بين تركيا وحزب العمال الكردستاني في جنوب شرق تركيا، على خلفية التطورات الجارية على الساحة السورية. أما ثالثها فهو اكتشاف حقائق جيولوجية جديدة أدت إلى خفض تقديرات الاحتياطيات الموجودة في حقل طقطق النفطي، أحد أهم الحقول الموجودة في كردستان العراق، إلى حوالي النصف.

منذ فترة غير قصيرة تعاني حكومة إقليم كردستان من أزمة مالية خانقة ومتفاقمة، بسبب تراجع عائدات تصدير النفط، تنعكس في مصاعب إيجاد تمويل لقوات البشمركة ودفاعات الإقليم في مواجهة «الدولة الإسلامية» من جهة، وتغطية بقية المصروفات الحكومية (اجتماعية وصحية وتعليمية ...الخ) في الإقليم من جهه ثانية، والذي أثقل عليه تواجد عدد كبير من اللاجئين فيه، تقدر السلطات عددهم بحوالي 1.7 مليون لاجئ، ولدفع مستحقات الشركات المنتجة للنفط في الإقليم لضمان استمرارية إنتاجها من جهة ثالثة.

يذكر أن حكومة الإقليم تعتمد على عائدات تصدير النفط لتوفير 95 بالمئة من دخلها.

وكانت حكومة الإقليم قد اتفقت مع الحكومة المركزية في بغداد في نهاية عام 2014 على تسليم 550 الف برميل من النفط المنتج في الحقول التي تسيطر عليها إلى شركة التسويق الحكومية العراقية (سومو) لتقوم بتسويق وبيع تلك الكمية، مقابل أن تدفع الحكومة المركزية لحكومة الإقليم ما يعادل 17 بالمئة من مجموع دخل العراق الكلي المتأتي من تصدير النفط. لكن الاتفاق انهار في منتصف العام الماضي، وقالت حكومة الإقليم ان الحكومة المركزية لم تدفع كامل الحصة المتفق عليها، كما تخلفت عن دفع مبالغ شهرية متفق عليها لتمويل قوات البشمركه.

وردا على ذلك عملت حكومة الإقليم على تصدير النفط المنتج من الحقول الواقعة تحت سيطرتها بشكل مستقل منذ منتصف العام الماضي، ونجحت في إيجاد المشترين، مستفيدة من انشغال الحكومة المركزية العراقية بمحاربة «الدولة الإسلامية»، من جهة، وبمعالجة الأزمة المالية الخانقة التي تعاني منها هي الأخرى جراء هبوط أسعار النفط، وكذلك بالنزاعات والخلافات السياسية التي تتهدد حكومة حيدر العبادي من جهة ثالثة.

هذه الانشغالات اسهمت في جعل الحكومة المركزية غير قادرة على تنفيذ تهديداتها باللجوء إلى الوسائل القانونية، أو استعمال نفوذها في السوق النفطية الدولية للحد من قدرة الإقليم على تصدير النفط بشكل مستقل. وفي هذه الأثناء أخذ عدد مشتري نفط الإقليم يزداد تدريجياً، حيث تقوم الشركات المتاجرة بالنفط بشراء ما يصدره الإقليم وبيعه للمصافي في منطقتي البحر المتوسط وأوروبا. وقد ازدادت صادرات النفط من الإقليم إلى ألمانيا والنمسا بنسبة 132 بالمئة في شهر يناير/كانون الثاني الماضي. كما ازدادت بنسبة 90 بالمئة إلى إيطاليا.

وبفضل ذلك تمكن إقليم كردستان من تعظيم دخله من عائدات الصادرات المستقلة إذ بلغ دخله من المبيعات النفطية 3.77 مليار دولار خلال النصف الثاني من عام 2015 - أي 628.9 مليون دولار في الشهر - مقارنة بأقل قليلاً من 2 مليار دولار في النصف الأول، عندما كان يسلم صادراته النفطية للحكومة المركزية ويستلم الدفعات منها.

لكن ذلك لم ينه الأزمة الاقتصادية التي تعصف بالإقليم بسبب الهبوط المضطرد لأسعار النفط. فحكومة الإقليم تحتاج دخلاً يغطي مصاريف شهرية تعادل 850 مليون دولار. كما انها تنوء تحت ضغط ديون متراكمة عليها تقارب 25 مليار دولار، بشكل قروض من البنوك المحلية والتركية، ومستحقات مالية متأخرة لموظفي الحكومة ومقاتلي البشمركه، ومستحقات متراكمة للشركات المنتجة للنفط والغاز، وللمتعهدين المنفذين للأشغال العامة، ولتجار نفط يدفعون مسبقاً ثمن كميات نفط سيتم تصديرها لاحقاً ولا يتم ذلك لأسباب خارجة عن سيطرة حكومة الإقليم، مما يرتب عليها ديوناً تجاه تلك الشركات.

وللإيفاء بكل هذه الإلتزامات، تحتاج حكومة الإقليم إلى أسعارتعادل 60 دولارا للبرميل. ومن الواضح أن الأسعار الحالية التي تقل عن 40 دولارا للبرميل لا يتوقع ارتفاعها بحوالي 20 دولارا في المدى القريب بفعل التخمة الموجودة في سوق النفط العالمي.

وقد تعاملت حكومة الإقليم مع أزمتها المالية بمحاولة تخفيض مصروفاتها، إذ قلصت رواتب موظفي القطاع العام بنسبة 20 - 70 بالمئة. وقد اندلعت إضرابات عن العمل واحتجاجات على ذلك وعلى تأخر الحكومة في دفع الرواتب. كما عقدت الحكومة اتفاقيات جديدة مع الشركات المنتجة للنفط في الإقليم تدفع لها بموجبها مستحقاتها محسوبة على أساس عقود تقاسم الإنتاج التي تعمل بموجبها هذه الشركات، آخذة في الحسبان أسعار النفط وتذبذبها نزولاً أو صعوداً. وقد مكن ذلك حكومة الإقليم من تخفيض دفعاتها الشهرية للشركات مع ضمان سدادها دون تؤخر كما كان يحدث سابقاً، مما يمكن تلك الشركات من تغطية كلف الإنتاج وزيادته حيث أمكن.

ثم جاء إغلاق الأنبوب الذي تستعمله حكومة الإقليم لتصديرالنفط إلى ميناء جيهان التركي في 17 فبراير/ شباط ليفاقم الأزمة المالية. فبعد ان أغلقت القوات التركية الأنبوب في منطقة تحارب فيها مسلحي حزب العمال الكردستاني، رد هؤلاء بتفجير جزء من الأنبوب. وتقول حكومة الإقليم ان تركيا تقوم بإصلاح الأضرار وتأمين المنطقة وإزالة الألغام المزروعة في بعض المناطق المحيطة بالأنبوب. وأفادت مصادر ملاحية أمس الجمعة أن الأنبوب سيعاد فتحه في غضون أيام قليلة . وتخسر حكومة الإقليم حوالي 15 مليون دولار في اليوم جراء توقف الصادرات عبر الأنبوب.

وكان إقليم كردستان قد صدر حوالي 600 الف برميل في اليوم عبر الأنبوب إلى ميناء جيهان في شهر يناير/كانون الثاني، ولكنه صدر 350 ألف برميل في اليوم في الشهر التالي، وذلك قبل إغلاق الأنبوب. ومع استمرار التوترات بين تركيا وحزب العمال الكردستاني، يظل أنبوب التصدير عرضة للإغلاق من جديد مما سيتسبب بخسائر لاحقة لحكومة الإقليم، كما سيقلل من جاذبية الصادرات النفطية للإقليم لدى المشترين، إذ سينظرون إليها كمصدر غير معتمد، وقد يلجأون للإستعاضة عنها أو عن بعض كمياتها بصادرات منافسة لها في منطقة المتوسط، وبخاصة النفط الروسي والإيراني.

أما ثالث المشاكل التي أضرت بالإقتصاد النفطي للإقليم، فتتمثل بإعلان شركة «غينيل إنرجي» التركية، المدرجة في بورصة لندن، مؤخراًعن تخفيض تقديراتها لإحتياطيات حقل طقطق، من 638 مليون برميل إلى 356 مليون برميل بعد اكتشاف حقائق جيولوجية جديدة. وكان الحقل قد أنتج ما معدله 123 ألف برميل في اليوم في الأشهر التسعة الأولى من العام الماضي، أي ما يعادل حوالي 21 بالمئة من إنتاج الإقليم. وتتوقع الشركة، التي تدير الحقل وتملك حصة مقدارها 44 بالمئه فيه، أن ينخفض الإنتاج في طقطق إلى 80 ألف برميل في اليوم هذا العام، وإلى حوالي 70 ألف برميل في اليوم العام المقبل، ثم إلى مستوى يتراوح بين 50 ألف و70 ألف برميل في اليوم عام 2018.

مشكلة تقدير الاحتياطيات ليست محصورة بحقل طقطق. فقد تخلت شركة «مول» الهنغارية وشركة «غلف كيستون بتروليوم» المستقلة عن عقدهما في حقل أكري بيجيل النفطي في شهر كانون ثاني /يناير، بعد إعادة تقييم احتياطياته. كما خفضت «غلف كيستون بتروليوم» تقديراتها لاحتياطيات حقل شيخان بمقدار 4 مليارات برميل. وكل هذا يعني أن هدف حكومة الإقليم لزيادة الإنتاج هذا العام بمقدار 50 ألف برميل في اليوم قد أصبح صعب المنال إن لم يكن مستحيلاً.

كما أن تكرار خفض تقديرات الاحتياطيات يقلل من جاذبية الاستثمار في القطاع النفطي للإقليم، وخاصة في ظل انخفاض أسعار النفط الذي حدا بشركات النفط العالمية إلى خفض مصروفاتها واستثماراتها، حتى في المناطق التي تتمتع باحتياطيات مؤكدة أكبر بكثير من تلك الموجودة في الإقليم.

هذه المشاكل بمجملها تثير تساؤلات أساسية، ليس فقط حول إمكانية أو عدم إمكانية تحقيق استقلال اقتصادي للإقليم، بل كذلك حول قدرة حكومته على تفادي الانهيار الاقتصادي، وكذلك الاجتماعي والسياسي، الذي قد يستتبع ذلك إذا ما طال أمد انخفاض أسعار النفط.

إعلامية فلسطينية، خبيرة في شؤون النفط

حقل طقطق النفطي

الاقتصادي بينهما. وبالتوازي، فإن إسرائيل نجحت في جذب اهتمام جيرانها في مصر والأردن للاستفادة من امتلاكها لاحتياطي ضخم من الغاز. فبالقرب من نهاية العام 2015، تمكنت إسرائيل من إقرار عقد جديد لعدة سنوات مع مصر يقضي بمنحها خمسة مليارات متر مكعب من الغاز الطبيعي. إلا ان تنفيذ ذلك التعاون سيحتاج إلى سنوات عديدة لانشاء الأنابيب المطلوبة لتوصيل الغاز إلى مصر والأردن.

ومع تصاعد التوتر بين تركيا وروسيا بسبب الأوضاع في سوريا، فإن حكومة أنقرة قد تجد في إسرائيل بديلا محتملا للحصول على مصادر الطاقة وخاصة الغاز. وتستطيع تركيا أيضا ان تتعاون مع شمال العراق وأذربيجان، لتحقيق التنوع في مصادرها.

إلا ان حقلي (تامار وليفيا اثان) الإسرائيليين ويملكان سبعمئة مليار متر مكعب من الغاز الطبيعي قد يمثلان إضافة رئيسية للخيارات التركية.

وفي مستوى التعاون الاقتصادي التركي مع دول الخليج، فمن المعروف ان هذا الملف يحظى بدعم مباشر من زعماء تلك الدول. وشمل العام الماضي ثماني قمم تركية خليجية، تصدرتها دولة قطر بأربعة لقاءآت، ثم السعودية بثلاثة لقاءآت، ولقاء واحد مع دولة الكويت. وأثمرت تلك اللقاءات عن 15 اتفاقية إلى جانب إقرار أول اجتماع للجنة العليا للتعاون الاستراتيجي بين قطر وتركيا. وشهدت الشهور القليلة الماضية تحقيق مستوى الشراكة الاستراتيجية المتكاملة في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية بين البلدين، ثم التوصل لاحقا إلى شراكة مشابهة بين الرياض وأنقرة.

وتشير توقعات الخبراء إلى ان قطر تمثل أهمية خاصة بالنسبة إلى قدرتها على مساعدة تركيا في الحصول على احتياجها من الغاز. ومن المعروف ان قطر تحتل المرتبة الأولى عالميا بامتلاكها إحتياطيا يبلغ 885 ترليون متر مكعب من الغاز الطبيعي.

وفي غضون ذلك أعلن وفد اقتصادي بحريني زار تركيا مؤخرا تعزيز علاقات التعاون الاقتصادي والاستثماري بين البلدين، وزيادة حجم المبادلات التجارية القائمة بين البحرين وتركيا والتي وصلت حتى شهر كانون الأول/ ديسمبر 2015 إلى أكثر من 26 مليون دولار أمريكي وذلك حسب مؤشرات التجارة الخارجية لدى الجهاز المركزي للمعلومات.

وتشير هذه التطورات إلى تحول اقتصادي متسارع في الشرق الأوسط الذي طالما كان حصيلة للهيمنة الأمريكية، لتنفتح مجالات جديدة من نفوذ التعاون الاقتصادي لدول المنطقة القادرة على تحقيق مصالح واسعة لشعوبها.

مدن وآثار

حاضرة الروم وبيزنطة والعرب والمماليك

السلط: أيقونة الفن المعماري في الأردن

عمان ـ «القدس العربي»: آية الخوالدة

على مرتفعات البلقاء تقع مدينة السلط التي عرفت الاستيطان البشري منذ آلاف السنين قبل الميلاد. إذ كانت قاعدة إدارية إقليمية للدولة العثمانية، قبل ان تصبح اليوم مزيجاً من فنون الهندسة المحلية والأوروبية، كونها مبنية من الحجارة الرملية الصفراء، ويرتبط تاريخ معظم مبانيها بأحداث تاريخية مهمة.

وتعد السلط الوحيدة بين مدن المملكة التي تضم عدداً كبير من البيوت والمساجد والكنائس التي يتجاوز عمرها المئة عام بطراز معماري متميز ضمن دائرة لا يتجاوز قطرها 2000 متر، وربما يتجاوز عدد البيوت التراثية في المدينة 1000 بيت شُيدت جميعها بالحجر الأصفر.

تاريخ المدينة

السلط، عاصمة محافظة البلقاء، رابع أكبر مدن الأردن من حيث عدد السكان، البالغ 491،709 ألف نسمة بحسب إحصائيات عام 2015. وتبعد عن العاصمة عمان 30 كيلومترا. سميت بـ «سالتوس» نسبة إلى القائد اليوناني العظيم الذي فتحها زمن الإسكندر المقدوني، والمدينة تقوم على جبال متباينة الارتفاع تتراوح ما بين 790 – 1108 في منطقة النبي يوشع، وبذلك تعد أعلى قمم مناطق وسط الأردن.

ساهم الرومان والبيزنطيون والعرب والمماليك في ازدهار ونمو المدينة، حتى بلغت ذروة مكانتها مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين إبان الحكم العثماني لهذه البلاد. ففي عهد الإمبراطورية العثمانية نالت قسطاً من الحرية، فلم يحكمها حاكم وكان يقال عن سكانها «معفيون من الضرائب من أي نوع كانت» وظلت مركزاً تجارياً هاماً بربط فلسطين ببلاد الشام والحجاز.

ومن النماذج الرائعة على تقدم المعمار الهندسي، منزل ابو جابر الذي بني عام 1882 وزينت سقوفه وجدرانه من الداخل بلوحات أبدعها فنانون إيطاليون، ليمثل دليلا على مدى التقدم والازدهار الذي شهدته المدينة، رغم أنها تعاني اليوم من ضغوط التوسع والتغير الوظيفي.

المواقع الأثرية

تضم السلط العديد من المواقع الأثرية المهمة مثل المقابر الرومانية في ضواحي المدينة، وقلعة الأيوبيين التي بناها السلطان عيسى بن أيوب عام 1198 ومتحفا للآثار والحياة الشعبية التي كانت سائدة، إضافة إلى أدوات تراثية كأدوات الحراثة والفلاحة وغيرها.

يعود بناء القلعة التاريخية للقرن الثالث عشر حيث أمر السلطان الأيوبي المعظم بن صلاح الدين ببنائها وتعرضت للدمار على أيدي المغول 1260 وبعد عام أمر السلطان المملوكي في مصر بإعادة بنائها من جديد وبعد ستة قرون قامت جيوش الحاكم المصري جمال باشا بتدميرها ثانية ولم يبق من آثارها إلا مسجد فخم يطل على المدينة الحديثة اليوم.

من أشهر شوارع السلط شارع الحمام في وسط المدينة، وشارع الميدان وكان فيه ميدان لطراد الخيل، وشارع الدير وهو آخر امتداد شارع الخضر الذي سمي نسبة إلى مقام الخضر عليه السلام ومن أشهر الأحياء حي الجادور وذلك نسبة إلى مقام النبي جاد الموجود فيه، ووادي شعيب نسبة لمقام النبي شعيب.

المتحف

يمثل متحف آثار السلط ومعروضاته ذاكرة تاريخية تتوزع على حقب ضاربة في جذور التاريخ، والمبنى الذي يقام في منزل آل طوقان، بني على عدة مراحل، إذ أنشئ الطابق الأرضي في بدايات القرن المنصرم في الفترة ما بين 1900 –1905 وتبلغ مساحته 170 مترا يتم الدخول إليه من خلال شرفة أمامية ويحتوي على فراغ دخول وسطي (ليوان) تحيط به ثلاث غرف، بالإضافة إلى موزع ودرج ووحدة صحية. بينما أنشئ الطابق الأول بعد ذلك بسنوات قليلة على إثر دخول الخط الحديدي الحجازي إلى الأردن ما بين 1905–1910 ويمكن الوصول إليه من خلال درج جانبي مكشوف أو مباشرة من الطابق الأرضي وتبلغ مساحته ما يقارب من 200مترا. وتنتظم حول فناء وسطي مكشوف سبع غرف، اثنتان منها على الطرف الشرقي من الفناء والخمس الأخرى تقع على الجانب الغربي وترتبط بالفناء من خلال رواق.

ويضم المتحف بين جنباته جميع القطع التي تأتي من الحفريات الأثرية في المحافظة وقد رتبت ترتيبا زمنيا من العصر النحاسي المتمثل في موقع تليلات الغسول قرب البحر الميت الذي يعود تاريخه إلى 4500 قبل الميلاد وحتى الفترات الإسلامية التي تتمثل في عدد من القطع الفخارية والنقود والزجاج تعود لفترات مختلفة تظهر تعاقب الحضارات. وجرى مؤخرا استحداث تسميات للغرف «الحقب» بحيث تضم كل غرفة حقبة تاريخية معينة بناء على الأحداث البارزة والتغييرات التي جرت على الطريقة التي كان يعيش بها الناس في كل فترة.

الحياة الشعبية

يقع متحف الحياة الشعبية في قلب مركز السلط الثقافي، وتم افتتاحه عام 1987 ويهدف إلى المحافظة على التراث الشعبي لأبناء السلط والأدوات والآلات الشعبية التي كان يستخدمها أبناء المدينة خوفاً عليها من الإندثار أو الزوال.

والمتحف يمثل جانبين من حياة السكان هما البداوة والريف. فحياة البداوة تمثلها خيمة منسوجة من شعر الماعز يقال لها «بيت الشعر». ويقسم هذا البيت إلى «شق» وهو مكان جلوس رجل البيت وضيوفه والثاني «محرم» وهو مخصص للنساء. وفي شق الرجال توجد أدوات صنع القهوة كالدلة والمحماس، والمهباج، بالإضافة إلى سلاح البدوي المتمثل في السيف والبندقية القديمة.

أما البيت الريفي فهو مبني من الحجارة وفيه الفرش كالبطانيات، وصندوق خاص بالمرأة تحفظ فيه مقتنيات الأسرة الثمينة التي تتوارثها جيلاً عن جيل،

بالإضافة إلى أدوات الخبز كالطحين والعجين.

أقدم المدارس

على رأس تلة جميلة مطلة على وادي السلط من جهة، وعلى ملتقى سفوح المدينة العريقة من جهاتها الأخرى تتربع أم المدارس الأردنية على نحو ثلاثين دونماً، في الجزء الجنوبي الشرقي من مدينة السلط تقف شامخة منذ ما يقرب من ستة وثمانين عاماً، تحكي بشموخها قصة وطن عزيز أبي.

مدرسة السلط الثانوية التي خرجت العديد من رجالات الأردن المهمين، بتقديمها 85 فوجا، كانت شاهدة على تاريخ الدولة الأردنية الحديثة، حيث قال عنها الملك الحسين «... فلست أجد مدرسة ولا مؤسسة في بلدنا ارتبط تاريخها بتاريخ الوطن، واتصل استمرارها ببناء الدولة وتطورها كمدرسة السلط العريقة».

ولم تكن مدرسة السلط الثانوية أول ثانوية أردنية فقط، بل كانت الرائدة في الكثير من المجالات، وتأسست فيها أول مكتبة مدرسية في الأردن عام 1925 كما تشكلت فيها أول فرقة كشفية عام 1923 وأول جمعية رفق بالحيوان «جمعية حماية الحيوان» عام 1926 وبلغ عدد أعضائها من طلبة المدرسة عام 1928 (12) عضواً.

وفي عام 1938 صدرت فيها أول مجلة مدرسية تدعى «مدرسة السلط الثانوية» وأول مرصد جوي بسيط لقياس عناصر الطقس المختلفة، بالإضافة إلى أن مدرسة السلط الثانوية هي الوحيدة التي تظهر صورتها في طابع بريدي أردني صدر في عام 1982. تتوشح اليوم مدرسة السلط الثانوية وسام الاستقلال الملكي من الدرجة الأولى، وستبقى صرحا علميا وثقافيا وتاريخيا.

قائمة التراث العالمي لمنظمة اليونسكو

تضم المدينة آثارا ومعالم تاريخية فريدة من فترة الحكم العثماني للبلاد، بينها أكثر من ألف بيت أثري، وتم إدراجها على قائمة التراث العالمي لمنظمة اليونسكو نهاية كانون الثاني/يناير من هذا العام.

وتشمل الخطة المعدة للمدينة على 9 أبواب أولها باب يشتمل على إظهار القيمة العالمية الفريدة لمدينة السلط ولماذا تعد تراثا عالميا، والثاني والثالث يتضمن جزءا من خطة إدارة الوسط التاريخي والتراثي للمدينة كاملة وخطة للحفاظ على الأبنية التراثية البالغة 22 مبنى وترميمها، إضافة إلى ملحق يحوي دليلا للترميم حسب الأصول العالمية وملحق خامس يتضمن الدراسات التي أجريت للمدينة من قبل الجمعية العلمية الملكية ومؤسسة جايكا اليابانية.

وهنالك مجلد آخر يضم الأحكام التنظيمية التي تم تجهيزها من قبل البلدية واعتمد من قبل مجلس التنظيم الأعلى، حيث سجلت أنها أول مدينة عربية تضع أحكاما خاصة للتنظيم في الوسط التاريخي للمدن التاريخية العربية. كما يشتمل الملف على ملحق للوصف والقيمة التاريخية للمدينة وملفات أخرى تتحدث عن التسلسل التاريخي للمدينة موثقة بالصور الجوية والفوتوغرافية.

ويعد ملف السلط الأول عالميا الذي يقدم لتسجيل المواقع التراثية فيها ضمن الحركة العمرانية الممتدة من (1865 –1925) وهي الفترة التي تحولت فيها المدينة من البناء الحضري البسيط إلى مدينة ذات طراز معماري متميز أثر في البناء المعماري في الأردن والوطن العربي والعمارة العالمية.

الرحالة بيركهارت

قال الرحالة بيركهارت خلال إحدى رحلاته عن السلط «تعيش عشائر السلط معاً في وفاق تام تحت حكم شيوخهم وهم جميعا من القبائل البدويّة الأصيلة متمسكين بالعادات ولهجتهم بدوية قحّة، إلا انهم لا يرتحلون لما في أرضهم من خير. وأهالي السلط على حلف مع بعض البدو في منطقة البلقاء والبلاد المحيطة بها».

رياضة

شارابوفا من التتويج إلى السقوط

انهيار ملكة

لندن ـ «القدس العربي»:

أحدثت نجمة التنس الروسية ماريا شارابوفا، أعلى الرياضيات أجرا في العالم، صدمة كبيرة في عالم اللعبة عندما أعلنت الاثنين الماضي إنها سقطت في اختبار للكشف عن المنشطات في بطولة استراليا المفتوحة بسبب مادة كانت تتناولها على مدار السنوات العشر الأخيرة لدواع صحية.

وقال الاتحاد الدولي للتنس إن شارابوفا (28 عاما)، الفائزة بخمسة ألقاب في البطولات الأربع الكبرى، سيتم ايقافها مؤقتا بداية من أمس السبت. وقالت نايكي وهي واحدة من رعاة اللاعبة الروسية الكبار إنها ستوقف صلتها بشارابوفا أثناء سير التحقيقات.

وهي سابع رياضية خلال شهر تأتي عينتها ايجابية لمادة ميلدونيوم، التي تستخدم لعلاج داء السكري ونقص الماغنسيوم، وحظرتها الوكالة العالمية لمكافحة المنشطات من أول يناير/ كانون الثاني فقط. وقالت شارابوفا التي كانت لاعبة واعدة وهي شابة وأصبحت ثالث أصغر بطلة على الاطلاق لويمبلدون: «ارتكبت خطأ كبيرا. خذلت جماهيري وخذلت الرياضة. أتحمل المسؤولية كاملة». وأضافت المصنفة الأولى عالميا سابقا: «أعلم أنني سأواجه العواقب ولا أريد أن أنهي مسيرتي بهذه الطريقة. أتمنى حقا أن أحصل على فرصة ثانية لممارسة هذه الرياضة».

وفي بيانها الذي أعلنت فيه تعليق صلتها باللاعبة الروسية بعد ساعات من اعلان نجمة التنس قالت «نايكي»، أكبر شركة ملابس رياضية في العالم: «نشعر بالحزن والدهشة من الأنباء المتعلقة بماريا شارابوفا». وينص برنامج مكافحة المنشطات في الاتحاد الدولي للتنس على الإيقاف لأربع سنوات في حالة وجود عينة ايجابية لكن هذه العقوبة تقلصت في العديد من المواقف مثل السقوط في الاختبار لأول مرة أو اذا لم يظهر اللاعب أي اشارة واضحة على الخطأ أو الاهمال.

ووفقا لمجلة «فوربس» ربحت شارابوفا 29.5 مليون دولار في 2015 أغلبها من عقود الرعاية. وقالت شارابوفا إن طبيب أسرتها وصف لها دواء ميلدرونيت، الذي يعرف أيضا باسم ميلدونيوم، وكانت تتناوله على مدار عشر سنوات لأنها كانت تمرض بصورة مستمرة وتعاني من نتائج غير منتظمة لرسم القلب الكهربائي ونقص في مستويات الماغنسيوم إضافة لوجود تاريخ لأسرتها مع داء السكري. وأضافت: «من المهم جدا أن تعرفوا أن هذا الدواء ولمدة عشر سنوات لم يكن مدرجا على لائحة الوكالة العالمية لمكافحة المنشطات للمواد المحظورة رياضيا وكنت أتناوله بشكل قانوني. لكن في أول يناير تغيرت اللوائح وأصبحت مادة ميلدونيوم محظورة».

ورفضت الوكالة العالمية لمكافحة المنشطات التعليق حتى يصدر الاتحاد الدولي للتنس قرارا نهائيا. وتستخدم مادة ميلدونيوم لعلاج آلام الصدر والنوبات القلبية وحالات أخرى لكن بعض الباحثين ربطها بمساعدة الرياضيين على تحسين الأداء والتحمل. وتضعها وكالة المنشطات ضمن لائحة تضم أيضا الانسولين ويقول بعض الباحثين إنها قد تساعد أيضا على التعافي. وهذه المادة غير مسموحة في الولايات المتحدة لكنها متاحة في روسيا ولاتفيا وبلدان أخرى في تلك المنطقة. وخلال الشهر الماضي تم اكتشاف عينات ايجابية لمادة ميلدونيوم في اختبارات المنشطات لمتسابق الدراجات الروسي ادوارد فورغانوف ومتسابقة التزلج الروسية ايكاترينا بوبروفا ومتسابقتي ألعاب القوى المولودتين في اثيوبيا اندشو نيجيسي وابيبا اريجاوي ومتسابقي الثنائي الاوكرانيين ارتيم تيتشنكو واولجا ابراموفا.

وشارابوفا هي أهم لاعبة تنس تسقط في اختبار للمنشطات خلال السنوات الأخيرة. وأوقف الكرواتي مارين شيليتش لتسعة أشهر في 2013 بعد أن جاءت عينته ايجابية لمادة محفزة للأداء محظورة رغم أن الايقاف تقلص لأربعة أشهر بعد استئناف. واعتزلت مارتينا هينغس المصنفة الأولى عالميا سابقا بعد ايقافها لمدة عامين بسبب الكوكايين عام 2007 رغم أن اللاعبة السويسرية نفت تناول هذا المخدر.

والعام الماضي تم ايقاف لاعب التنس الامريكي وين اودسنيك لمدة 15 عاما بعد سقوطه لثاني مرة في اختبار للمنشطات. وشارابوفا هي أكبر اسم في عالم الرياضة تسقط في اختبار للمنشطات منذ ايقاف اليكس رودريغز لاعب نيويورك يانكيز في دوري البيسبول الامريكي لمدة عام في 2013 بسبب استخدام مواد محفزة للأداء ومتسابق الدراجات الامريكي لانس ارمسترونغ الذي أوقف مدى الحياة عام 2012 بعد تحقيق أجرته الوكالة الامريكية لمكافحة المنشطات. وكانت شارابوفا، وهي واحدة من أكثر الشخصيات شعبية في عالم الرياضة العالمية، من اللاعبات المفضلات دائما لدى الرعاة. ورفضت شركة افون لمستحضرات التجميل التعليق على شراكتها مع اللاعبة الروسية. وقال ستيف سايمون الرئيس التنفيذي لرابطة اللاعبات المحترفات في بيان إنه حزين لسماع هذه الأنباء. وقال: «ماريا قائدة وأعرف أنها سيدة لديها نزاهة. لكن مثلما اعترفت ماريا فإن على كل لاعب أن يعرف ما يدخل جسده. رابطة اللاعبات المحترفات ستدعم القرارات التي يتم التوصل إليها».

وجاءت الأنباء المفاجئة بعد يوم من اعلان الفريق المسؤول عن ادارة شؤون شارابوفا أنها ستقوم «باعلان مهم» وتوقع كثيرون أن تعلن اعتزالها التنس. ولم تلعب شارابوفا، التي عانت من سلسلة من الاصابات في السنوات الأخيرة، في أي بطولة منذ خسارتها أمام سيرينا وليامز في دور الثمانية لاستراليا المفتوحة في يناير/ كانون الثاني. وعرفت شارابوفا بعدم استسلامها وأسلوب لعبها الذي يعتمد على الضربات القوية من الخط الخلفي وأصبحت وعمرها 17 عاما أول روسية تفوز ببطولة ويمبلدون عندما هزمت سيرينا وليامز 6–1 و6–4 في نهائي 2004. وجعلها الانتصار أيضا ثالث أصغر بطلة لويمبلدون خلف لوتي دود ومارتينا هينغس ورابع أصغر لاعبة تفوز باحدى البطولات الكبرى في العصر الحديث بعد هينغس ومونيكا سيليش وتريسي اوستن.

Volume 27 - Issue 8402 Sunday 13 March 2016

من هي؟

ولدت ماريا في 19 أبريل/ نيسان عام 1987، لعائلة متوسطة الحال في مدينة «سيبيريا»، جاءت هرباً من مدينة «غوميل» القريبة من مفاعل تشيرنوبل النووي، ثم انتقلت مع والدها انبي يوري ووالدتها يلينا إلى منتجع سوشي، على البحر الأسود حيث بزغت موهبتها الرياضية.

وتعلقت شارابوفا منذ طفولتها بكرة التنس، فكان يصطحبها والدها معه أثناء ممارسة اللعبة في أحد الأندية، وهناك شاهدها المدرب يوري يولكني الذي اكتشف موهبتها وهي في الرابعة من عمرها، فتولى رعايتها حتى انتقلت مع أبيها عام 1994 إلى ولاية فلوريدا الأمريكية، للالتحاق بـ«أكاديمية بوليتري» المعروفة بأنها مصنع أبطال التنس.

بدأت شارابوفا (28 عاما) والملقبة بـ«الحسناء» مشوارها في عالم احتراف التنس عام 2001. وتمكنت من تحقيق العديد من الألقاب، كما فازت بأول مسابقة لها من بطولات «غراند سلام»، في بطولة ويمبلدون عام 2004، ثم فازت بثمانية ألقاب في بطولات رابطة اللاعبات المحترفات، وبالبطولة الثانية من بطولات غراند سلام، عام 2006، في بطولة أمريكا المفتوحة. لكن انسحاب شارابوفا، من عدة بطولات بسبب إصابة في الكتف عام 2007، أجبرها على الخروج من قائمة الخمسة الأوائل في التصنيف العالمي للاعبات التنس المحترفات.

وعلى الرغم من فوزها بلقب ثالث في بطولات غراند سلام، ببطولة أستراليا المفتوحة عام 2008، وعودتها إلى الترتيب الأول على مستوى العالم، إلا أن إجرائها لعملية جراحية في أكتوبر/ تشرين الأول من نفس الشهر، أبعدها عن الرياضة لمدة عشرة أشهر ما أدى إلى انخفاض ترتيبها. وبعيدا عن بطولات «غراند سلام»، البطولة الكبرى في عالم التنس، فازت بأول ألقابها في طوكيو عام 2003. واستعادت صدارة التصنيف العالمي عبر فوزها ببطولة فرنسا المفتوحة عام 2012، كما حصلت على الميدالية الفضية في مشاركتها الأولى بأولمبياد لندن في 2012، عقب خسارتها في النهائي أمام الأميركية سيرينا وليامز، بشوطين دون رد، بواقع 6– 0 و6–1. ورغم تلك الإنجازات والألقاب التي حققتها، إلا أنها اعترفت بسقوطها في فخ تناول المنشطات، حيث قالت في مؤتمر صحفي الإثنين الماضي: «لقد ارتكبت خطأ كبيرا، لا أريد أن أنهي مسيرتي بهذه الطريقة». وأضافت أنها كانت تتناول أحد الأدوية التي تساعد على سرعة التعافي وتحمي من الاجهاد، وإنها لم تقرأ قائمة المواد المحظورة لعام 2016، التي أرسلتها الوكالة العالمية لمكافحة المنشطات في ديسمبر/ كانون أول الماضي.

أبرز ضحايا المنشطات: مارادونا وأرمسترونغ وتايسون غاي

يوما بعد يوم، تقضي المنشطات على مستقبل العديد من الأسماء البارزة في مختلف الألعاب الرياضية، سواء الفردية أو الجماعية، حيث تفشت تلك الظاهرة بشكل ملحوظ عالميا، حيث كانت أحدث ضحايا السقوط في فخ المنشطات نجمة التنس العالمية الروسية ماريا شارابوفا.

ولم تكن شارابوفا الضحية الوحيدة التي سقطت في فخ المنشطات، فهناك مجموعة من النجوم الذين تم إيقافهم وانتهت مسيرتهم الرياضية بسبب اكتشاف تعاطيهم للمنشطات. ففي التنس، تعرض الكرواتي مارين سيليتش في مايو/ أيار 2013 للحظر لمدة 9 أشهر بعدما أظهر فحص المنشطات نتيجة إيجابية خلال بطولة ميونيخ المفتوحة، قبل أن يتم تخفيض عقوبته إلى 4 أشهر بعد طعن قدمه للمحكمة الرياضية. واعترف لاعب التنس الأميركي أندريه أغاسي عام 1997 بتضليل السلطات الرياضية المختصة حول تعاطيه مادة «ميتامفيتامين» المنشطة التي تسببت بحرمانه من الملاعب. وفي 2007 كانت نتيجة اختبار المنشطات الذي خضعت له السلوفاكية مارتينا هينغز إيجابية، وتم إيقافها لعامين، وعادت إلى مباريات الزوجي في 2013.

وفي كرة الريشة، أثبتت نتائج فحوصات المنشطات التي أجريت على لاعب الريشة العالمي الكوري الجنوبي لي تشونغ وي إيجابية في 2014، وصدر قرار مباشر بإيقافه عن اللعب بسبب تعاطيه مادة «ديكساميساثون».

وفي رياضة الدراجات، كانت المفاجأة بثبوت تعاطي بطل الدراجات العالمي الأمريكي لانس أرمسترونغ الفائز ببطولة فرنسا 7 مرات لمواد منشطة تساعد على تحسين الأداء، وكان اللافت أن أرمسترونغ اعترف في 2013، خلال مقابلة مع المذيعة الأميركية الشهيرة أوبرا وينفري، أنه استخدم تلك المواد المنشطة لمساعدته في الفوز بألقابه السبعة.

وفي ألعاب القوى، تم تجريد العداء الكندي بن جونسون من الميدالية الذهبية لمسافة 100 متر، التي تمكن من قطعها بـ9.79 ثانية في ألعاب سيول الأولمبية عام 1988 بسبب المنشطات. وكذلك الحال للعداء الأمريكي تايسون غاي بطل العالم في سباق 100 متر، فقد سقط أيضا في اختبار المنشطات ليتم إيقافه لعامين قبل أن تتقلص في ما بعد إلى عام بسبب اعترافه وإعادة إحدى الميداليات الفضية التي حصل عليها مع المنتخب الأمريكي.

ومن الأسماء المشهورة النجم الأرجنتيني دييغو مارادونا، أحد أساطير كرة القدم، فقد تم إيقافه عام 1991 لمدة 15 شهرا بسبب ثبوت تعاطيه الكوكايين، قبل أن يعود للملاعب ويكرر الأمر ذاته أثناء لقاء الأرجنتين ونيجيريا في كأس العالم 1994. ويعتبر الإنكليزي ريو فرديناند كابتن مانشستر يونايتد أشهر من تلقوا عقوبة الإيقاف بسبب تهربه من اختبار المنشطات وعدم إجراء التحاليل ليتم إيقافه 8 أشهر وغرامة 50 ألف يورو. وتعرض الإيفواري كولو توريه عندما كان لاعبا في مانشستر سيتى للإيقاف لستة أشهر بسبب سقوطه في اختبار منشطات.

وعلى المستوى العربي، كانت البداية في مصر فتم إيقاف المصارع كرم جابر صاحب ذهبية أولمبياد أثينا 2004 لمدة عامين بسبب تعاطيه المنشطات، وتم حرمانه من المشاركة في أوليمبياد البرازيل التي ستنطلق في منتصف أغسطس/ آب المقبل. كما تم إيقاف نجم الكرة السعودية محمد نور الأسبوع الماضي لمدة 4 أعوام بسبب تعاطيه المنشطات، ومواد محظور تناولها في لائحة المنشطات الدولية. وفي العام الماضي، اعترف الجزائري يوسف بلايلي مهاجم اتحاد العاصمة الجزائري، بتناوله المنشطات ورفض الخضوع للفحوصات الطبية داخل اللجنة التابعة للاتحاد الإفريقي «كاف»، والتى تم على أثرها إيقافه لعامين، بعد أن خضع لفحص المنشطات عقب لقاء فريقه أمام مولودية العلمة الجزائري، ضمن منافسات دوري المجموعات بدوري أبطال أفريقيا.

مارادونا

أرمسترونغ

تايسون غاي

رئيس الاتحاد العربي للسباحة:

البطولات الكبيرة والدعم اللوجستي يدفعان بنجومنا الى المنافسة عالمياً

أبوظبي ـ «القدس العربي»:

أكد العماني طه الكشري رئيس الاتحاد العربي للسباحة أن بطولتي كأس العالم للسباحة الطويلة (ماراثون عشرة كيلومترات) والغطس العالي يمثلان خطوة جديدة على طريق توسيع شهرة وقاعدة الممارسة للرياضات المائية في المنطقة العربية وهو ما يبشر بمزيد من التطور في مستوى الألعاب المائية بالمنطقة.

وأشاد الكشري بالتنظيم الرائع للبطولتين اللتين استضافتهما العاصمة الاماراتية أبوظبي الشهر الماضي، مشيرا إلى أن نجاح أبوظبي في تنظيم البطولتين ليس أمرا غريبا بعد الخبرة الكبيرة التي اكتسبتها أبوظبي في مجال تنظيم البطولات الكبيرة والعالمية على مدار السنوات الماضية، مشيرا إلى أن أبوظبي والإمارات بشكل عام لها السبق في استضافة هذه البطولات الكبيرة بالمنطقة وأن قطر تسير على النهج ذاته حاليا في استضافة البطولات القارية والعالمية والإقليمية بمختلف الرياضات وسيكون منها بطولة العالم في 2023. وأضاف أن استضافة هذه البطولات يسهم بشكل فعال في الارتقاء بمستوى السباحة في منطقة الخليج والعالم العربي بشكل عام لأنه يزيد من شهرة منافسات السباحة ما يسهل توسيع قاعدة الممارسة والاختيار.

وأشاد الكشري بمسؤولي الاتحاد الإماراتي ومجلس أبوظبي الرياضي، وأكد أنه يدعم ترشح شخصيات مثل أيمن سعد المدير التنفيذي للاتحاد لنيل شرف عضوية الاتحاد الدولي، موضحا أن السباحة العربية لها وجود قوي داخل الاتحاد الدولي للسباحة (فينا) وسبق وأن ساهمت في دعم الأوروغواني خوليو ماغليوني لرئاسة الفينا، كما أن لها مسؤولين بارزين مثل أحمد الفلاسي رئيس الاتحاد الإماراتي عضو الاتحاد الدولي حاليا والكويتي حسين المسلم نائبا لرئيس الفينا والذي يتمنى الاتحاد العربي أن يصبح رئيسا للفينا في الانتخابات المقبلة.

وأكد الكشري رئيس الاتحاد العماني للسباحة أمين عام اللجنة الأولمبية العمانية، أن السباحة العربية عانت في الماضي رغم وجود الجزائري مصطفى العرفاوي رئيسا للفينا لسنوات طويلة، لكن الاتحاد العربي والاتحادات العربية الأعضاء فيه أكدت مدى ثقلها وساهت في فوز الأوروغواني خوليو ماغليوني برئاسة الفينا. وعن الطفرة التي شهدتها السباحة العربية في الآونة الأخيرة، أكد الكشري أن الطفرة التي حدثت في مجال استضافة وتنظيم البطولات صاحبها طفرة في المستوى بفضل المجهودات التي تبذل من الاتحاد العربي والاتحادات الأعضاء فيه ويبلغ عددها 23 اتحادا.

وعن إمكانية الارتقاء بمستوى السباحين في منطقة الخليج والمنطقة العربي إلى الحد الذي يسمح لهم بالمنافسة قاريا وعالميا، أشار الكشري إلى وجود سباحين خليجيين ينافسون على المستويين العربي والآسيوي بالفعل، كما أن سباحا مثل التونسي أسامة الملولي وصل للمستوى العالمي والأولمبي بشكل رائع في السنوات الماضية وفاز بأكثر من ميدالية عالمية وأولمبية. وسبق للملولي التتويج بذهبية 1500 متر ضمن منافسات أولمبياد بكين 2008 وبطولة العالم 2009 في روما كما فاز بذهبية عشرة كيلومترات في السباحة الطويلة بأولمبياد لندن 2012 وبرونزية 1500 متر في الدورة الأولمبية ذاتها. كما أشار الكشري إلى وجود سباحين متميزين لديهم مستقبل رائع مثل المصري أحمد أكرم ومواطنته فريدة عثمان إضافة لخامات مبشرة في منطقتي الخليج والشمال الأفريقي بخلاف ظهور بعض المواهب في باقي الدول العربية.

وأوضح الكشري أن الألعاب الفردية عانت في الماضي من عدم وجود الدعم الكافي من الحكومات واللجان الأولمبية الوطنية، لكنه ومسؤولي الاتحاد العربي نجحوا في إقناع المسؤولين باللجان الأولمبية والحكومات العربية بضرورة دعم هذه الألعاب، خاصة السباحة بشكل تدريجي وهو ما يحدث حاليا من خلال اتجاه المسؤولين في معظم الدول العربية لبناء أحواض للسباحة توسع قاعدة الممارسة في إشارة لمدى أهمية الدعم اللوجيستي. وأشار الكشري أنه على سبيل المثال يوجد الآن 7 مجمعات للألعاب المائية موزعة على المحافظات في السلطنة كما دأبت الإمارات وقطر والبحرين على بناء أحواض سباحة مختلفة الأحجام في السنوات الأخيرة.

وأشاد الكشري بشكل خاص بمجمع حمدان للألعاب المائية في الإمارات والذي يمثل تحفة حقيقية في عالم السباحة، حيث شيد على أحدث الطرز المعمارية والفنية والرياضية.

وأضاف أن الدول العربية لديها خامات مؤهلة للتألق قاريا وعالميا خاصة وأن معظم الدول العربية تطل على شواطئ مترامية، ما يسهل ممارسة رياضة السباحة وخاصة سباحة المياه المفتوحة. واعترف الكشري بأن البطولات العربية للسباحة تنظم على استحياء لعدم اكتمال عدد المشاركين فيها أكثر من مرة كما كانت بعض الدول تفضل المشاركة في البطولات القارية على نظيرتها العربية بخلاف ما أحدثته الأمور السياسية في المنطقة العربية خلال السنوات الأخيرة من مشاكل تعرقل البطولات العربية. وأشار إلى أنه رغم هذه العراقيل فإن الاتحاد العربي يبذل كل الجهد لإقامة البطولات العربية في السنوات المقبلة بانتظام ومنها بطولة كرة الماء المقبلة في الجزائر وبطولة السباحة التي تستضيفها دبي الشهر المقبل.

وعما إذا كان تخصيص جوائز مالية كبيرة للفائزين بالمراكز الأولى من الممكن أن يسهم في زيادة الإقبال على المشاركة بالبطولات العربية وانتظام إقامتها، قال الكشري إنه ضد هذا المبدأ لأن الحرص على المشاركة والتألق في هذه البطولات يجب أن يكون نابعا من الرغبة لدى الاتحادات والسباحين أنفسهم في التألق والارتقاء بمستواهم دون النظر لمقابل مالي. وأشار إلى أن الاتحاد العربي يعمل على إيجاد حافز آخر وهو حافز معنوي يتركز في زيادة فرص التأهل من البطولات العربية لنظيرتها القارية والعالمية.

وأشار الكشري إلى أن الاتحاد العربي وضع لائحة النظام العام واللائحة الفنية في كانون الأول/ ديسمبر الماضي كما جرى تشكيل لجنة للمرأة وأن الاتحاد يعكف الآن على توطيد العلاقة مع الاتحادات الوطنية المختلفة الأعضاء فيه. وأكد الكشري أن اجتماع المكتب التنفيذي للاتحاد على هامش البطولة العربية للسباحة في نيسان/ أبريل المقبل سيشهد طرح العديد من الأفكار للارتقاء بمستوى السباحة العربية حيث يطمح الاتحاد للارتقاء بالسباحين العرب إلى المصاف الدولي.

Volume 27 - Issue 8402 Sunday 13 March 2016

طمعا في استضافة البطولات الكبرى

تنافس خليجي على تشييد ملاعب ضخمة!

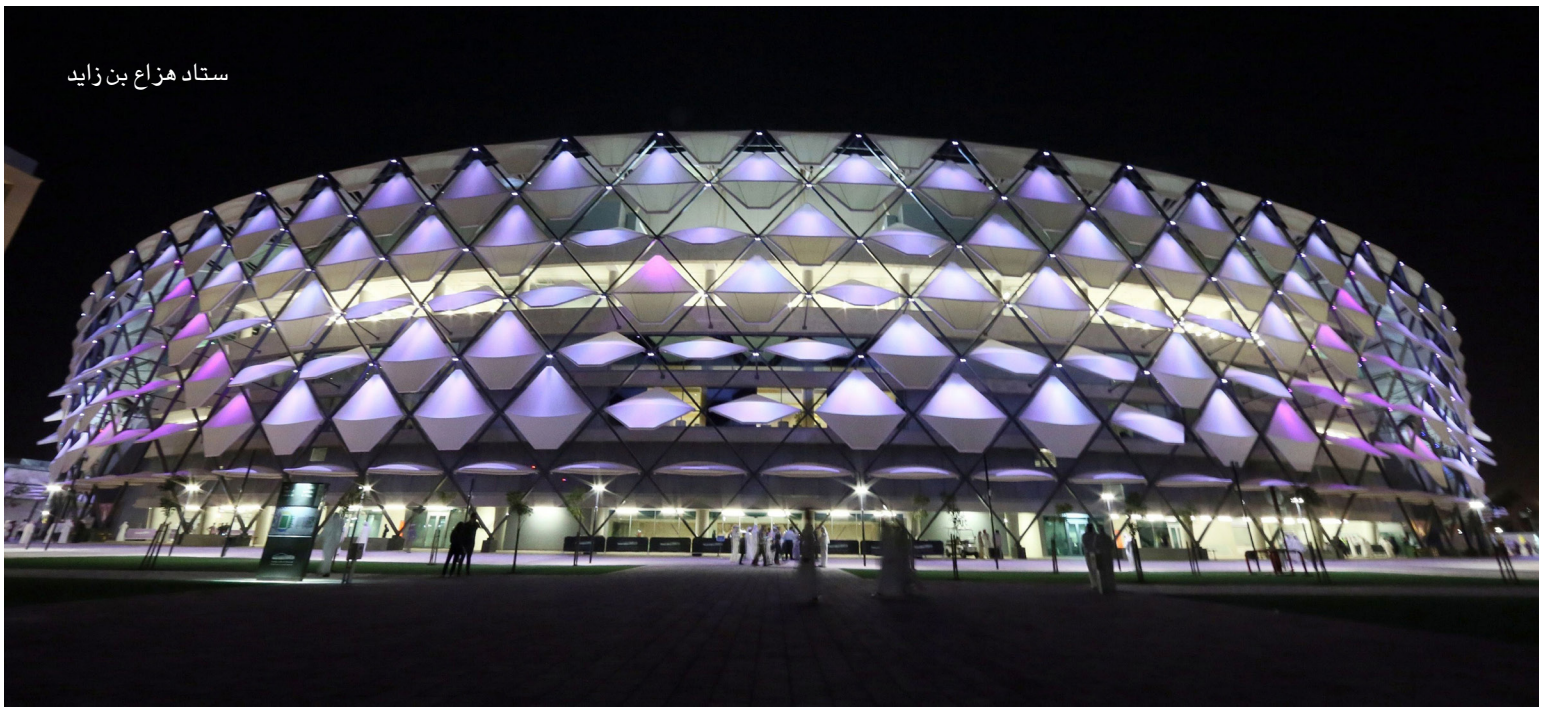
ستاد هزاع بن زايد

ستاد الريان

دبي ـ «القدس العربي»:

تشهد دول الخليج منافسة قوية في مجال تشييد ملاعب كرة القدم ذات المواصفات العالمية سعيا وراء تنظيم بطولات رياضية دولية كبرى.

وكشف مجلس دبي الرياضي عن عزمه تنفيذ استاد ضخم في دبي، يحمل اسم «ستاد محمد بن راشد». وقال مطر الطاير نائب رئيس مجلس دبي الرياضي: يجري العمل على وضع مخططات المشروع الجديد، وإعداد التصاميم وعقود العمل من أجل انجاز الإستاد الجديد «ليكون صرحا رياضيا يجمع بين روعة التصميم والمساحة واستخدام أحدث التقنيات في التنفيذ». واقامت إدارة نادي الوصل في دبي احتفالية الاسبوع الماضي، بمناسبة وداع ستاد زعبيل الخاص بالنادي، وبدء الاعمال الإنشائية في الملعب الجديد.

وكان الشيخ حمدان بن محمد بن راشد ولي عهد دبي رئيس مجلس دبي الرياضي، قرر توسعة ستاد نادي الوصل ونادي الشباب لمواكبة استضافة الإمارات لبطولة كأس آسيا 2019. وقال مجلس دبي الرياضي أن ستاد الوصل الجديد سيتسع لـ25 ألف شخص، وتستغرق مدة التنفيذ 18 شهراً.

وفي الدوحة، شرعت اللجنة العليا للمشاريع والإرث في تنفيذ ستاد الريان استعدادا لاستضافة مونديال 2022. ويتسع الاستاد الجديد لـ40 الف شخص، واستمدت الشركة المنفذة للمشروع تصاميمه من البيئة الصحراوية للخليج. وقال معتز الخياط رئيس مجلس إدارة اورباكون للتجارة والمقاولات في قطر ان دول الخليج، تنفذ ملاعب رياضية، وفق المعايير العالمية، بما يتيح لها استضافة البطولات الدولية الكبرى. وأضاف: «من تلك المشروعات ستاد عبدالله بن خليفة بنادي لخويا القطري الذي تم تطويره وبنائه وفقا للمعايير الهندسية المتطورة في العالم». وتابع: الملعب يتسع لأكثر من 9 آلاف شخص، ويضم غرفا مزودة بأحدث الاجهزة الطبية لتقديم خدمات طبية فورية للاعبين المصابين، 25 بوابة دخول وخروج، ومقاعد مخصصة لذوي الاحتياجات الخاصة، وكذلك خدمة الانترنت المتاحة في الملعب، مع الأخذ بعين الاعتبار النواحي البيئية من حيث استهلاك الطاقة. وأكد الخياط إن بناء الملعب جرى وفقاً لمعايير الاتحاد الدولي لكرة القدم (الفيفا) واللجنة الأولمبية الدولية، وهو ملعب مجهز لاستضافة كل الأحداث الرياضية في كرة القدم على مستوى دولي ومحلي.

وفي البحرين، تم إنجاز ستاد المحرق البحريني بعد 18 شهرا من بدء الاعمال الانشائية في المشروع. ويضم الاستاد منصة لكبار الشخصيات وغرف للحكام ومراقب المباراة ومقصورة لكبار الشخصيات وصالة ألعاب بدنية ومركز أعلامي ومركز مؤتمرات ومكاتب إدارية وعيادة طبية ومركز للكشف عن المنشطات. وتم تجهيز ستاد المحرق بما يتناسب مع متطلبات الفيفا ليكون مناسباً لاحتضان المسابقات الآسيوية، حيث تنحصر استضافة المباريات الآسيوية والدولية على الاستاد الوطني وستاد خليفة. وأكد الناقد الرياضي أحمد عزالدين: «تتسارع في دول الخليج وتيرة تنفيذ الملاعب الجديدة، بمواصفات تطابق معايير الفيفا، ما يعزز موقفها في استضافة بطولات دولية وقارية كبرى». وأضاف: «لفت ستاد هزاع بن زايد في مدينة العين الإماراتية الانظار الى ملاعب الخليج، بعد فوزه بلقب (أفضل ملعب في العالم لعام 2014)، وفقاً لتصويت واختيارات لجنة خبراء من مؤسسة (ستاديوم دي بي) العالمية، وتكلف الاستاد 145 مليون درهم إماراتي وتم تنفيذه على مدار 17 شهرا». وتابع: «بعد نجاح تجربة الإمارات في تشييد ستاد هزاع، سارعت دول عدة لتنفيذ مشروعات مشابهة، ولم تبخل في تخصيص موازنات ضخمة لتنفيذ ملاعب تنافس على المستوى الدولي».

خلدون الشيخ

البريميرليغ سيشتعل بمدربين ناريين!

يحن كثيرون من عشاق الدوري الانكليزي الى فترة ما قبل عشر سنوات، عندما كان يطلق مصطلح «البيغ فور» او «الاربعة الكبار» على فرق شرسة محلياً وأوروبياً، يقودها مخضرمون بعقليات نارية، بدءاً من مانشستر يونايتد (فيرغسون) وتشلسي (مورينيو) وأرسنال (فينغر) وليفربول (بنيتيز)، فكانت المنافسة في أوج شراستها، امتدت الى دوري أبطال اوروبا.

هذه الأيام الشيقة ولت، لكن هناك مؤشرات الى ان الموسم المقبل سيكون أكثر شراسة من أي وقت مضى، بقدوم مجموعة من المدربين المحنكين والناريين بشخصياتهم الصدامية والرافضة للهزائم، حيث أكد مانشستر سيتي أنه عين الاسباني جوسيب غواردیولا مدرباً بدءاً من الموسم المقبل ليحل مكان «الحنون» مانويل بيلغريني، في حين ان الجار مانشستر يونايتد لم يفكر في اقالة مدربه الهولندي لويس فان خال في الوقت الحالي، لان الاتفاق «الشفهي» مع البرتغالي جوزيه مورينيو ينص على استلام المهمة في مطلع الموسم، حيث أعلن «السبيشال وان» قبل أيام أنه سيبدأ وظيفته الجديدة في يوليو/ تموز المقبل، لتعاد مشاهد الصدامات والتحديات بين ريال مدريد وبرشلونة بين 2010 و2012، لكن هذه المرة مضاعفة كونها في مدينة واحدة، مانشستر.

وطبعاً لم يقف تشلسي مكتوف الأيدي، لأنه على وشك الاعلان عن تعيين مدرب منتخب ايطاليا أنتونيو كونتي، المعروف بتفاعله العاطفي الى درجة التوتر مع عروض فريقه، والذي لا يجد مضاضة في التعبير عن خيبة الخسارة بانكسار واضح، وهو من العقليات المشابهة جداً لغواردیولا ومورينيو الرافضة للهزيمة، وطبعاً ينضم اليهم مدرب ليفربول الحالي يورغن كلوب، الذي من الآن يعد بموسم مختلف الموسم المقبل، عندما يتخلص من الخائبين ويجلب اللاعبين الذين يختارهم.

ومع عودة بنيتيز، بعد اعلان نيوكاسل تعيينه بدلاً من مكلارين، فان البعض قد لا يراه منافساً مع الكبار، رغم انه اذا هيأت ادارة نيوكاسل كل ما يحتاجه بنيتيز فانه سيجعل من نيوكاسل قوة لا يستهان بها، خصوصاً انه ناد كبير يتمتع بقاعدة شعبية رهيبة في أقصى شمال البلاد، وعقلية بنيتيز أيضاً لا حاجة الى شرحها. بالاضافة الى مدربين ناريين يسعيان الى تفجير المفاجآت، أولهم بيليتش مع وستهام، والثاني باردو مع كريستال بالاس، ونحن حتى لم نذكر رانييري مع ليستر.

لكن الذي تعمدت عدم ذكره هو آرسين فينغر، لان جماهير أرسنال تعودت بعد 20 سنة من ادارته، حيث ستكون بداية واعدة قبل ان تنهش الاصابات الفريق فيحتل المركز الثاني في مجموعته في دوري الابطال، فيعودون في السنة الجديدة أقوياء وربما يتصدرون ثم ينهارون ويحتلون المركز الرابع.

@khaldounElcheik

أســـرة

بريطانيات من الرفاهية إلى دعم تعليم أطفال كينيا

الدوحة ـ «القدس العربي»: سليمان حاج إبراهيم

رحلة للاستجمام والاسترخاء في ربوع أفريقيا في إطار زيارة سياحية لمحمية ماساي مارا الكينية لمدرسات بريطانيات يقمن في العاصمة القطرية ويعملن في إحدى مدارسها الدولية، تغير مجرى حياتهن وتحول مسارها بشكل جذري ويعدن من هناك وهن يحملن على عاتقهن مخطط مشروع خيري ونذر أعلنّه من هناك للنهوض بالتعليم في هذه المنطقة النائية التي لا يزال سكانها يعيشون بشكل بدائي ولا تتوفر مدارسها على أدنى الشروط لاستقبال أطفال كثر يقبلون بنهم على التعلم.

كريستي واب وإيما ولاس وريبيكا فوربس وأمي هورغان أربع فتيات ينحدرن من عدة مدن بريطانية حيث عشن وقضين سنين عمرهن، وجدن أنفسهن في لحظة زمانية فارقة يتلبسن مهمة مستحيلة وصعبة للقيام بدور يرين أنه محوري وأساسي للتخفيف من وطأة أزمة أطفال شعروا بحالهم ورأفت قلوبهن لوضعيتهم المستعصية.

تقول كريستي التي تعمل في مدرسة «بيرلينغ» الدولية في الدوحة أنها منذ أن زارت هي وزميلاتها منطقة ماساي مارا في كينيا، وتنعمن بالأجواء الساحرة في المحمية التي توفر لسياح أجانب جلهم من المرفهين كل سبل الراحة والطمأنينة، قررن أن يفتشن عما خلف هذا المشهد السيريالي المثير للمنطقة التي تقدم لمن يأتي إليها صورة ناصعة بهية تسحر الألباب. بعد تجاوز عتبات أسوار وحواجز المنتجعات السياحية الفخمة وقفت الشابات على حجم وهول المعاناة التي يشعر بها السكان الأصليون بعيدا عن الصورة النمطية للمحمية التي تضم إلى جانب البشر مجموعات من قطيع الحيوانات البرية التي تعيش في دعة وسلام. بحثت الفتيات عن المرافق التعليمية المتاحة في الجوار ومن خلال تواصلهن مع دليل محلي ملم بجغرافيا المكان فتح أعينهن على الحقيقة التي كانت خافية على الجميع ووقفن على حجم المعاناة ومستوى التخلف الذي تعاني منه المدارس إن صح تسميتها بذلك على حد قولها.

صفوف دراسية تحت ظلال الأشجار

في المدرسة البدائية التي تقع حول نهر مارا عند سفوح تلال آيتونغ التي تحد محمية ماساي وطئت أقدام الفتيات تلك الساحة التي استفزت مشاعرهن لتغير من تصورهن بشكل كامل عن المنطقة التي قضوا فيها أياما جميلة وممتعة. وجدت الزائرات مدرسة مغمورة فيها حوالي 350 تلميذا وليست فيها أي مرافق يمكن أن يوصف بها المكان بمؤسسة تعليمية. كُثر هم الأطفال الذين تحلقوا حول شجرة ضخمة تظللهم من أشعة الشمس الحارة وكانوا يتابعون درسهم مع أحد المتطوعين وآخرون كانوا أفضل حالا منهم وأتيحت لهم فرصة المكوث وسط جدران أكواخ عتيقة ومباني قديمة شيدت بالطوب وغطت بجذوع الشجر. المعلمون على قلتهم لم تكن لديهم أساسيات وضروريات مهنتهم ولا يمتلكون من الموارد إلا القليل وهي غير كافية لاستيعاب جميع الطلاب. تردي الوضع في المدرسة وعدم قدرة مسؤوليها وأهالي المنطقة على توفير حاجيات أطفالهم حمّل البريطانيات الأربع مسؤولية اعتبرنها حيوية واتخذن قرارا بضرورة العمل بجد لأجل تقديم أشكال المساعدة الممكنة لهؤلاء وعدم الاكتفاء بالرثاء لحالهم ونسيان المسألة بمجرد ما يغادرن مطار نيروبي والعودة إلى بيوتهن.

تضامن بلا حدود

بمجرد ما عادت كريستي رفقة صديقاتها إلى الدوحة قررن العمل وفق خطة زمانية للتكفل بالأمر وعرضن المسألة على إدارة المدرسة التي يعملن فيها للتباحث سوية عما يمكن القيام به. مدير المدرسة الستر والمشرف العام عمر باركا المبادرة وعرضا المساعدة وفق الضوابط المحددة وتبرعا بكل الوسائل الفائضة عن الحاجة لأجل أطفال قرية ماسي لاستخدامها هناك وتوجيهها نحو مستحقيها.

لم تتصور المتطوعات الاستجابة السريعة والمذهلة للجميع للمشاركة في هذا المشروع والمساهمة كل بقدر إمكاناته في دعم المدرسة وتوفير الاحتياجات للسكان المحليين في مبادرة أردن أن تكون نموذجا لمشاريع أخرى. مدرسة «بيرلينغ» الدولية في الدوحة ومن خلال إدارتها ومدرساتها صاحبات المشروع والطلاب وأهلهم قاموا بجمع مبلغ معتبر من المال يساهم في بناء فصول وقاعات في مدرسة مارا وتجهيزها لتضم في فصولها الطلاب وتقيهم حر الشمس وبرد الشتاء.

مسار الميل يبدأ بخطوة

تكشف كريستي التي قابلتها «القدس العربي» في مقر عملها أنها وزميلاتها انتظرن بشغف الإجازة المقبلة منذ عدن من كينيا للتحضير لرحلتهن الثانية وهن يحملن في جعبتهن الكثير سواء كان الأمر من المساعدات العينية أو المبالغ المالية التي جمعنها لتوفير الاحتياجات الأساسية والمساهمة في دفع تكاليف عدة. ظلت المشرفات على المشروع التعليمي الرائد في تواصل مع مسؤولي مدرسة مارا ووعدوهم خيرا قريبا والكثير من المفاجآت مع الزيارة المقبلة.

غادرت البريطانيات الأربع الدوحة مع انتهاء دوامهن في المدرسة وتوجهن مباشرة نحو المطار لاستغلال الإجازة في تنفيذ المشروع وتحقيق حلم البراءة. لم يحملن في حقائب سفرهن مثل سائر المسافرات الكثير من الملابس والأغراض بل تكدست فيها المستلزمات التعليمية والأقلام والأوراق البيضاء والملونة والكتب وكافة مستلزمات القرطاسية.

استقبال حافل حظيت به البريطانيات حالما وصلن القرية النائية الوادعة الهانئة وفرحة الأطفال كانت عارمة وهم يتلمسون بأيديهم ما وزع عليهم من مقتنيات بعضها يرونها لأول مرة في حياتهم ويكتشفون الكثير من الأغراض التي لم يسبق لهم أن استخدموها أو مرت عليهم. اصطف مدير مدرسة مارا رينتا جنبا إلى جنب مع المعلمين والطلاب إضافة للممثلين عن قرية الماساي بلباسهم المميز وأشكالهم المعروفة وكانوا في غاية الامتنان لما قدم لهم والسعادة تغمرهم للفتة الطيبة التي قامت بها مجموعة الفتيات ومسؤولو مدرسة «بيرلينغ».

على وقع الأهازيج والرقصات الشعبية والفلكلور الذي يميز سكان المنطقة وزعت الأغراض التي جيء بها من الدوحة أو حتى التي تم اقتناؤها من بريطانيا في مشهد لافت لاقى الاستحسان. من السهل جدا أن تزرع ابتسامة واسعة في وجه طفل في هذه المنطقة القصية وتدخل السعادة إلى قلبه بأدنى قدر من الإمكانات وبأشياء بسيطة جدا قد لا تعتبر ذات معنى في أماكن عدة، تلخص المعلمة البريطانية شعورها وهي تستقبل فرحة أطفال الماساي لحظة عادت إليهم محملة بالنزر اليسير من المساعدات والتي تظل أقل من المستوى المطلوب توفيره بشكل عاجل وملح. وتشدد البريطانيات في أحاديثهن على ضرورة التفات المجتمع الدولي والمنظمات الإنسانية والأفراد للأطفال في الجنوب وتحديدا في هذه المناطق المعدمة للتكفل بحاجاتهم الأساسية والعمل جميعا للتخفيف من حجم معاناتهم في ظل ظروفهم الصعبة والمأساوية.

تقول كريستي أنه بعد حفل الاستقبال كانت لهن جلسات عمل مع المسؤولين في المدرسة لتقييم الاحتياجات والتأكد من نيل الجميع لقسطهم من المساعدة وتدارسوا خططا مستقبلية لما يمكن القيام به وتوسيع حجم الدعم والبحث عن آليات لتمويل مشاريع موسعة تشمل أكبر قدر ممكن من الطلاب وفي مناطق عدة تعاني الحرمان.

تتحدث البريطانيات بفخر عن تجربتهن الأولى في هذا المجال وشعورهن وهن يرين تلك الفرحة تزرع أملا مبهجا في غد أفضل خصوصا وهن يتابعن الأطفال ودراستهم وغبطتهم بما وهبوا. موظفو المدرسة عبروا بطريقتهم عن شكرهم لما قامت به المدرسات ووعدوا بتعزيز هذه الإمكانات ببذل المزيد من الجهود لتؤدي الدور المنوط بها وتحقق المبتغى منها مع توفرهم الآن على كافة الاحتياجات الضرورية لتقديم أفضل ما لديهم مع ما قدم لهم من إمكانيات ومواد تكفيهم لمدة سنة كاملة.

كمبيوتر حديث وسط أدغال إفريقيا

تتحدث كريستي عن تجربتها السابقة بكل فخر وهي تسترجع تفاصيل رحلتها الأخيرة بمواقفها وذكرياتها حيث علقت في ذهنها صورة أحد الأطفال وهو يلامس بأنامله لأول مرة في حياته جهاز كمبيوتر محمول كان هدية من طالب من مدرسة «بيرلينغ» الدولية تبرع به لأجل هؤلاء المعدمين، وكان في قمة السعادة لتعلم طريقة استخدامه والاستفادة منه مستقبلا في إطلاق مشروع في هذا المجال. تؤكد البريطانيات وهن يسردن لـ«القدس العربي» تجربتهن في هذه المنطقة وخططهن لتوسيع دائرة المشروع والترويج له وحشد الدعم له من قبل فاعلين دوليين بالتنسيق والتواصل مع منظمات تعنى بالطفولة وتنجز الكثير من المشاريع الطموحة في هذه المناطق القصية للنهوض بالتعليم هناك الذي يؤمن أنه اللبنة الأساسية لأي نهضة تنقل سكان الجنوب إلى الضفة الأخرى. وتؤكد المعلمات أنه بالرغم من أن القانون في كينيا لا يلزم أولياء الأمور بإرسال أطفالهم إلى المدارس، ولكن كثيرًا من الكينيين يؤمنون بأهمية التعليم بوصفه وسيلة لتحقيق حياة أفضل لأطفالهم. ويجد نحو 80% من الأطفال الفرصة لإكمال تعليمهم الأولي على الأقل وإن كان ذلك في مؤسسات تفتقد لأدنى الشروط وخالية من الوسائل التعليمية التي تيسر العملية التعليمية.

مشاريع طموحة وسط ظلام دامس

ومنذ الاستقلال استطاعت الحكومة تحقيق زيادة كبيرة في عدد المدارس، استجابة للطلب المتزايد من قبل المواطنين على فرص التعليم لأطفالهم. وبالإضافة إلى المدارس التي تديرها الحكومة في معظم أنحاء البلاد، أنشأت مجموعات من المواطنين والمتطوعين المحليين والأجانب مدارس خاصة في أماكن كثيرة. وتسمى هذه المدارس مدارس العون الذاتي أو مدارس «هارامبي». وتعني باللغة السواحيلية التضامن. والتعليم الأولي مجاني في كينيا في المدارس الحكومية، ولكن على التلاميذ في المدارس الثانوية دفع رسوم.

علم طفلا

تركنا المدرسات البريطانيات بعد نفاد استراحتهن في المدرسة وكن منشغلات بمناقشة خططهن لتوسيع نشاطهن ليشمل مناطق أوسع في أفريقيا ويستعددن لمعارك أوسع لمحاربة الجهل بدعم من المجتمع المحلي الذي أدرك أهمية التعليم في حياة أبنائهم. وتعتبر مثل هذه القصص لأشخاص قدموا من الشمال وشقوا طريقهم نحو الجنوب وضحوا بما يملكون من وقت وراحة لإسعاد آخرين من النماذج المشرقة التي بدأ صداها ينتشر في عدة مناطق ويتوسع مع وجود منظمات دولية على غرار مشروع «علم طفلا» الذي ترعاه الشيخة موزا بنت ناصر رئيسة مجلس إدارة مؤسسة قطر للتربية والعلوم التي شرعت في تنفيذ العديد من البرامج التعليمية في الدول الفقيرة والمعدمة.

القدرة الفلسطينية باللحمة

طبق الأسبوع

المقادير

1 كيلوغرام لحم غنم بالعظم
4 بصل
1 كوب حمص، منقوع ومسلوق
3 كوب أرز بسمتي
10 فص ثوم
4 هيل
1 ملعقة كبيرة بهارات مشكلة
2 ملعقة صغيرة عصفر، كركم
1 ملعقة كبيرة كمون
لوز وصنوبر مقلي للزينة
ربع كوب سمن، أو زيت

طريقة التحضير

نضع اللحمة في قدر وعليها ماء مغلي على نار قوية، بعد الغليان نتخلص من الزفرة ثم نقطع بصلة ونضيف الملح، والبهار والهيل، نترك الخليط لمدة ساعة ونصف مغطى على نار وسط.

ننقع الارز بماء دافئ.

بعد استواء اللحم، نقطع باقي البصل شرحات ونقشر الثوم.

نقلي البصل مع السمنة في قدر، حتى يذبل ثم نضيف الثوم ونقلب حتى يتغير لونه قليلاً، نضع الحمص المسلوق ونحرك الخليط ثم نضيف الكمون والعصفر ويقلب لمدة 2 دقيقة.

نصفي 4 أكواب ونصف مرق ويضاف على القدر.

بعد غليان المرق، نضيف الارز ونتركه على نار خفيفة لمدة نصف ساعة مع تقليبه مرة واحدة.

نسكب الارز وعليه اللحم والمكسرات ثم نقدمه ساخنا.

انقي

(1) اسم علم مؤنث - حروف هجائية - للنداء (2) ممثلة لبنانية مولودة سنة 1925 (3) معكوس (4) ضمير منفصل (معكوسة) - اشتداد الحر (5) أساس (معكوسة) - شتم (معكوسة) (6) من الفواكه الحمضية - من الفواكه الحمضية (7) يغطي - طلب (8) من الحيوانات المفترسة - دار حول نفسه - جميع - من الحيوانات الأليفة (9) ملابس (معكوسة) - جمع إناء (10) حروف هجائية - حارة (11) حرف نصب - ألح - لزق الشيء - إجابة (12) جمع مرجل - تدريب - نبات متسلق (13) نقاوة وعفة - بيت الطيور - عمرها - جنون (14) والد - نظم الكلام - يدور - للنداء (15) أغراض - امكانيات - طهر (16) والدة - أقام في المكان - صالة - يمتنع - عكس ميت (17) من الفواكه - أصبح بدينا - جفاف - جسم.

كلمات متقاطعة

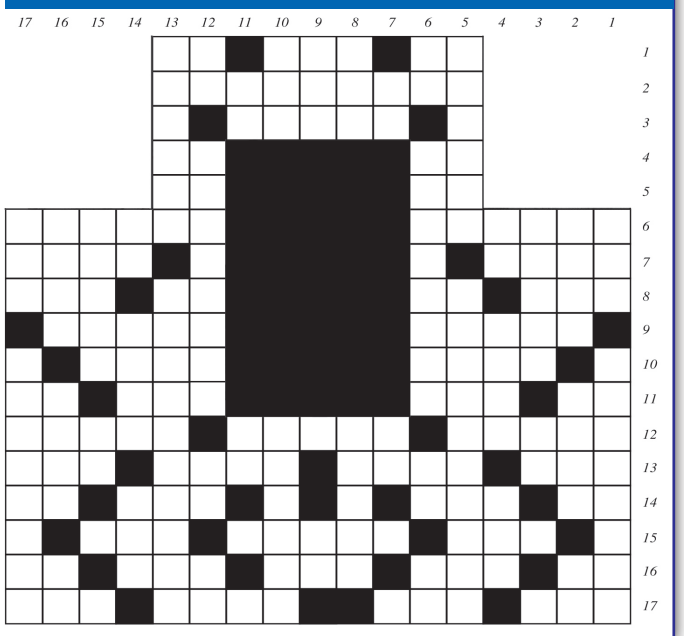

عمودي:

(1) واضح - أماكن الطيران (2) الواحدة من الرسم - نخاف ونرتعب - حرف مكرر (3) تتأنى - مقياس أرضي (4) برد - غبار - وجع (5) مقلوبا - إذا صار العكس (6) للنداء - ممثلة مصرية - دار حول نفسه - حرف عطف (7) بحر - حرفان من تعال (8) نزاهة في القول - مغرم بالشيء (9) زرع - للتأوه (10) خطأ غير متعمد - يُرغب ويحبب (11) أصل وقلب الشيء - حرف مكرر (12) للنداء - ممثلة مصرية كوميدية - ضمير منفصل - للنداء (13) المضاد - إذا صار غير المطلوب (14) داخل البيضة (معكوسة) - أعطي لقباً - حرف مكرر (15) ضعيفة وغير قوية - خاصته (16) نركض - ساحر - حافة (17) حرف مكرر - الحقول.

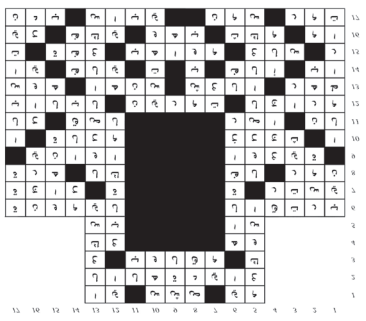

سودوكو

سودوكو لعبة يابانية يقوم اللاعب فيها بملء المربعات الفارغة بحيث ان كل عمود او سطر يجب ان يكتمل بأرقام من 1 الى 9 شرط استخدام كل رقم مرة واحدة في كل خط افقي وعمودي وكل مربع من المربعات التسعة.

	7		1		8			
	8			9				2
3	1				2			8
		9	2	7				
			5		6			
				8	4	2		
6			8				5	1
7				2			3	
			6		7		2	

الحمل

لا تصحح الخطأ بخطأ أكبر منه وأشد ضرراً، فالمعالجة الهادئة هي الأنسب. لا تدع الشريك يفاجئك بقرار حاسم، بل سارع إلى الاطلاع على كامل التفاصيل.

الثور

تنعم بيوم جيّد من المزاج الرائع يزيدك اناقة وجاذبية، الحظ في طريقه إليك ويزوّدك قدرات معنوية وثقة بالنفس فتتحرك مشاعرك.

الجوزاء

تعاني من ابتعاد الزملاء ربّما لأسباب قسريّة لا علاقة لك بها، مواقف غير مبرّرة من الشريك، بسبب ردات الفعل التي ظهرت أخيراً منك

السرطان

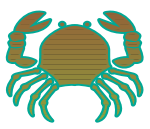

فترة جيدة تملأها الثقة والآمال والحيويّة والنشاط، لا تعامل الحبيب باستخفاف بعض الأحيان وبعدائية أحياناً، إشارات سلبية حول شعورك تجاهه.

الاسد

الحذر مطلوب أكثر من أي وقت مضى، فهناك تبدلات حاسمة، ترغب في فتح صفحة جديدة مع الشريك، لكن الموضوع يحتاج إلى المزيد من الوقت.

العذراء

نوع من الضغط عليك يجعلك تستعد للدفاع عن نفسك بشأن مشروع، اطمئن فالحبيب يحبك، لكن خصّص له وقتاً فهو يستحّق هذا الوقت.

الميزان

استمع إلى نصائح الآخرين، فهم أكثر خبرة منك في كيفية إدارة الأمور، أنت سيد الموقف في العلاقة بالشريك، وهذا جيّد قياساً بما كانت تمر به علاقتكما.

العقرب

زيارات عمل تؤسس لمرحلة جديدة، وتكون حافزاً لتحقق خطواتك المستقبلية، التدخلات تؤدي إلى إشكال وخلاف قوي مع الشريك.

القوس

تكون أكثر ايجابية من السابق وتكون الظروف مناسبة جدا، تحقق زواجا ثريا او تعرف ربحاً عبر بعض الارتباطات المفيدة جدا.

الجدي

قد ينشب خلاف حول بعض القناعات والاعتبارات، وتتعرّض جهودك ومحاولاتك للعرقلة، الغيرة من الأسباب السلبية في العلاقة بالشريك.

الدلو

فرصة جديدة لإيجاد الحلول وفتح ابواباً جديدة، لن ينقصك الاهتمام ولا الرعاية، تعاني حالات الغيرة والتملّك بسبب الاهتمام الشديد بأمر الحبيب.

الحوت

بعض الأمور التقنية تعيق تقدمك، لكنك قادر على تخطي المصاعب، كثرة التأجيل في بتّ الأمور المصيرية تهدد علاقتك، وتدفع إلى مزيد من التأزم

منوعات

«نحيفة» تستحضر أزمات النساء مع أجسادهن غير المنحوتة بمواصفات عالية

ليليان نمري تستقل في مونودراما تعجّ بالرسائل وتقول: تبدأ النحافة من الفكر

بيروت ـ «القدس العربي»: زهرة مرعي

استغرق حلم الممثلة ليليان نمري عمراً حتى صار حقيقة. وهكذا وقفت على المسرح وحيدة، ممثلة، كاتبة، مخرجة ومنتجة. فقط تلقت دعماً محدوداً من وزارة الثقافة. بعد سنتين من الإعداد والاستعداد دقت ساعة الصفر في يوم الثامن من آذار/مارس وكانت مسرحية «نحيفة» التي شكلت تحية للمرأة على مستويات عدة. النص نقل إلى الجمهور العريض هواجس النساء والعقبات المهنية والاجتماعية التي تعترضهن في الحياة. وبعضها له صفة الإشكالية العامة وليس مقتصراً على من ليس لها صفة النحافة. في خلال ساعة من الزمن صاغت نمري كلّ ما يمكن تصنيفه همّاً نسائياً في قالب درامي كوميدي وسياسي كذلك. كما وأطلقت جملة من الرسائل من خلال الشخصية، ما يحبطها وما يخنق قدراتها. مونودراما لها قالب اخباري للشخصية الوهمية «أولغا» التي قصدتها لتخيط لها ثوباً جميلاً ترتديه في حفل زفاف عيسى ابن الجيران.

بعد عرضها على خشبة «مترو المدينة» كان مع ليليان نمري الممثلة القديرة والمميزة بأنها غير «نحيفة» وبقدراتها المطلقة على التلاعب بصوتها هذا الحوار:

○ هل حققت حلماً قديماً بعرض «نحيفة»؟

● أكيد حلم عمره ثلاثون عاماً أن أكون وحيدة على المسرح ومستقلة كلياً عن أي مساعدة أخرى. وليست «نحيفة» بحد ذاتها كعرض هي الحلم.

○ بعد الخطوة الأولى سيتواصل حضورك على المسرح؟

● هذا ما آمله، وليس بالضرورة أن أكون على المسرح مجدداً في مونودراما. سأكون مع آخرين، لكني أفضل أن أكون رب عملي كتابة، وإخراجاً وإنتاجاً. رغبتي الاستقلال في مسرحيات صغيرة، هادفة وتحمل رسائل للمجتمع.

○ هل كنت بحاجة لكل هذا البوح على المسرح؟

● كثيراً جداً. صوتي كان صوت الكثير من النساء غير القادرات على رفع صوتهن. وكذلك تحدثت بصوت رجال غير قادرين على التعبير في هذا المجتمع.

○ حبست مرارة إنسانية لزمن في داخلك كل هذا الزمن فكيف تمكنت من ذلك؟

● لم يكن البوح متاحاً. كلما عقدت النية لأكون على المسرح كانت انتكاسة أمنية تمنعني. ولا أنكر أني كنت جبانة وأخشى المجازفة. كنت أعتني بوالديَ خلال كبرهما ومرضهما. خفت الخسارة المادية لأجلهما، كوني من يعيلهما ويرعاهما بعد الله. عبء الطبابة كان كبيراً. حالياً لست أهتم بالخسارة المادية، أعيش كيفما كان، فقط أهتم بأن تصل الرسالة التي أرغبها للناس.

○ ماذا تقولين عن الرسائل التي تضمنتها مسرحية «نحيفة»؟

● كثيرة. أردت تحريض المرأة لتكون حيث يمكنها في المجتمع، بمعنى آخر عليها أن «تطحش» حتى وإن لم تمتلك مواصفات جمالية. وليس للمرأة أن تلوذ بالصمت عندما تتعرض للعنف من زوجها. من واجبات الرجل أن يحترم المرأة، وأن يعرف أنها نصفه الآخر. كما على الرجل تقدير تبعات الولادة لدى زوجته، ولا يصح أن يكرهها فقط لأنها كسبت وزناً وصارت تولي الاهتمام الأكبر للمولود الجديد. وغيرها من الرسائل. مشغل الخياطة الذي تدور في فنائه المسرحية هو لبنان.

○ هل قصدت تقديم العرض في يوم المرأة العالمي؟

● صدفاً كانت الصدفة، وهذا ناتج من عناية إلهية لي. لا أحسن الكذب ولن أقول نعم أردتها في هذا التوقيت. فرحي تضاعف لهذه الصدفة. عادة أشارك في اعتصامات أو تظاهرات تدعو إليها الجمعيات النسائية دعماً لحقوق النساء، ما يمنعني فقط هو التزامي بمواعيد مهنية. في الوقت عينه قناعتي أن الحياة مشتركة بين الرجل والمرأة وأحدهما يُكمل الآخر. ليس للرجل أن يستبعد المرأة، وليس للمرأة أن تنكر وجود رب للعائلة. أساند المرأة برفضها المهانة والتعنيف بأشكاله، وكذلك مع الرجل حين يُظلم. كثر مظلومون. يعملون على مدار اليوم ولا ترضى نساءهن. هو الحق ولا يجب نكرانه. لهذا لست مع الجمعيات النسائية «عالعمياني».

○ استحضرت كافة الفنون على المسرح من رقص، غناء، تمثيل وعرض أزياء. هل تشعرين الآن بالاكتفاء؟

● لا شك. قلت في أول المسرحية أن حبي للتمثيل نابع عن كوني غير قادرة أن أكون بعض شخصيات الحياة، لكني أرغب أن أجسدها على الشاشة أو على المسرح. الشخصيات التي جسدتها في «نحيفة» تحلم كل فتاة بتجسيدها في الواقع. وفي التمثيل أشبعت نرجسية الفنان الذي بداخلي عبر المواقف الدرامية. هي رسالة لكل من لم يقتنع بقدراتي بعد. قال لي المتفرجون بعد العرض بأنهم حبسوا الدمعة بمستوى الضحك نفسه الذي انتابهم. وهذا ما طمحت لأن يصل للمتلقين.

○ ماذا تشكل «مدام أولغا» في لاوعيك؟

● لكل متفرج أن يرى «أولغا» في الشخصية التي يرغبها. هي في رأيي تشبه الكثير من التماثيل التي تعيش في هذا البلد.

○ هل عانيت شخصياً من عدم النحافة أم تناولت الموضوع بهدف درامي؟

● لست أتناول نفسي فقط. بل أعرف نساء لا تغادرن منازلهن نتيجة الشكل. نساء لم تعملن ولم تتابعن الدراسة. لو أدت بدانتي لعقدة نفسية لما كنت ممثلة، ولما مارست السباحة أو خرجت للسهر. في عرضي هذا أحببت تقديم السيدات اللواتي يؤثر عليهن الشكل سلباً، بدانة، قصر قامة، ضعف مفرط. من يرى ذاته جميلاً من الداخل قادر على تنفيذ كل ما يرغب به. الفكرة التي أردتها أن تصل أن النحافة تبدأ من الفكر.

كان في المسرحية حشد من الأفكار يصلح كل منها لعرض مستقل؟

● سمعت كثيراً هذا التعليق. كان ضرورياً أن ترد كافة تلك الأفكار فـ«نحيفة» كفكرة تتحدث عن شقاء المرأة حيال المهن وكم يأسرها المجتمع بالشكل، تماماً كما وظيفة مضيفة الطيران. نعم تحدثت عن حيثيات الكثير من المهن.

هل رغبت يوماً بمهنة غير التمثيل؟

● تمنيت في صغري أن أكون طبيبة أطفال. وبدأت التمثيل في عمر الست سنوات. بعد ذلك درست السكرتاريا العامة والاختزال والطباعة، لكن غرامي بالتمثيل لم يساعدني لأكون في مهنة أخرى.

○ كان حضورك لطيفاً في أداء المونولوغ لماذا لا يتكرر؟

● لدي ست أغنيات مونولوغ منذ زمن بعيد وكان لها فعلها في زمنها. ولكوني لا أغني في المطاعم بل ركزت على التمثيل لم أصنع اسماً مميزاً في هذا المجال.

○ ولماذا قلدت هيفا؟

● قلدت كثيرات لكن حبي لهيفا كبير جداً.

○ خلال حضورك في التمثيل هل كانت الأدوار تأتيك بناء للشكل أم للقدرات؟

● أبداً وأبداً. بعد تمثيل أول دور لي في الطفولة غبت لأربع سنوات لألتزم بالمدرسة. وكان قرار العودة مع تحذير من والدتي يقول أن البيت هو مقرّي إن كنت سأنال الأدوار بناء على شكلي. وفي كافة الأدوار التي أديتها كان ممنوع على أي ممثل أن يتناول بدانتي بأي كلمة. الكوميديا من خلال شكلي كان مرفوض كلياً. فأنا ممثلة تمتلك الموهبة ولعبت حتى الآن خمسين كاريكاتيراً. وإن حدث وأراد ممثل مواجهتي بمحاولة «الهضمنة» كنت أوقف التصوير وأمنعه.

○ هل سعيت يوماً للنحافة؟

● شكل الأمر هاجساً على الصعيد الصحي ولم أفلح. منذ سنة خضعت لعملية المعدة، وهبط وزني حتى الآن 30 كيلو غراما. الهدف ليس النحافة المطلقة بل الحفاظ على صحتي لأتمكن من الوقوف على خشبة المسرح.

○ ما هو نتاجك على صعيد السينما؟

● مثلت في خمسة أفلام، وجميعها قبلتها بقناعة تامة وبأدوار قوية. وفي الدراما التلفزيونية قدمت كل ما اشعرني بالجودة المهنية، إنما دوري في مسلسل «غداً يوم آخر» للكاتب شكري أنيس فاخوري والمخرج إيلي فغالي هو غرام عمري. رغم مرور السنوات حتى اليوم هناك من يناديني «سلطانة». وهناك من يناديني «عفّو» الدور الذي لعبته في المعلمة والأستاذ.

○ هل أنت راضية على انتظام عملك؟

● أكيد لا. في أحيان أغيب لأربع سنوات وهذا يحزنني. عندما نتقدم في العمر يتراجع عدد الأدوار التي نحن جاهزون لها. دائماً أسأل لماذا أغيب كل هذا الوقت؟ لست نادمة خاصة وأني ما أزال من الممثلات النخبويات ويدرك المنتجون بأني ألعب ما هو مختار.

○ لدى غياب التصوير كيف يمضي الوقت؟

● أكتب، أخيط، أرسم. وأتواصل بفعالية مع المعجبين منذ عشر سنوات. هو تواصل إنساني اجتماعي أكثر من كونه فنيا.

عبير صنصور:
الأغنية الوطنية يجب أن تكون حاضرة ما دامت فلسطين محتلة

لندن ـ «القدس العربي»:
وجدان الربيعي

«صوت الأرض» أو «فيروز فلسطين» هكذا تلقب المطربة الفلسطينية الملتزمة عبير صنصور التي ولدت وترعرت في أرض النعيم والتسامح الديني بيت لحم وعاشت وخاضت مرارة الاحتلال وصعوبة التنقل بين المدن الفلسطينية لإحياء المهرجانات والفعاليات الوطنية. غنت للأقصى والإنتفاضة وغزة المحاصرة والأسرى وأزعجت المحتل حينما غنت «سجان أبوك يا سجن» كما تغنت بحكايات الأجداد، فهي تعشق الغناء للوطن والحرية والمقاومة والطفولة. التزامها يتعدى حدود الموسيقى والغناء والتمثيل، فهي حريصة وملتزمة أيضا في الظهور بالزي الفلسطيني الذي يعبر عن قوة الإنتماء لفلسطين والتمسك بالهوية والتراث الذي يحاول المحتل سرقته كما يسرق الأرض.

شاركت في العديد من المسرحيات الغنائية أهمها مسرحية «أحبوا الوطن» للشاعر فؤاد حداد، بطولة الفنان محمود حميدة، وشاركت كممثلة في المسلسلات التلفزيونية وأهمها مسلسل «ملح الأرض» مع الفنان محمد صبحي، إخراج خيري بشارة ومسلسل «لا أحد ينام في الإسكندرية» قصة إبراهيم عبدالمجيد، بطولة عدد كبير من نجوم الشاشة المصرية، إخراج حسن عيسى. تنوعت أغانيها بين العامية والعربية الفصحى وتميزت بلون خاص في أسلوب الأداء والغناء واختيار القصائد.

تعيش عبير صنصور حاليا في مصر لكن ذلك لم يمنعها من الغناء لفلسطين وإحياء المناسبات الوطنية التي تعتبر الشريان النابض الذي يربط الفلسطينيين في الشتات بذكريات أجدادهم وحلمهم بحق العودة والإنتهاء من الاحتلال.

«القدس العربي» حاورت الفنانة عبير صنصور عن فنها وأعمالها ودور الفن الملتزم في النضال من أجل الحرية.

أغاني الأطفال

عبير صنصور قدمت العديد من الأغاني والمسرحيات التي تهتم بقضايا الطفل وهمومه وأحلامه، وتقول:»لدي اهتمام كبير بالأطفال، وأنتجت ألبوما خاصا بهم بعنوان «دنيا صغيرة» يحوي على ثماني أغاني من كلمات شعراء وملحنين فلسطينيين. وقدمت العديد من الحفلات للأطفال، كما شاركت في المهرجانات الخاصة بالطفل أهمها مهرجان «تذكروا الأبرياء»والذي أقيم في ساحة المهد في بيت لحم، وكانت رسالة المهرجان التواصل بين الأطفال في فلسطين وأطفال آخرين في مختلف بلدان العالم، وتبادل الصداقات والثقافات. كذلك شاركت في العديد من المسرحيات الغنائية للأطفال مع مسارح مختلفة منها «سنابل» و»الحكواتي» و»القصطل» ومن أهم هذه المسرحيات «طيارة وأطفال» سيناريو وحوار وأغاني الفنان الفلسطيني وضاح زقطان قدمنا المسرحية في فترة كان الإحتلال يقصف ويغتال المناضلين بالطائرات، وكان الهدف منها أن نبين للأطفال أنه ليس كل ما يطير مخيف، فهناك الطائرات الجميلة التي تأخذنا في رحلات حول العالم،والعصافير بزقزقتها وألوانها البديعة وقد عرضنا المسرحية في جميع المدن الفلسطينية من خلال مسرح الحكواتي».

المرأة الفلسطينية بالنسبة لعبير أساس المجتمع، فهي الأم والزوجة والحبيبة، والأرض التي تنقل الحكايات والذكريات والتراث الجميل من جيل لآخر وقد ترجمت ذلك من خلال أغنياتها وأبرزها أغنية «الراعية السمراء» للشاعر الفلسطيني سعود الأسدي وألحان عماد سلسع، وتحكي عن الفتاة الجميلة البدوية التي ترعى الغنم وتبين جمال الطبيعة في فلسطين. شاركت عبير صنصور في مسرحيات عدة من خلال مسرح «القصطل» في فلسطين وفي مصر مسرحية «أحبوا الوطن» من أشعار فؤاد حداد، بطولة محمود حميدة. وقدمت دور وفاء في مسلسل «الأخوة الغرباء» وهو أول عمل من إنتاج التلفزيون الفلسطيني والذي جمع فنانين من فلسطين والأردن، الذي يحث الشباب الفلسطيني على الرجوع والعمل في بلادهم. كما وقدمت عبير دور فدوى في مسلسل «ملح الأرض» بطولة الفنان محمد صبحي وإخراج خيري بشارة وأدت دور سارة في مسلسل «لا أحد ينام في الإسكندرية» وقدمت العديد من أغاني الأفلام والمسلسلات الهامة من أهمها أغنية فيلم «من نظرة عين» بطولة الفنانة منى زكي وعمر واكد.

وعن أسباب إعتذارها عن المشاركة في العديد من الأعمال التي عرضت عليها تقول: «حقيقة عرض علي العديد من الأدوار في التلفزيون والسينما ولكنني لا أستطيع قبول أي دور بعيد عن رسالتي الفنية، رغم أن المتعارف عليه أن الممثل يقدم مختلف الأدوار». وتضيف انها تهتم كثيرا بالكلمة التي ستوصلها للجمهور خاصة الجيل الآتي مشيرة إلى ان الفن رسالة قوية تصل سريعا ولذلك يجب ان نختار بعناية وإلا ما الهدف من رسالة الفنان؟

الكلمة سلاح يخيف المحتل

تهتم عبير صنصور بالأغنية الوطنية وتحرص على ان تصل إلى كل العالم لإثبات الحق الفلسطيني من خلال التراث والحضارة العريقة الغنية التي يمتلكها الفلسطينيون.

وتؤكد على دور الفنان في توعية الجيل الجديد بالقضية العادلة حتى لا تنسى فلسطين:»يجب علينا التغني بالتراث والحضارة والأرض وجمال الطبيعة والحب وكل شيء جميل في فلسطين. كذلك الاهتمام بالأغاني الوطنية التي تبين مدى وحشية الاحتلال وإنتهكاته المستمرة. ومع احترامي الشديد لجميع الفنانين، يجب أن تكون الأغنية الوطنية حاضرة في كل مكان وزمان، لأن الحق الفلسطيني لم يرجع بعد، وعدم حضور الأغنية الوطنية عند البعض أعتقد أنه عائد إلى قلة الإنتماء والمسؤولية».

وعن مساهمة الفن في فضح المستور قالت: «بكل تأكيد يساهم الفن في فضح المستور من جرائم الإحتلال بشكل واضح على سبيل المثال في أغنية «من سجن عكا» التي قدمتها فرقة العاشقين حيث تحكي قصة الثوار الأبطال الذين أعدموا في وسط ساحة عكا أمام أعين الجميع والأبطال الشهداء هم، محمد جمجوم، وفؤاد حجازي، وعطا الزير أيضا في أغنية «لموا الكراريس» التي غنتها الفنانة شادية وتحكي قصة المجزرة التي حدثت في الشرقية في مصر عام 1970 عندما قصفت الطائرات الإسرائيلية مدرسة «بحر البقر» للأطفال واستشهد ما يقارب من الأربعين طفلا وأعدت غنائها أنا في الفيلم الوثائقي والذي يحمل اسم الأغنية نفسها. عندما قارنت المخرجة مها شهبة في الفيلم، بين مجازر العدو الإسرائيلي في 1970 في مدرسة «بحر البقر» ومجزرة مدرسة «الفاخورة» في غزة عام 2008 بما يعني أن العدو هو العدو. وعندما اجتاح الصهاينة المستوطنون بمساعدة جيش الإحتلال باحات المسجد الأقصى، ودمروا وحرقوا وقتلوا، وعاثوا في الأرض فسادا حينها غنيت «الأقصى حزين» من كلمات الشاعرة المصرية رشا حمزة وألحان الفنان الفلسطيني ياسر عمر. أيضا في الحصار على أهلنا في غزة، غنيت لهم «بقلبي فرشت الورد والياسمين ونسمة صبح جايالي وكلي حنين، أتاري الورد من غزة دي نن العين وأتاري النسمة من روحي هوى فلسطين» أيضا من كلمات رشا حمزة وألحان ياسر عمر وبهذا يترجم الفنان ما يحدث من واقع مرير من خلال أعماله».

وعن حال الإنقسام وحصار غزة والهبة الشبابية الأخيرة في الأراضي المحتلة تتحدث عبير بحزن قائلة:» الإنقسام مشكلة كبيرة، فهي تنعكس بشكل سلبي علينا نحن الشعب الفلسطيني، وهناك من يستغلها ضدنا لصالح الإحتلال. كذلك الحصار الخانق على أهلنا في غزة الصامدة والذي يؤثر سلبا على كل نواحي الحياة. أما بالنسبة لإنتفاضة الشباب الأخيرة فهناك شقان، ففي الحقيقة أنا في غاية الحزن على شبابنا الأبطال الذين يضحون من أجل الوطن، شباب في عمر الورد يذبحهم الإحتلال أمام الكاميرات ليراهم العالم بأجمعه في صمت. أما الجانب الآخر والذى يطمئنني أنه وبعد سبعة وستين عاما من الإحتلال الغاشم ما زال الحق الفلسطيني ينتقل من جيل إلى آخر وما زال هناك أطفال في عمر العاشرة والسابعة يخرجون ويتحدون الإحتلال ويقولون له أخرج من أرضنا.

هذه فلسطيننا. وأريد أن أضيف شيئا هاما جدا وهو حقوق الفلسطينيين في الداخل المحتل، يجب الانتباه إلى مطامع الإحتلال في ترحيل الفلسطينيين والاستيلاء على الأرض كاملة وهذا موضوع في غاية الخطورة».

وعن آخر إصداراتها تقول: «آخر إصداراتي كانت قصيدة «صباحك أجمل» وهي للقدس من كلمات الشاعر المقدسي رفعت زيتون والألحان والتوزيع للفنان المصري محمد قدري. بالنسبة لمشاريعي القريبة فأنا أحضر لألبوم جديد بالتعاون مع شعراء وملحنين لم أتعامل معهم من قبل، من الشعراء الفلسطيني عدنان داغر، والشاعر حسام فنون الذي كتب العديد من أغاني فرقة «العاشقين» الفلسطينية، وشعراء آخرين بالنسبة للألحان هناك عدة أغاني من ألحاني».

وترى الفنانة الملتزمة عبير ان الأغنية والكلمة واللحن أسرع وأقوى رسالة تصل إلى المستمع، وعندما تكون هادفة وتحمل رسالة هامة، وتبين حقائق لا يعرفها الجميع وتبين جرائم المحتل في قتل الطفولة وتدمير البيوت واعتقال الشباب والنساء وسرقة الأراضي، فهي تصبح خطرا كبيرا على المحتل، مشيرة أن أمنية المحتل أن يأتي يوم وجيل فلسطيني قادم ينسى كل حقوقه ويتعايش مع الواقع المرير، لذلك فهو يريد أن يسكت كل صوت حق. الفنان مستهدف كما هو المقاوم الذي يدافع عن أرضه وكما هو الصحافي الذي يستهدف حتى لا تصل الحقيقة إلى العالم، وكذا حال كل فلسطيني في الأراضي المحتلة وفي الشتات. ناهية الحديث بالتمني ان يحل السلام فوق أرض فلسطين وأن ينتهي الاحتلال الإسرائيلي كي ينعم الفلسطينيون بالسلام.

رئيسة التحرير:
سناء العالول
Editor In Chief
Sana Aloul
القدس العربي
الاسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر:
مؤسسة «القدس العربي»
للنشر والاعلان
Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

المقر الرئيسي (لندن):
1st Floor Landmark House. Hammersmith Bridge Road. London. W6 9DP England
هاتف: 8008 741-0208 44+ (6 خطوط) * فاكس: 8902 741-0208 44 +
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الطابق الأول ـ شقة رقم (2)
* هاتف/فاكس: 25282918 (202)
مكتب المغرب: 8 زنقة المرج شقة 6 حسان ـ الرباط
* هاتف/ فاكس: 23152 5377 00212
مكتب عمان: شارع الملكة رانيا مجمع عكاوي
الطابق الرابع رقم 408 * هاتف/فاكس: 5066089 (009626)
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Head Office (London): 1st Floor Landmark House. Hammersmith Bridge Road. London. W6 9DP England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St. First Floor.
Flat No (2) * Tel/Fax: (202) 25282918
Morocco Office: 8 Elmerj Street Flat No.6
Hassam - Rabat - Morocco * Tel/Fax: 00212 5377 23152
Amman Office: Queen Rania St. Akkawi Complex
4th Floor/ No 408 * Tel/Fax: (009626) 5066089
Published In London. New York and Frankfurt
by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe. Middle East.
North Africa and North America.

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
www.alquds.co.uk
الاسبوعي
Weekly
السنة السابعة والعشرون العدد 8402 الأحد 13 آذار (مارس) 2016 – 4 جمادى الثانية 1437هـ
Volume 27 - Issue 8402 Sunday 13 March 2016

التشكيلية السودانية رجاء أحمد الطيب:

استخدام الكمبيوتر في الفن لا يؤثر على روح الفنان

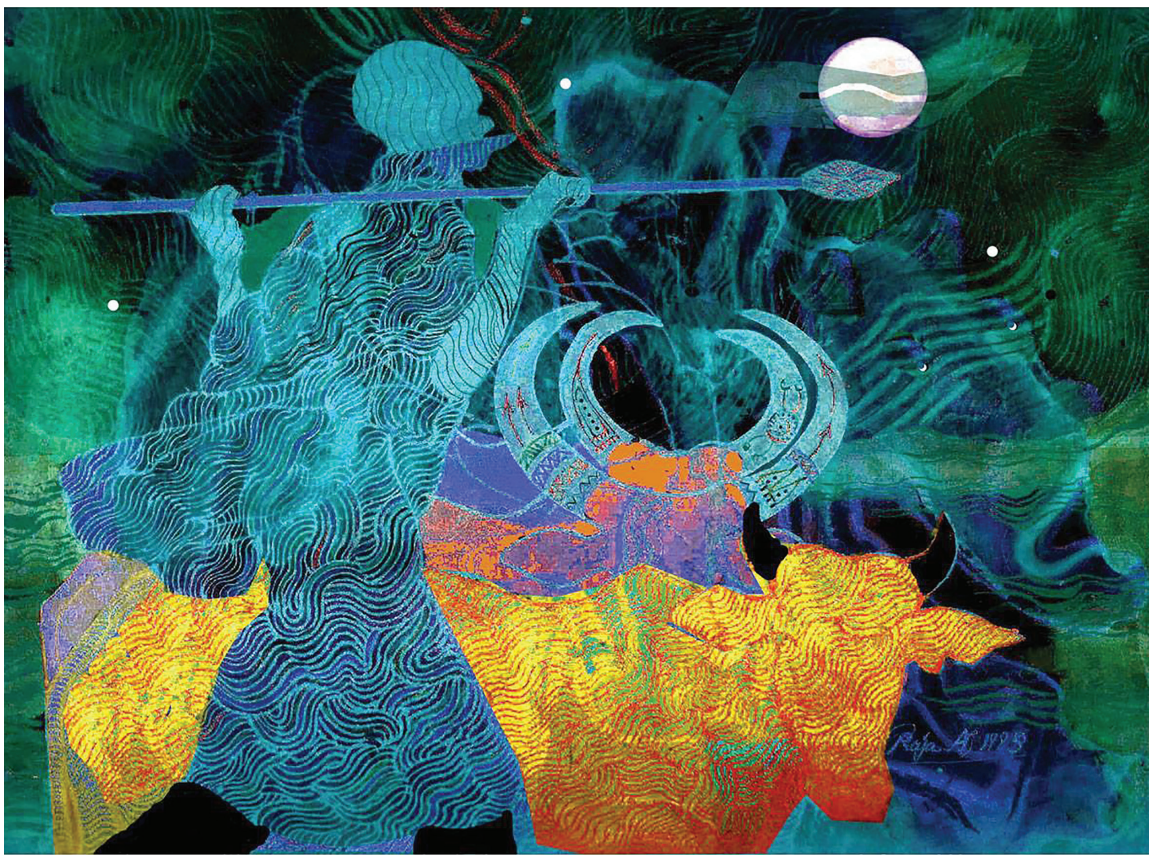

الخرطوم ـ «القدس العربي»: صلاح الدين مصطفى

رجاء أحمد الطيب زين العابدين فنانة تشكيلية سودانية، تخرجت في كلية الفنون الجميلة والتطبيقية بجامعة السودان للعلوم والتكنلوجيا، تخصص رسم وتلوين. تلقفتها الصحافة فور تخرجها ولم تتح لها فرصة الاستمتاع بتخصصها الأساسي، إذ تعمل مصممة. ورغم ضغوط العمل الصحافي، ما زالت تحمل عشقا سرمديا للرسم والتلوين وتبدع فيه.

تقول رجاء إن قربها من والدها الفنان التشكيلي والناقد الراحل أحمد الطيب زين العابدين ـ والذي وصل إلى منصب عميد الفنون ـ كان له أثر كبير في تكوينها الفني. وتضيف إنها قاومت الدخول في هذا المجال، لكن كانت إرادة الفن هي الأقوى. وعلى الرغم من أن والدها لم يفرض عليها هذا الإتجاه لكنها أصبحت في نهاية المطاف فنانة تشكيلية.

وتقول إن الفنان يجب أن يكون على قدر كبير من الوعي الذي يتيح له التواصل مع كل فئات المجتمع. لكنها تعترف أن الفن التشكيلي عالم مليء بالتعقيدات والغموض:»فهو فن يحمل العديد من القيم المركبة، منها ما هو حياتي ومنها جوانب أخلاقية وأخرى اجتماعية. والفنان التشكيلي مطلوب منه أن يعمل ويبدع وفقا لهذه المعطيات المتمثلة فنيا في العمليات الذهنية والفكرية المعقدة. وعلى المستوى الاجتماعي عليه أن يكون بسيطا وعميقا في إبداعه حتى يصل تأثيره لجميع الفئات. ومعروف أن الفن التشكيلي يدخل في كل شؤون الحياة، وهذا يتطلب البساطة. ومن ناحية أخرى، يسعى الفنان التشكيلي لإبداع غير مسبوق يرتقي به ويضاف إلى ما أنتجته الإنسانية، وهنا يصبح عمله معقدا لا يتذوقه العامة وبين هذين المحورين تظهر موهبة وفرادة الفنان».

وتعدد رجاء أسباب غياب القواسم المشتركة في التذوق بين الفنان والجمهور، وترى أن السبب الأول هو خلو مناهج التعليم ـ من الأساس وحتى الجامعة ـ من الفنون التشكيلية التي تضع التلاميذ في مداخل تذوق الفن التشكيلي وتفتح لهم أبواب العوالم المدهشة، وهو ما خلق نوعا من الأميّة البصرية على حد تعبيرها.

أما السبب الثاني فهو قلة معارض الفن التشكيلي وصفويتها وتشرح ذلك بأنها عادة تقام في أماكن لا يستطيع المواطن الوصول إليها، وهي لا تلوم الجهات التي وفرت صالات العرض، ومعظمها مراكز ثقافية أوروبية، لكنها تلوم جهات أخرى وطنية (شعبية ورسمية) ترى أنها تقاعست عن دورها في جعل الفن التشكيلي ينتشر وسط العامة مثل الغناء والدراما.

وبعد اختيارها لهذا الجنس من الفنون، استفادت كثيرا من البيئة المعنوية والمادية التي كانت تفرض سطوتها على بيتهم، فاحتشدت ذاكرتها الجمالية بجينات هذا الفن وتقول في ذلك:»الوالد كان مشبعا بهموم العمل الفني، سواء على مستوى الممارسة ـ وهو متخصص رسم وتلوين ـ أو الكتابة والتنظير وتأسيس المدارس الفكرية في هذا المجال، ومن خلال هذا الحصار التشكيلي وجدت نفسي في هذا الطريق».

وتقول رجاء إن العمل الصحافي له تأثيره السالب والإيجابي على الفنان خاصّة إذا كان يعمل في مجال الإخراج. ففي الشق الأول، فهي ترى إنّ ضغوط الصحافة اليومية لا تتيح للفنان التفرغ لإبداعه أو حتى متابعة المعارض التشكيلية أو الندوات، أما الشق الإيجابي، بحسب تجربتها الشخصية، فالصحافة، مرئية كانت أم مكتوبة ـ تتيح للفنان التشكيلي مساحة مستمرة للإبداع وبالتالي التجويد من خلال منتج يومي.

ورغم أنها تعمل في مجال آخر غير تخصصها، فهي حريصة جدا على مواصلة الرسم والتلوين وتجد في ذلك متعة كبيرة، أنتجت من خلالها أعمالا متميزة.

ممرض سوري يقدم خدماته للاجئين في تركيا على دراجة نارية

بعد عامين من اعتنائه بأبناء بلده المصابين جراء الحرب الطاحنة في سوريا، بمخيم أطمة شمالي محافظة إدلب، اضطر المرض عبد الله أبو خالد (30 عاما)، قبل عام ونصف العام من الآن، إلى الانتقال إلى تركيا نظرا لنقص المعدات الطبية والأدوية. إلا أن انتقال «أبو خالد»، لم يحل دون مواصلته مهنة التمريض، والوقوف إلى جانب اللاجئين السوريين، المقيمين في مدينة ريحانلي التابعة لولاية هطاي التركية. ويستخدم أبو خالد دراجته النارية، للوصول إلى منازل مرضاه من مختلف الأعمار، بأسرع وقت ممكن. ويقول أبو خالد، إنه يعاين أحيانًا أكثر من 100 مريض يوميًا، سواء في المركز الطبي الذي يعمل به، أو في منازل المرضى، وإنه يقدم الخدمات لهم، من قبيل إيصال الدواء، وتغيير ضمادات الجرحى، وإجراء جلسات العلاج الطبيعي للأشخاص الذين فقدوا أطرافا لهم.. ويضيف بالقول «عملت في القطاع الصحي في سوريا مدة 12 عاما، وأنا الآن سعيد لمواصلتي مهنتي متطوعا، أحيانا بعد عودتي للمنزل يرنُّ هاتفي في وقت متأخر، إلا أني أسارع للذهاب فربما يكون المريض طفلا». وأعرب أبو خالد عن السعادة البالغة التي تنتابه عند رؤيته الابتسامة ترتسم على وجوه المرضى بعد شفائهم.(الاناضول)